

العدد (٦٠٨) المجلد (٦٩) العام [٧٣] رمضان / شوال ١٤٢٨ هـ - سبتمبر / أكتوبر ٢٠٠٧م

اليوم الوطني .. وتجسيد القيادة

تاريخ .. وموافقات في رمضان

د. عمارة لـ"المنهل":

- الهيمنة الغربية تصنع أمراضنا
- تحرير المرأة بالإسلام وليس تحريرها من الإسلام

د. يوسف عز الدين:

- يروي ذكريات لم تنشر من قبل عن .. (الأخطل - شوقي - الرصافي)

لغة المعاملات .. والإنحدار اللُغوي

يُسر الإسلام ورحمته في فرض الصيام

بسم الله الرحمن الرحيم

غلاف العدد





مجلة للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية
السعودية - جدة
عن دارة المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

أسسها المغفور له - بإذن الله -
عبدالقدوس القاسم الأنصاري
عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

■ ■ ■

ملكها ورأس تحريرها
المغفور له - بإذن الله -
نبيه عبدالقدوس الأنصاري
من العام ١٤٠٣ هـ/ حتى ١٤٢٤ هـ

■ ■ ■

ترسل جميع المراسلات إلى جُدة
على العنوان التالي:

المركز الرئيسي
جُدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥
رمز بريدي ٢١٤٦١
ناسوخ: ٢/٦٤٢٨٨٥٣.
هاتف: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥
٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧

البريد الإلكتروني:
E-mail : info@al-manhalmagazine.com

مما قل:

مظاهر ومناظر

المتنفج..

عرفت فلانا ضئيل الكم والكيف، لا حول له ولا قوة، ولا يؤمل أن يكون له حول ولا قوة في يوم من الأيام..

ثم رأيته بعد ذلك، وهو يقفز قفزاً سريعاً طافرا إلى فوق.. بعد ما طال به الرسوب في أسفل. حيث ظل يعمل عملاً رتيباً آليا بسيطاً يكفي أن يهيء له لقمة العيش.

وكان تقدم صاحبنا أو قفزه الطافر، على سلم هيئ له من طبيعته الوصولية الملتوية التي تجعل الأبيض أسود، والأسود أبيض في نفس الوقت. حسب مقتضيات الحال والمصلحة والاندفاع..

وكان ذكاء صاحبنا محدوداً، اللهم إلا في تقدير خلائق من يمت إليهم بصلة. وفي ذات يوم، فتحت عيني. وإذا بي أرى فلانا صاحبنا ولنسمه "عاكفا الجذاب" يخرج من قوقعة العمل الآلي الذي قوّس ظهره من طول مزاولته إياه. إلى جو فسيح.. لا يمت إلى ذلك الجو المحدود إلا بأبعد الأسباب.. لقد خرجت "الضفدعة" من البركة.. بل لقد خرج "التمساح" من البحيرة، وها هو يجول في آفاق البرارى طليقاً متحرراً. وبدأ صاحبنا يتفسح ويتبجح، ويغامر ويثابر. وكلما مضى به ركب الزمن ازداد ارتفاعاً وازداد تحليقاً، وازداد تنفجا وطيشا وغرورا وركب رأسه ركوبا باهراً وقد لهجت الصحف باسم صاحبنا.

وكنت أنظر إلى تحليق صاحبنا، من بعد، كما ينظر المرء إلى تحليق الفراشة فوق أتون متأجج.. ذلك لأني ممن يؤمنون بالمبادئ.. وممن يوقنون بأن الرقي أو الشموخ المبنى على الخداع والزيف، والتلفيق وتملق الأخلاق لن يكون طريقه الخلود أو الدوام، ولابد لمن يبنى علالى مجده على هذا اللون من المعارج أن يهبط، وأن تزل به القدم يوماً ما، وأن يهوى من حالق في يوم من الأيام.. شاء أم أبى..

وفي ذات يوم أحب صاحبنا "المتنفج" أن يخلق عاصفة جديدة من الدعاية يرتفع على مصعدها السحرى إلى الأوج البعيد في أقرب فرصة.. ولكن العاصفة قد التفت دوامتها حوله ومازالت به حتى هوت به إلى مهاوى الحيتان التي كان يعيش في بحرها من قبل..

«عبدالقدوس الأنصاري»

صفر ١٣٧٨هـ سبتمبر ١٩٥٨م

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - الإمارات ٨ دراهم - البحرين دينار واحد - سلطنة عُمان ٦٠٠ بيسة - قطر ٨ ريالات - الكويت ٦٠٠ فلس - الأردن ٧٥٠ فلس تونس ٨٠٠ مليم - الجزائر ٨٠ دينارا - سوريا ٤٥ ليرة - السودان ١٥٠ دينارا لبنان ١٠٠ ليرة - المغرب ٩ دراهم - مصر ٣٠٠ قرش - اليمن ١٠٠ ريال بريطانيا جنيه استرليني - فرنسا ١٠ فرنكات - امريكا ٣ دولارات

عزيزي القارئ
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

أما بعد

يتقبل الله:

(وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون). هذه الآية الكريمة جاءت ضمن آية الصيام.. والذي نستشفه من هذه الآية الكريمة أن استجابة الدعاء مرتبطة ارتباطاً كبيراً بالعبادة.. والعبادة خشوع وخضوع وتذلل لله سبحانه وتعالى.. ومن تك هذه حاله فإن قلبه يظل أبداً متعلقاً بالله خالقه، ومن يك بهذا التوصيف الروحي، والتعلق الوجداني بخالقه فإن دعوته مستجابة برحمة الله سبحانه.. وكلمة (فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) مرتبطة بالإيمان بالله سبحانه والاستجابة له في (افعل) و(لاتفعل).

وهذا الشهر الكريم هدية غالية لكل مسلم.. يُحْسِنُ فيه (التَقرُب) ليحظى بـ (القُرب)..

التحرير

إشارة

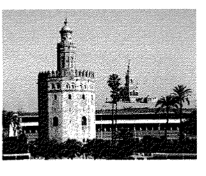
تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الإسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الإشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

عنوان الموقع :
WWW. al-manhalmagazine.com

العدد ٦٠٨ المجلد ٦٩ / العام ٧٣

فقرات مستلة







فهرس (رمضان - شوال) ١٤٢٨هـ

الاشتراكات

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤
قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات:
يراجع بشأنها
الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر ـ جدة تليفون: ٦٣٩٦٠٦٠ ـ فاكس: ٦٣٩٤٠٩٥

اليـوم الوطنـي.. وتجسيد القيادة..



زهيـر الأنصـاري

رئيس التحرير

كتب التاريخ، ومؤلفات الرحالة، وحكايات المعمرين. جميعها تحدثنا عما كانت عليه الجزيرة العربية بعامة، ومنطقة نجد والحجاز بخاصة، قبل أن تصيرا الى مسمى (المملكة العربية السعودية) على يد المؤسس الخالد الذكر الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه.

كانت قبائل متفرقة لا يجمع بينها جامع، وامارات صغيرة متعددة.. وجماعات سلب ونهب من الأعراب..

كل تلك المجموعات _في تعددها وتنوعها- كانت متقاتلة متحاربة فيما بينها، متى ما تضاربت مصالحها.. وكان القتل أيسر وأسهل ما يكون بينها..

حتى الحاج والمعتمر ما كان يستطيع أداء نسكه إلا في ركب تتقدمه حراسات قوية المراس.. وإلا كان القتل والسرقة مصير هذا الحاج وذاك المعتمر..

أما أمر الدين عندهم، فقد كان خرافات ودجلاً وغبشاً في المعتقد..

ذلك كان الحال: تخلف وجهل واقتتال.. وما كان لذاك أن يستمر..

ويأتي الملك عبدالعزيز بعون الله سبحانه وتوفيقه، وبمساعدة الأخيار من العلماء والشجعان من الفرسان ليغير ذلك الحال المتردي في كل مهاوي الظلم والضلالات..

وأسس مملكة، وأقام العدل، وأمن الناس على أنفسهم وأموالهم.. وأرسى قواعد أمة متوحدة.. وموحدة..

ومن بعده جاء أبناؤه، لإعلاء شوامخ ذلك الصرح.. وظلت أمانة البناء والإعمار لهذه المملكة متواصلة بينهم.. كل ملك يسلم الأمانة لمن بعده وهي أكثر نضارة وبهاء.. وأقوم عوداً، وأعلى قامة.. داخلياً وخارجياً..

وتصل الأمانة بكل زخمها ومسئولياتها إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود.. حفظه الله تعالى ورعاه ووفقه..

وكان الجدير بها وأهلها.. لقد عُرِفَ بالحكمة والأناة وسداد الرأي..

نظر إلى الداخل وقرر: (نظافة اليد- والنزاهة في الأداء- ونصرة المظلوم- ورفاهية هذه الأمة..).. وهذه مقوماتها الاقتصاد والتصنيع.. والتعليم والصحة.. وكل البنيات الأساسية..

أما السياسة الخارجية التي التزمها فهي الموضوعية والاعتدال.. ولتحقيق هذا الطموح فقد ظل خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز يعمل ليل نهار..





في الداخل:

لم يكتف خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز _حفظه الله ورعاه- لم يكتف بالتقارير تُقَدَّم إليه.. والمشاريع في الملفات الأنيقة الجميلة، بل قرر أن يرى الواقع بنفسه.. (وما راء كمن سمع) كما تقول الحكمة..

ارتحل بنفسه إلى كل مناطق المملكة المترامية الأطراف، تحرك في كل الاتجاهات، ورأى بعينيه، وسمع بأذنيه، من المسئولين، ومن الناس مباشرة..

رأى.. وسمع.. واستوعب.. وقرر.. وكانت قراراته خيراً دافقاً على كل أبناء المملكة..
"مشاريع تنموية ضخمة عملاقة.. نهضة تطويرية في التعليم كيفاً وكماً.. منجزات لصحة الإنسان والبيئة.. مشاريع للمياه.. استراتيجية متكاملة لمحاربة الفقر.. مشاريع إسكانية شعبية.. حماية النزاهة ونظافة اليد.. ومكافحة الفساد.. استراتيجية أمنية متكاملة لحفظ الأمن ومحاربة الإرهاب.. انفتاح فكري وثقافي من غير إفراط ولا تفريط.. الخ..".
ولما كان (إنسان المملكة) هو الهدف والغاية عنده في كل هذه المشاريع بغرض اسعاده ورفاهيته، ورفع كفاءته العلمية والمهنية والفكرية، فقد سجل خادم الحرمين الشريفين- حفظه الله- إضافة إلى كل ذلك: زيادة الرواتب بنسبة ١٥٪ لكل العاملين في الدولة وكذلك زيادة رواتب المتقاعدين.. وأسس هيئة لرعاية المتقاعدين والمحتاجين والفقراء.. وتوفير فرص العمل لكل المؤهلين له.. زيادة مخصصات الضمان الاجتماعي.. دعم مؤسسات المجتمع المدني والجمعيات الأهلية.. تأسيس صندوق وطنى لمكافحة الفقر.. تعزيز دور المرأة، أداء وتنمية.. سداد الديوان والعفو عن سجناء الحق العام.
هذه رؤوس عناوين في حركة التنمية والنهضة الضخمة التي قادها ويقودها الآن خادم الحرمين الشريفين أيده الله تعالى ورعاه.. ولا سبيل للتفصيل فيها، ولكن لنستأنس ببعضها على سبيل المثال..

في الاقتصاد والصناعة والتنمية:

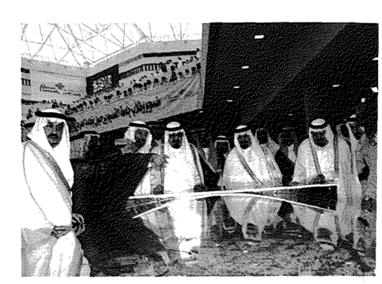
خلال جولاته التفقدية في أنحاء الوطن مدنه وقراه، قام خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز- حفظه الله تعالى- بتأسيس وتدشين وافتتاح عدد كبير من المشروعات الاقتصادية والصناعية في كبريات مدن المملكة.. ومنها:
إقامة ست مدن اقتصادية هي: مدينة الملك عبدالله الاقتصادية في رابغ- مدينة الأمير عبدالعزيز بن مساعد الاقتصادية في حائل. مدينة المعرفة الاقتصادية بالمدينة المنورة- مدينة جازان الاقتصادية.. مدينة اقتصادية في تبوك- ومدينة اقتصادية في الشرقية..
هذا إضافة إلى مركز الملك عبدالله المالي في مدينة الرياض، ويضم المركز أكاديمية مالية، ويمثل هذا المركز قفزة نوعية في حركة الحزم الاقتصادية في المملكة.. وسيصبح له أداؤه الفاعل في الحركة الاقتصادية في المملكة..
وفي منطقة الشمال عند زيارته لها افتتح فيها أربعة وأربعين مشروعاً من المشاريع التنموية والاقتصادية والتعليمية والصحية..
وفي المنطقة الشرقية دشن فيها أكثر من عشرين مشروعاً تنموياً وصناعياً قيمتها الإجمالية حوالي ٤٣ مليار ريال..
وفي القصيم وضع حجر الأساس لخمسة عشر مشروعاً وفي المدينة المنورة عمل على إقامة مشروعات المسجد النبوي وتطوير المنطقة المركزية.. لتكون أكثر فاعلية وأداء..

في الخدمات التعليمية والصحية:

في المدينة المنورة: مشروع تطوير الجامعة، ومشاريع الوحدات التدريبية، ومستشفى الحرس الوطني وفي مدينة الطائف كان اهتمامه البالغ بالمدينة الجامعية والطبية، ومشاريع التعليم الفنى، وإنشاء جامعة للعلوم والتقنية.
ووافق على إنشاء جامعات جديدة في: حائل- جازان- تبوك- الباحة- الجوف.. ثم جامعة متخصصة للبنات.

في الثقافة:

في مجال الثقافة والفكر والحوار الجاد المستمر، فقد كانت لخادم الحرمين الشريفين _حفظه الله تعالى- توجيهات سديدة، راشدة..
فقد وجه بتطوير مؤسسات الثقافة المحلية لتشهد نقلات نوعية وفنية وتكون أكثر فاعلية وتفاعلاً.. وهذا الدور تنشطه (وكالة شئون الثقافة والإعلام للشئون الثقافية، والعلاقات الثقافية الخارجية.. وهذا الأخير





مـهـمتـه التـعريف بالمملكة في الخـارج فكراً وثقـافـة ومنهجاً.. ولاشك أن العلاقات الثقافية الخارجية أصبح لها أكبر الأثر في الربط بين الأمم على تنوع ثقافاتها ومعتقداتها..

ويدعم هذا الدور المتنامي العمل على إطلاق جمعيات ثقافية مدنية، وفي مجال العمل الثقافي الوطني يأتي مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني ليكون بمثابة العـروة الوثقى التي تجـمـع أبناء الوطن في حـوار هادف بَنَّاء هادئ من أجل الوطن..

والمرأة لم تكن بعيـدة عن هذا الزخم الثـقـافي الذي يرعاه خـادم الحرمين الشريفين _حفظه الله تعالى- فقد أشار إلى إنشاء مركز ثقافي للمرأة في الرياض يرعى شئون معطياتها الفكرية والثقافية والإبداعية في كل مجالاتها..

أما جائزة خـادم الحرمين الشريفين للترجمـة، فهي إنجاز علمي وفكري وثقافي ضـخم.. والترجمـة هي الرابط الوثيق بين ثقافات الأمم وإبداعاتها..

في الرياضة:

كما أسلفت، في هذه الصفحات لا نستطيع إحصاء مـا أنجز وسـينجـز في هذا العـهـد المبارك لخـادم الحرمين الشريفين، ولكنا نلمح إلماحاً يسيراً، لعله يعطى صورة عامة..

ولم تغب الرياضـة عن اهـتـمـامـات خـادم الحـرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز..

وفي هذا الإطار نجـد مـجـمـوعـة من المشـاريع والمسابقات الرياضية والجوائز منها..

مـشـروع مسـابقـة كـرة القـدم _مـسـابقـة الدورى السعودي لفرق الدرجة الممتازة- كأس خادم الحرمين الشريفين للأبطال- مسابقة كـأس ولي العـهـد- مسابقة كأس الأمير فيصل بن فهد- منتخب ذوي الاحتياجات الخاصة، وإقامة أندية رياضية لهم..

خارجياً:

عالمنا اليوم، أصبح (قرية واحدة) كما يقولون.. أصبحت الدول اليوم مرتبطة ببعضها أكثر من ذي قبل.. ومن الحكمة وسداد الرأي إقامة علاقات طيبة بين الدول بعضها ببعض..

والمملكة العربية السعودية بطبيعة الحال قد حازت ثقة وإعجاب العالم لما تنتهج من سياسة متوازنة تقوم على الاحترام المتبادل بين الدول..

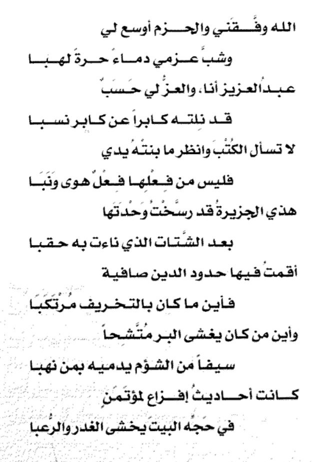
ومن منطلقات هذه السياسة الحكيمة الراشدة قام خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز حفظه الله تعالى- ومن أجل هذا الوطن الغـالي_ ومن أجل اسـتـقـرار المنطقـة، قام بعـدد كـبـيـر من الزيارات إلى أنحاء العالم غرباً وشرقاً.. فقد زار (الصين والهنـد ومـاليـزيا والبـاكـسـتـان) وزار أسبانيا وعدداً من الدول الأوروبية.. وكان لزياراته صدى واسعاً..

من مسيرة البطل المؤسس



شعر: د. بهاء بن حسين عزّي- جُدة

دَعْني أسيرُ لمجدٍ يَقْدُمُ الشُهُبَا
دَعْني، أشيد بناء للدنى عجبا(١)
دعني فإن المُنَى أعيت تجيئ هوى
وما تمنيتُ يهوى الجهد والتَّعبا
فما يضير الفتى إلاّ تقاعُسُه
عن سَرْية المجد من تهويل ما صعُبا
نادتني البيدُ والأجبالُ من رهقٍ
ونادت المدْنُ تشكو الجوْرَ والنَّصبا
والبحرُ نادتْ على أمواجه سُفُنٌ
تشكو قراصنةً أوسعْنها سلبا
فكيف يحلو الكرى في محنة رسخت
سبيلُ إجلائها فكرٌ وسلُّ ظُبا
فهبَّ عزمي وحولي فتيةٌ صدقتْ
عهد الآله فكنّا جيشَهُ اللَّجِبا



الله وفَّقني والحزم أوسع لي
وشبَّ عزمي دماءً حرةً لهبا
عبدُ العزيز أنا، والعزُّ لي حَسَبٌ
قد نلته كابراً عن كابر نسبا
لا تسأل الكُتْبَ وانظر ما بنتْهُ يدي
فليس من فِعْلها فعْلٌ هوى ونَبا
هذي الجزيرةُ قد رسَخْتُ وَحْدتَها
بعد الشَّتات الذي ناءت به حقبا
أقمتُ فيها حدود الدين صافية
فأين ما كان بالتخريف مُرتَكبا
وأين من كان يغشى البر مُتَّشِحاً
سيفاً من الشؤم يدميه بمن نهبا
كانت أحاديثُ إفزاع لمؤتَمَنٍ
في حجّه البيتَ يخشى الغدر والرُّعبا

وحّدتها فغدت شتّى بيارقها
في بيرقٍ مُشرقٍ يسنو وما غَربَا
فمن يَخالُ الذي وحّدتَه شتتا
من الممالك يعلوهُن من وثبا
جُسْ في الفيافي، تلمّس قدر مأمنها
واصعدْ جبالاً، فهل تخشى بها رَهبا؟
هذي الصحاري التي أنهيتُ وحشتَها
وساد أمن بها بعد الذي اضطربا
آخيتُ فيها الهوى فاشتاق موحشُها
إلى التآخي مُغذاً فيه مُطّلبا
آلفتها ببني الأمصار فانتشرتْ
نسائمُ الحب من صفو الغرام صبا
أُنظر إليها قد اخضرّتْ مفاوزُها
والماءُ يحنو عليها بعد أن نضبا
أنبتْنَ من كلِّ زرعٍ كان منبتُهُ
بين الفراتَيْن والنيل الذي عَذُبَا
فما غدا جائع إلا به كسل
يخشى الكفاح وتهوى كفُّهُ الطلبا
حتى عصافيرُها من شبعها انتعشت
تغشى العشاش وينمي فرخُها زَغَبَا
وبعد أن طِبْنَ في أمنٍ صبوتُ له
أتبعتُ نهج النَّما في صَرْحها سببا
هذي المدائن قد شِيدتْ قواعدُها
فهمن ينطحن في جوف السما السُّحبا
أنظر إليها فهل تخفى لذي بصر
أنظر إليها، فما شيَّدتُ قد رحُبا
والعلم فيها زها فانظر مآثرهُ
في كل باب نما باع له وربا
أقررتُها مَعْلَماً للدِّين كيف به
أتى النبيُّ وجلّيْتُ الذي حُجبا
جددّتُهُ فَسنَتْ فيها منابرُهُ
تدعو بدعوته من كان مجتنبا

وبعد أن نال كلٌّ مأمنا ونما
أتبعتُ نهج الضّنى في حُبِّها سببا

★★★★★

جالت بفكري صناعات رأيتُ لها
عزماً كصُلْب قوام الجسم إن نُصِبَا
لا يُسْتَهبُ لأخطارٍ إذا حَزَبَتْ
إلا وكانت بهذا العصر ما طلبا
أوكلتها لبنيَّ الصيد موعظة
أنْ شيّدوها بفكرٍ شبَّ محتسِبَا
فكل من جاء منهم هبَّ يذكرها
بفعله الفذ حتى وعْدُها قَرُبا
لابد أن تزدهي يوماً بمفخرة
تأتي بخير وترتدُّ الذي سُلبا
فالقدسُ جاست به شُذَّاذُ قافلة
من كل مستصهن لا يعرفُ العَربَا
وكيف نحن وقد شط العدو وقد
جاس الديار وقد أفنى وقد غَصَبا
والغيدُ يشْكين والآباء في حرج
مما اشتكين، فذخرُ الحرة انتهبا
لقد أتوا عطبا والله يأمُرنا
بأن نُعدَّ الذي يُجلي لنا العطَبا
يا ربِّ فارفع لواء الحق منتصراً
على الذي ظلم الأقصى بخير رُبَى

★★★★★

واحفظ لآل سعود كل نابغة
فذٍّ كميٍّ أتاه الملك منتخبا
أسعد به أمة عُظمى تخيَّرها
ربُّ العباد فلبَّته كما رغبا
إن الصلاة على المختار سيدنا
وسيد الرُّسْل جمعا صَدْعُها وَجَبَا

سياسة التضامن الإسلامي التي تسير عليها المملكة

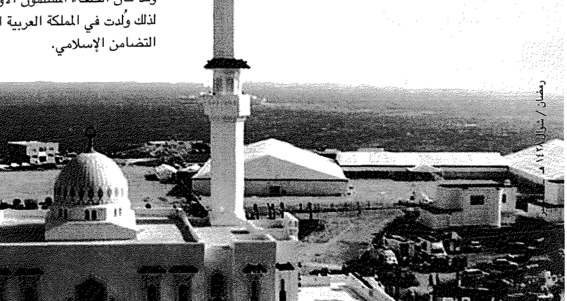
محمد بن ناصر العبودي - مكة المكرمة

بلادنا بلاد شرفها الله سبحانه وتعالى بأن جعل أهلها سدنة بيته، وخدمة حرمه ولذلك تلقب عاهل المملكة العربية السعودية بلقب خادم الحرمين الشريفين وآثر هذا اللقب على اللقب المعتاد لأمثاله وهو جلالة الملك.

وكان الناس يسمون الملك عبدالعزيز رحمه الله بالإمام ويخاطبونه بإمام المسلمين ولكن هذا ليس لقباً رسمياً يذكر في المراسيم وانما هذه عادة الناس لأنه بالفعل كان إمامهم وكان مقدمهم.

ونظراً إلى أن المملكة العربية السعودية هي بهذه المكانة وهي بلاد شرفها الله سبحانه بأن انطلقت الدعوة الإسلامية في الرسالة المحمدية من مكة المكرمة والمدينة المنورة إلى سائر أنحاء العالم وهما مهبطا الوحي ومتنزلا القرآن الكريم فكان لابد للمملكة العربية السعودية أن تهتم بكل ما يتعلق بالدين الإسلامي بل تهتم بنشره في الزمن الحاضر كما كانت هذه البلاد منطلقاً له في الزمن الماضي.

وقد كان الخلفاء المسلمون الأوائل يعملون هذا، لذلك وُلدت في المملكة العربية السعودية سياسة التضامن الإسلامي.



وكانت هذه السياسة تسير عليها المملكة العربية السعودية فعلاً وقد أعلنها الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله وجزاه عن المسلمين خيراً أعلنها سياسة رسمية للمملكة سماها سياسة التضامن الإسلامي وطبقتها المملكة العربية السعودية بأن أعانت على إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي على نطاق رسمي، وطبقت التضامن الإسلامي المتمثل في إعانة الجمعيات الإسلامية في الخارج ومساعدتها وكان لي شرف أن كنت في أول وفد رسمي يحمل نقوداً من المملكة العربية السعودية لتوزيعها على الجمعيات الإسلامية في افريقيا وذلك في عام ١٣٨٤هـ الموافق لعام ١٩٦٤م في آخر عهد الملك سعود رحمه الله تعالى.

وكان الملك فيصل رحمه الله وهو في ذلك الوقت رئيس مجلس الوزراء ونائب الملك قد أعطاني مبلغاً من المال وقال: وزع هذا على الجمعيات الإسلامية في أفريقيا.

وعندما سافرت في المرة الأولى ووزعت هذا المبلغ قدمت تقريراً رفع إلى الملك فيصل رحمه الله وذلك بعد أن تمت مبايعته ملكا على البلاد في عام ١٣٨٤هـ.

وكان في هذا التقرير اقتراح بتعيين دعاة على نفقة المملكة العربية السعودية وإرسالهم إلى المسلمين في افريقيا وكذلك تقديم منح دراسية لأبناء المسلمين تتكفل بلادنا بدفع نفقات دراستهم ومعيشتهم وإسكانهم إلى جانب دفع تذاكر سفرهم وكذلك مساعدات مالية لمشروعاتهم فوافق على ذلك في ذلك الوقت.

والذي لا يعرفه كثير من الناس أن سعر برميل النفط (البترول) عندما سافرنا كان دولارين إلا ربعا وكانت المملكة العربية السعودية تنتج ما لا يزيد على مليون برميل نفط في اليوم، ومع ذلك أعطانا الملك فيصل بعض المال الذي لم يكن من السهل آنذاك أن يدفع فذهبنا إلى هناك ووزعناه على الجمعيات والمؤسسات الإسلامية وأذكر أنني في الرحلة الثانية عام ١٣٨٦هـ قبل أن أسافر إلى أفريقيا ذهبت لتوديع الملك فيصل وكان ذلك في مكتبه في قصر شبرا بالطائف لأن الوقت كان وقت صيف وأنا كنت في الجامعة الإسلامية فكنت أذهب في العطلة الصيفية فقلت له ياصاحب الجلالة نحن ذاهبون إلى بلاد بعيدة وليس فيها سفارات سعودية ونحن نحتاج إلى





توجيهاتكم في هذا الأمر فقال: يا أخي، أنا أوصيك بكلمة لا أزيد عليها ولا انقص وهذه الكلمة هي (راقب الله في أفعالك وأقوالك تنجح).

قال هذه الكلمة الجامعة وقد تأملتها ووجدت انها حقيقة تستحق أن يجعلها الإنسان دستور حياته لأنه إذا راقب الله نجح حتى في أعمال الدنيا فالتاجر الذي يراقب الله فلا يغش ولا يأخذ من الناس أكثر مما تستحقه السلعة فإن الناس يُقبلون عليه وبذلك تروج تجارته وكذلك الموظف وغيره الذي يراقب الله في أفعاله وأقواله فإنه ينجح نجاحاً دينياً ونجاحاً دنيوياً.

الهيئات والمؤسسات الإسلامية:

من هذا المنطلق كله كان حرص المملكة العربية السعودية على ما ينفع المسلمين ظاهراً منذ أن تولى الملك عبدالعزيز إلى الآن.

ولا نستطيع أن نعدد الأشياء التي قامت بها المملكة العربية السعودية بالنسبة للمسلمين لأنها كثيرة ومتنوعة ولكننا نستطيع أن نذكر مؤسسات منذ بدأت وحتى الآن وهي تعتني بشؤون المسلمين.

من ذلك رابطة العالم الإسلامي التي أنشئت في المملكة العربية السعودية في آخر عام ١٣٨١هـ وكان أول اجتماع رسمي لها في أول عام ١٣٨٢هـ وتدفع المملكة العربية السعودية لرابطة العالم الإسلامي منذ إنشائها حتى الآن ميزانية سنوية بمثابة المعونة وهي ميزانية ثابتة ولكن لا يقتصر دعم المملكة العربية السعودية للمسلمين بوساطة الرابطة على هذه الميزانية الثابتة في الرابطة أي لا يقتصر إنفاق الرابطة على هذه الميزانية فقط وإنما هذه الميزانية تدفع رسميا وهي مخولة أي أمانتها العامة وعلى رأسها الأمين العام للرابطة مخولة بإنفاق هذا المبلغ دون الرجوع إلى الحكومة أي إنفاقه في الأغراض النبيلة التي أسست من أجلها الرابطة.

ولكن أحياناً لا تتسع أبواب الرابطة لبعض المشروعات الكبيرة فترفع الرابطة الأمر إلى خادم الحرمين الشريفين وفقه الله وألبسه رداء الصحة والعافية وتكتب إليه ترجوه أن يدعم بعض المشروعات الإسلامية فيأمر بذلك من خارج ميزانية الرابطة.

ومن ذلك أن النفقات التي تنفقها الآن رابطة العالم الإسلامي على عدد من المراكز الإسلامية في الخارج منها المركز الإسلامي في مدريد والمركز الإسلامي في برازيليا والمركز الإسلامي في روما وهذه المراكز أمر خادم الحرمين الشريفين بأن تخصص لها ميزانية تشغيل تدفع للرابطة لكي تنفقها وذلك لأن رابطة العالم الإسلامي مسؤولياتها تشمل العالم كله، فمن تشمل مسؤولياته العالم كله لا تستطيع ميزانيته أن تفي بكل ما يتطلبه المسلمون على مدار الوقت وعلى مستوى العالم كله.

فالمملكة العربية السعودية أنشأت عدة مؤسسات لخدمة المسلمين في الخارج غير رابطة العالم الإسلامي، ومنها وزارة الشؤون الإسلامية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

كذلك أنشأت الحكومة الهيئة العليا للدعوة الإسلامية وأنشأت المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وهذا ينظر في أحوال المسلمين وفي تقديم المساعدات لهم.

وأنشأت المملكة العربية السعودية لجنة قبل ذلك استمرت خمساً وعشرين سنة باسم لجنة الشؤون الإسلامية بمجلس الوزراء وهي تقترح مساعدات ومعونات إلى المسلمين في العالم.

هذا بالإضافة إلى ما تقوم به الجامعات الإسلامية في المملكة، فالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة أنشئت لتعليم أبناء المسلمين خاصة وقد افتتحت في عام ١٣٨٥هـ.

وهذه من أعمال المملكة العربية السعودية ولا يزال في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة جنسيات تزيد على مئة جنسية من جنسيات الطلاب في مختلف أنحاء العالم وقد نفع الله بالخريجين منها منذ أن خرجت أول فوج منهم.

كما أنشأت المملكة العربية السعودية مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف وعلومه من أجل توفير نسخ كافية من المصحف الشريف موثقة ومضمونة عن الغلط والتحريف.

فهذه من أعمال المملكة، وهنالك المراكز الإسلامية التي تنشئها المملكة ليست ميزانياتها ضمن إحدى هذه المؤسسات وإنما خارجة عنها.

ثم هنالك شيء مهم جداً لا يعرفه بعض الناس وهو أن المملكة العربية السعودية تساعد المسلمين وعلماءهم على أمور دينهم فقل أن يفتح شخص مسلم مدرسة إسلامية أو أن تبتنى جمعية إسلامية مشروعاً لإقامة مسجد إلا وتسارع المملكة العربية السعودية ممثلة في إحدى الجهات العاملة فيها بالإسهام في هذا المشروع.

هذه أعمال عظيمة ومشروعات إسلامية كبيرة والشيء الذي كان لي شرف الإسهام فيه والأمر لله سبحانه وتعالى ثم لأولياء الأمور الذين أحسنوا الظن بي منذ عهد الملك سعود حتى الآن أنها ترسل أناساً من المملكة العربية السعودية إلى أماكن وجود الأقليات في العالم للإطلاع على المشروعات الإسلامية وتعطيهم النقود التي بها يساعدون هذه المؤسسات وكان لي شرف أن كنت رئيس أول وفد يذهب في هذا الغرض ومعه شيء من النقود. هذه ذكريات فرضتها عليَّ هذه المناسبة (اليوم الوطني) لأتذكر ويتذكر معي الجميع جهود هذه الدولة المباركة وقادتها الأوفياء في خدمة الإسلام والمسلمين.

علماء المدينة المنورة ووجهاؤها التمسوا أن يكون مسمّى المملكة (المملكة العربية السعودية)..

عبدالله عمر خياط - جُدة

كلنا يعرف تاريخ الجزيرة العربية.. وكيف كانت. قبائل وإمارات لا يجمعها رابط.. ولا توحد أهدافها غاية..!! قبائل وإمارات.. بالاسم.. أما الفعل.. فهو للذين كانوا يعيشون في الأرض فساداً بقطع الطريق، ونهب الأموال، وسلب الممتلكات.. حتى ولو كان ذلك عن طريق قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

الملك عبدالعزيز وحّد المملكة بعد شتات وتفرق..



هكذا.. كان وضع الجزيرة حتى جاء البطل عبدالعزيز- طيب الله ثراه- فصنع هذا الكيان الكبير.. وأرسى في ربوعه قواعد الأمن والاستقرار، بتحكيم شرع الله.. والحزم الذي تفرضه دواعي العدل.

المؤرخ الشهير أمين الريحاني.. يذكر في مؤلفه "ملوك العرب" مثلاً لما شهده من مظاهر الأمن.. وبأي شيء تحقق فيقول:

"مررنا بجمل بارك، رازح تحت حمله، فسألت عن صاحبه، فقيل لي إنه سار في طريقه، وسيرجع بعد أن يصل إلى البلد، ويأتي بجمل آخر يحمل البضاعة، وقد يموت الجمل الرازح، ويبقى حمله على قارعة الطريق عشرة أيام، فيعود صاحبه، فيجده وما مسته يد بشرية، كما تركه في مكانه".

كيف تمكن ابن سعود من إقامة مثل هذا الأمن، وتوطيده في بلاد العرب؟

بأمرين: أولهما: الشرع. وثانيهما: أحكام الشرع تنفيذاً لا يعرف التردد، ولا التمييز.. ولا الرأفة".

وهذا الذي رواه الريحاني.. وهو ما اعترف به أبناء المملكة من أعيان أهل المدينة المنورة في برقيتهم التي رفعها وكيل إمارة المدينة المنورة يومها بخطاب لعاهل الجزيرة يقول فيه:

"حضرة صاحب الجلالة مولاي الملك المفدى عبدالعزيز آل سعود أيده الله.. أتشرف بأن أعرض لجلالتكم أنه في هذا اليوم الموافق ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ قد اجتمع العلماء والأهالي، وبعد المذاكرة والبحث قرروا رفع برقيات منهم لأعتابكم العالية يسترحمون فيها صدور إرادتكم السنية بالموافقة على تحويل اسم المملكة الذي هو "المملكة الحجازية والنجدية" إلى اسم "المملكة العربية السعودية"..

وقد بنوا قرارهم المشار إليه على حقائق اجتماعية أوضحوها فيه.. كما أنهم نوهوا بلهجة أكيدة باسترحامهم بصدور أمركم الجليل بوضع نظام للحكم، وتوارث العرش تأييداً لمركز الدولة في الداخل والخارج، وتخليداً لها على مر العصور كما هو المحقق بعنايته تعالى. وحيث أن في ذلك تأمين المصلحة فإني أضم صوتي إلى صوتهم مسترحماً صدور الأمر الملكي الكريم باسعاف مرغوبهم سيدي".

وكيل إمارة المدينة المنورة
عبدالعزيز بن إبراهيم

أبناء الملك عبدالعزيز بذلوا الغالي والنفيس من أجل رفعة وازدهار المملكة..

★★★★★★

وقرار أعيان أهل المدينة.. وهو الذي نشرته مسبوقاً بالخطاب السابق لوكيل إمارة المدينة المنورة آنذاك معالي الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم - رحمه الله -.. جريدة أم القرى بعددها-٤٠٧- الصادر في ١٣٥١/٥/٩هـ.. كان نصه:

حضرة صاحب الجلالة مليكنا المعظم عبدالعزيز آل سعود أيده الله
الرياض

بحمده تعالى في اليوم الرابع عشر من جمادى الأولى عام ١٣٥١هـ قد اجتمع الموقعون أدناه من علماء وأهالي وتجار المدينة المنورة للبحث والتشاور في أمر خطير يعود نفعه على هذه البلاد التي مَنّ الله عليها بأن يكون الجالس على عرشها جلالة الملك المفدى عبدالعزيز آل سعود أيده الله، ذلك أن الباري سبحانه قد اختصها من بين الأقطار العربية الشقيقة بمزايا جمة، فقد جعلها أشرف البقاع على الإطلاق، وأظهر الممالك العربية استقلالاً، ووهب أهلها مفاخر خاصة بهم فجعلهم عنصراً عربياً متحداً في الدين الإسلامي، والعادات، والأخلاق، والتاريخ.. إلى غير ذلك مما يدعو ويحض على وحدة البلاد بكل معاني الوحدة، ومظاهرها القيمة، ولكون أهم هذه المظاهر هو اسم المملكة التي تشمل أبناء الأمة العربية الموصوفة آنفاً، ولأن اسمها الحالي هو "المملكة الحجازية والنجدية وملحقاتها" لا يفي بالغرض الاسمى المطلوب، إذ انه لا يدل على الاتحاد العنصري والحكومي والشعبي الماثل في هذه البلاد بأصدق معانيه، وغاية ما يدل عليه تسمية بعض الأقطار العربية، فنظراً لما شرح، واظهاراً لكمال التضامن الموجود حالياً واستقبالاً (والذي تجلى في حوادث ابن رفادة الأخيرة) لذلك فإن عموم المجتمعين يسترحمون من جلالة الملك المفدى أن يتفضل بإصدار إرادته الملكية بالموافقة على تحويل الاسم الحاضر إلى الاسم التالي "المملكة العربية السعودية" لأن هذا الاسم أكثر انطباقاً على الحقيقة الراهنة ولأنه أدل على الأماني المقبلة، وأظهر في الإشارة إلى من كان السبب الوحيد في انتظام



عقد هذا الاتحاد الميمون.. ألا وهو شخص جلالة الملك المحبوب، ولأنه يشمل جميع البلاد العربية التي وفق الله جلالة الملك بتوحيد شملها ولمّ شعثها.

هذا ولما كان الانتظام والاستقرار هما من الشروط الأولية في بقاء الدول، واستمرارها كما يبرهن عليه التاريخ وتتبع أحوال الأمم والحكومات، لهذا فإننا نتقدم أيضاً إلى حضرة صاحب الجلالة مليكنا المفدى أطال الله بقاءه مسترحمين من جلالته أن يصدر أمره العالي بوضع نظام للحكم، وتوارث العرش، لما في ذلك من تقوية مركز البلاد مادياً وأدبياً، ولكي يعلم القاصي والداني من الأصدقاء وخلافهم، أن هذا الملك بحول الله وقوته باقٍ على ممر الدهور موطد الأركان لا تؤثر فيه الزعازع، وأنا واثقون بأن جلالتكم حفظه الله أول من يقدر هذه الحقيقة الاجتماعية حقّ قدرها.. وفق الله جلالتكم لما فيه الفلاح والصلاح.

(محمد زكي، السيد عبدالجليل مدني، محمد حسن سمان، عبدالله جمل الليل، إبراهيم بري، حمود دشيشه، عبدالله مسلم، صالح عبدالله الزغيبي، عبيد مدني، إسماعيل حفظي، يحيى زكريا، حسام الدين المصطفى، صالح التونسي، محمد الطيب التنبكتي، عبدالرؤوف عبدالباقي، ذياب، عبدالعزيز مدني، أحمد بساطي، عبدالله برزنجي، محمود شويل، عتيق بن محمد المخرج، حسني العلي، السيد زين العابدين مدني، عبدالعزيز الخريجي، محمد الخريجي، حسين طه، محمد زين بري، أبو بكر، أسعد سعد، محمود دشيشة، حمزة بافقيه، عباس قمقمجي، عبدالله بن عمرو، صالح البلاع، محمد الدغيثر، إبراهيم التركي، علي عبدالله عقيل، حسن عبدالجبار، إبراهيم هاشم، زين صافي، صالح خاشقجي، محمد حسين جياد، محمد أسعد).

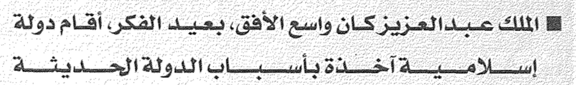
هكذا توحدت الجزيرة.. على يد مؤسس الكيان الكبير الملك عبدالعزيز آل سعود طيب الله ثراه.. وبذلك اتحدت القلوب.. وأجمعت أمرها لتكون وولاة أمرها يداً واحدة.

وقد سار خلفاؤه على النهج ذاته حتى تصبح بلادنا في مقدمة الدول الحضارية مع التزامها بشرع الله الذي فيه صلاح دنيانا وآخرتنا وبه عزنا.. وهو ما يجعلنا نفتخر ونفاخر بهذا اليوم الوطني المجيد الذي توحدت فيه أنحاء المملكة..

آل سعود أسسوا الدولتين الأولى والثانية، لكن المستعمر الأوروبي كان لهم بالمرصاد


عبدالله فراج الشريف - جُدة




■ الملك عبدالعزيز كان واسع الأفق، بعيد الفكر، أقام دولة إسلامية آخذة بأسباب الدولة الحديثة

غاية الحكم السعودي في جميع أدواره:
إن شخصية الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود المتفردة، والتي كان أثرها في واقع الجزيرة العربية ومستقبلها أثر واضح مميز، جعلت من المملكة العربية السعودية قلب الجزيرة النابض دولة إسلامية المنهج والنظام، حديثة الشكل والمحتوى، تعيش عصرها وتتفاعل معه برؤى مميزة، لا تقلد فيها فتندثر، ولا تغلق الحدود على نفسها فتتخلف، هذه الشخصية الفذة نالت من الأصدقاء والأعداء الثناء والإنصاف، فالملك المؤسس هو كما يقول عنه الصحفي اللامع محمد حسنين هيكل: "إن الملك عبدالعزيز آل سعود قضية متفق عليها، ودور معترف به، فهو بكل المعايير شخصية تاريخية كبيرة، ضمن مؤسسي الدول ومنشيء النظم في هذا العالم العربي وفي ظروفه وأحواله"(١)، فالجزيرة العربية بعد العز الأول الذي نالته بظهور الإسلام فيها، وخروج الأبطال من دعاتها ورجالاتها إلى أرجاء الدنيا يدعون إلى الإسلام، ويقيمون حضارة لم تر الإنسانية مثلها، توازن بين الروح والجسد، بين الدنيا والآخرة، تبني الحياة بالفضائل، وتمنع انهيارها بمواراة الرذائل، هذه الجزيرة أخذت تتوارى بفعل انتقال عواصم الدولة الإسلامية إلى مدن الأقاليم المفتوحة، حتى جاء العصر الذي انهارت فيه آخر دولة للإسلام موحدة بسقوط الخلافة العثمانية، فكانت الجزيرة آنذاك وقبله بقليل تعيش في مجاهل العالم، جهلاً وفقراً وتشتتا وفرقة، لا يذكرها الناس إلا إذا تحدث القاصدون البيت الحرام للحج، وما رأوه من أهوال في طريقهم إليه، ويشاء الله العلي القدير أن يبعث في أرض الجزيرة حماساً منقطع النظير لاستعادة عز ومكانة مفقودة لأرض الجزيرة، التي كانت ولا تزال منطلق الدعوة إلى الإسلام، وإظهار دين الله ولو كره الكارهون، فكان آل سعود مثير هذا الحماس، فأول من أطلق الدعوة إلى عز هذا الوطن ببعث عز الإسلام ومجده، المؤسس الأول لدولة آل سعود الأمير محمد بن سعود يرحمه الله، بعد أن توافق ما يرنو إليه مع ما يدعو إليه الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - وتعاهدا على العمل للدعوة الإصلاحية المباركة، التي بَشَّر بها الشيخ، وعلى نشرها في أرجاء الجزيرة العربية، فاستطاعت تلك الدولة الناشئة في زمن يسير أن تضم إليها معظم أقاليم الجزيرة العربية، وكان من الممكن أن تصبح الجزيرة العربية في ظلها دولة واحدة، لولا أن الظروف العالمية والإقليمية آنذاك غير مواتية، وكثير من القوى العالمية مناهضة لأي توجه لإقامة حكم إسلامي


★★★★★★
الملك عبدالعزيز
كـان صلة الوصل
لآبائه وأجــداده
★★★★★★

المنهج والنظام، فانتهت الدولة السعودية الأولى كدولة وحدة عربية إسلامية، وحدت قلب الجزيرة العربية وضمت معظم أقاليمها في عام ١٢٣٣هـ بعد حرب ضروس مع الدولة العلية في مصر، والتي ندبتها الدولة العثمانية لحرب آل سعود،(٢) ولكن الرغبة في توحيد الجزيرة العربية على أساس دولة إسلامية المنهج والنظام، تعيد إليها مجدها الغابر، وتحقق لها القوة والمنعة ظلت تراود رجال البيت السعودي، حتى في حالات ضعف حكمهم لأسباب خارجة عن إرادتهم، وبعد كل تلك الفوضى التي عمت الجزيرة العربية بعد انهيار الدولة السعودية الأولى استطاع بطل آخر من البيت السعودي أن يؤسس الدولة الثانية في نجد وكادت أن تبلغ في عهده مابلغته الدولة الأولى إلا أن القوى العالمية والدولية رأت خطراً في نشوء دولة قوية في قلب الجزيرة العربية، فأثارت النوازع القبلية والشخصية بين الأمراء وبين القبائل مما أنهى حكم هذه الدولة، وأذن ذلك بنهاية الدولة السعودية الثانية، بداية القرن الرابع الهجري عام ١٣٠٩ تقريباً.

دولة الأصالة والحداثة:

ولكن الرغبة في توحيد هذا الوطن على أسس إسلامية قويمة دعا القائد البطل عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، أن يعاود الكرَّة لإقامة هذه الدولة عام ١٣١٩هـ حينما فتح "الرياض" بثلة من الأبطال لم يتجاوز عددهم الأربعين رجلاً إلا قليلاً،(٣) وجميع من كتب عن القائد الموحد المؤسس محباً له كان أو كارها يعترف له بصفات متميزة، جعلت منه النموذج الأمثل للقائد العربي المسلم، الذي يتميز بالشجاعة وقوة العزيمة والحكمة والحنكة السياسية والعسكرية وفضائل أخرى عديدة، مع إيمان راسخ بقضيته التي دفعته للتضحية بكل ما يملك، وحتى بذل روحه في سبيل غايته، وقضيته هي أن هذه البلاد لا يوحدها إلا الإسلام، ولا يعيد إليها العز إلا اتباع أحكامه، وإقامة النظام على أسسه وثوابته، فهو يقول: (لا ينهض المسلمون بغير الرجوع إلى دينهم والتمسك بعقيدتهم الصحيحة، والاعتصام بحبل الله سبحانه، والطريق إلى ذلك واضح معبد لمن أراد سلوكه، وهو إفراد الله سبحانه وتعالى بالتوحيد الخالي من الشرك والبدع، والعمل بما يأمرنا به الدين، لأنه لا فائدة من قول بلا عمل) ويقول: (إن الإسلام هو الوسيلة لسعادة الدنيا والآخرة)،(٤) لذلك فقد أقام دولته منذ أول يوم أسس فيها ملكه، يوم أن استعاد ملك الآباء والأجداد على نظام الإسلام ومنهجه، ليحقق الغاية التي إليها سعوا أن يعود الأمر في جزيرة العرب إلى نصابه، فينتشر نور الهدى ويعم الأرجاء فتتوحد الأمة ويرتقي الوطن، ويقول ـ رحمه الله: "إنني والله لا أحب إلا من أحب الله خالصاً من الشرك والبدع، وأنا لا أعمل إلا لأجل ذلك ولا يهمني أن أكون ملكاً أو فقيراً" فالغاية واضحة كل الوضوح إقامة دولة إسلامية المنهج والنظام، تأخذ بأساليب العصر، وتستفيد من كل إمكاناته وتقنياته فالقائد المؤسس يقول: "إني أرى كثيراً من الناس ينقمون على ابن سعود، والحقيقة ما نقموا علينا إلا اتباع كتاب الله وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- ومنهم من عاب علينا التمسك بالدين، وعدم الأخذ بالأعمال العصرية، فأما الدين فوالله لا أغير شيئاً مما أنزل الله على رسوله- صلى الله عليه وسلم، ولا أتبع إلا ما جاء به، وليغضب علينا من شاء، وأما الأمور العصرية التي تعيننا وتفيدنا ويبيحها دين الإسلام فنحن نأخذ بها ونعمل بها، ونسعى في تعميمها، ولا مدنية أحسن وأفضل من مدنية الإسلام"،(٥) فقد عارض رحمه الله الموقفين المتطرفين، موقف الرافضين لكل تجديد وتطوير لا يخالف أصلاً من أصول ومقاصد الإسلام، وموقف من يرون أن التجديد والتطوير لا يكون إلا بالتخلي عن الثوابت والأصول، فحسم ذلك في عقله وفكره وناضل عنه بالحوار وتبادل الرأي، حتى إذا لم يبق إلا الحسم، رد الخارجين على الدولة بدعوى الجهاد ورفض كل جديد على أنه محرم وبدعة، ولو كان فيه صلاح أمر البلاد والعباد، اسمعه يقول: "إن الله جعل المسلمين فريقين، الفريق الأول: المجاهدون الذين يرابطون للدفاع عن حوزة الدين، والفريق الآخر: الذين يشتغلون بالصناعة والزراعة وغيرها، فإذا سرنا نحن المسلمين على هذا المنوال، فهناك الرقي والحضارة والتمدن، وأما ادعاء أولئك المتفرنجين من المسلمين: أن التمسك بحبل الدين يرجع بنا القهقرى إلى الوراء، فهو ادعاء باطل وقول مكذوب، لأن الدين لا يمنع الناس عن تعلم الصناعات وما شاكلها، بل هو يحث عليها في مواضع كثيرة في محكم آياته)،(٦) وهو لذلك رفض دعاوى من تعصبوا فرفضوا كل وسيلة حديثة تستعين بها الدولة لتلحق بعصر تتنامى فيه المخترعات والمستحدثات، التي تجعل الحياة أسهل وأيسر، وفي استخدامها قوة للدولة المسلمة، التي استقر



نظامها في قلب الجزيرة العربية، وأصبحت مثالاً يحتذى للعالم الإسلامي كله، فوصف هؤلاء بأنهم يتعبدون عن جهل ويتقربون عن جهل، وأدرك النوايا من بعض الغلاة، الذين يتشددون بالدين، ويصير معهم تعصبات وأمور مخالفة للشرع وهم مغرورون، ومن معهم ممن له مقاصد سيئة كطمع وغيره كما كان يقول،(٧) لذلك حسم الأمر برأي جامع من العلماء والأمة وردع المتجاوزين للحدود، دون أن ينتقص لهم حقاً، أويسيئ إليهم، وقد كانوا من رجاله ونواة جيشه حينما وحد هذا الوطن، ولكن الحكمة تقتضي إقامة الدولة على أصولها الإسلامية وأساليب الحياة المعاصرة.. وهكذا كان.

إن شخصية الملك الموحد المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ـ يرحمه الله– شخصية قوية ذكية نادرة، فقد عرف بلاده وأهلها، وما يمكن أن يؤدي إلى وحدتها، فهم عرب أقحاح لهم عزة وكرامة، لا يخضعهم إلا الحق المتمثل في الإسلام نظاماً ومنهجاً، فجمعهم به وتسامح مع أفرادهم وجماعاتهم، ثم بنى دولة عصرية لها كل مقومات الدولة الحديثة، وما تنعم به بلادنا اليوم من ازدهار وأمن ورخاء يعود كله إلى ذلك الغرس، الذي زرعه القائد الموحد، الذي ربى أبناءه القادة من بعده على ما كان يؤمن به وعنه يدافع، وأوحى إليهم بكل هذه الخطوات الرائدة، التي صنعوا بها كياناً كبيراً مستقراً ننعم به اليوم، فرحمه الله رحمة واسعة، وإنا في هذه المناسبة الأثيرة إلى نفوسنا نتذكر جهوده الرائعة، ونحن على يقين أن دولتنا الراشدة الرشيدة آمنة من كل الأخطار مادامت على المنهج القويم الذي اختطه لها القائد الموحد المؤسس وسار على دربه قادتها من بعده والله ولي التوفيق.

---

(١) من مقدمة كتاب "لسراة الليل هتف الصباح" للشيخ عبدالعزيز التويجري ص١٨، ١٩

(٢) تاريخ المملكة العربية السعودية للدكتور عبدالله صالح العثيمين بدءاً من ص١٧١ وحتى ص١٩٧.

(٣) صقر الجزيرة للأستاذ أحمد عبدالغفور عطار ص٢٤٤.

(٤) كتاب "لسراة الليل هتف الصباح لمعالي الشيخ عبدالعزيز التويجري ص٧٨٢ وص٧٨٣.

(٥) السعوديون والحل الإسلامي للأستاذ محمد جلال كشك ص٣٠، ٣١.

(٦) السعوديون والحل الإسلامي. للأستاذ محمد جلال كشك ص٣١.

(٧) نفس المرجع ص٦٥٩ وما بعدها.



أركان هذه المملكة قامت على التوحيد والوحدة ..

مجلة المنهل ظلت المدوّنة التوثيقية لمراحل تطور المملكة ونهضتها..

أحمد محمد الصائغ - جُدة

حقاً لقد قامت الدولة السعودية منذ عهدها الأول على قواعد راسخة ومبادئ سامية مستمدة من منهج الإسلام الصحيح، والتزمت بالعقيدة والشريعة الإسلامية، وناصرت دعاة الإسلام منذ عهد الإمام محمد بن سعود رحمه الله حيث واكبت عهده الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ الجليل محمد بن عبدالوهاب داعية التوحيد والتجديد في العصر الحديث.

وكانت العلاقة الوثيقة بين الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب ووحدة الهدف بينهما نقطة تحول في تاريخ الجزيرة العربية، وأساساً قوياً للإصلاح الديني والاجتماعي الذي شمل الحاضرة والبادية، واستقطب الكثيرين من المؤيدين والأنصار من رجال العلم والفكر ودعاة الإصلاح من ذوي الفهم السليم لأصول الإسلام في الأقطار العربية والإسلامية.

وقد نالت الدولة السعودية في فتراتها الثلاث عناية واهتمام الكثير من الباحثين والمؤرخين وخاصة الفترة الثالثة التي تمثل تأسيس المملكة العربية السعودية على يدي الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود الذي يعتبر من أبرز زعماء الإصلاح في العصر الحديث، وقد كرس حياته لتوحيد المملكة، وعمل على إزالة عوامل التخلف المتمثلة في (الفقر والجهل والمرض) وانتشل البلاد من الفوضى والصراعات الإقليمية والقبلية، وقادها إلى عهد النظام والوئام في ظل شريعة الإسلام، ووطد دعائم الأمن والاستقرار، ووضع البلاد على طريق النهضة الحديثة التي امتدت وتنامت وازدهرت على أيدي من خلفوه من أبنائه الميامين، كما كانت للملك عبدالعزيز مواقفه المشرفة في خدمة ودعم القضايا العربية والإسلامية في المحافل الدولية.

وما قبل ظهور البترول في المملكة كانت تعتمد على إمكاناتها الذاتية المتاحة وجهود ونشاط أبنائها في مجالات التجارة والزراعة والثروة الحيوانية، والتعامل التجاري مع الأقطار العربية المجاورة وغيرها من الدول على أساس المصالح المشتركة والاحترام المتبادل.
وفي عهد الملك عبدالعزيز تحقق أهم إنجاز حيوي وهو اكتشاف البترول في المملكة ثم إنتاجه وتصديره، وقد أصبح بشكل أهم مصدر تعتمد عليه بعد الله سبحانه وتعالى موارد الدولة، وتمويل مشاريع التنمية الشاملة والبنية الأساسية لنهضة وتطوير البلاد في شتى المجالات.
وقد شهدت المملكة نهضة مباركة وتطوراً سريعاً ومدهشاً خلال الثلاثة العقود الأخيرة من تاريخها أي منذ بداية تنفيذ الخطط الخمسية للتنمية منذ عام ١٣٩٠هـ -١٩٧٠م وقد أولت خطط التنمية جل الاهتمام لتطوير المواطن والمجتمع. ومن أهدافها تعميق الولاء والانتماء لدى المواطنين. ومع استمرار الحكومة الرشيدة في تنفيذ خطط التنمية وحرصها على النمو والتطور فهي تؤكد على ضرورة التمسك بتعاليم الدين الإسلامي والمحافظة على التراث والقيم الإسلامية.
ومن بعد عهد العاهل المؤسس الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه سار من تعاقبوا على الحكم من أبنائه الأمناء على المنهج الذي قامت عليه هذه الدولة وهو منهج الإسلام عقيدة وشريعة.
وشواهد ومعالم النهضة بارزة في سائر مدن وقرى المملكة من النواحي العمرانية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية. وحسبنا أن نذكر بكل اعتزاز ما بذلته وتبذله الدولة من جهود وعناية خاصة بشؤون الحرمين الشريفين وتيسير سبل الحج والعمرة للحجاج والمعتمرين وزوار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.. لقد بذلت الدولة ما في وسعها في سبيل توسعة الحرمين الشريفين وتطوير المشاعر المقدسة. وفي كل عام تحشد الدولة كل الإمكانات والوسائل والطاقات البشرية اللازمة لتأمين الخدمات المطلوبة لضيوف الرحمن طوال إقامتهم في الديار المقدسة وحتى عودتهم إلى ديارهم سالمين غانمين.
وتشيد وسائل الإعلام العربية والإسلامية بما تؤديه المملكة حكومة وشعباً من خدمات جليلة ومتميزة لضيوف الرحمن التزاماً بواجبها الإسلامي، واذكر ما سبق أن نشرته إحدى الصحف العربية الأسبوعية من حقائق ضمن الحديث الذي أدلى به إليها معالي وزير الحج -آنذاك- الدكتور محمود محمد سفر والذي ورد فيه قوله:
"نحن نتعامل مع ما لا يقل عن ١٢٠ نوعية من الحجاج بجنسيات مختلفة ولغات مختلفة وإمكانيات اقتصادية مختلفة. ونستطيع أن نؤكد أن ما لا يقل عن ٤٠ إلى ٦٠٪ من طاقة المملكة الإنتاجية يصرف على أمور الحج في فترة الحج وفي أيام الذروة فجميع أجهزة الدولة بشتى تخصصاتها تجند تجنيداً كاملا خلال أشهر الحج لخدمة ضيوف الرحمن".
وبذلك ينعم الحجاج بأداء مناسكهم في أجواء إيمانية، ومشاعر تفيض بالغبطة والسرور لما يجدونه من كريم العناية، وما يشاهدونه من إنجازات تبعث على التقدير والإعجاب وفي مقدمتها المشروع الإسلامي الخالد لتوسعة الحرمين الشريفين الذي لم يسبق له مثيل في التاريخ وبكل المقاييس.
وتتواصل مسيرة الخير والبناء والعطاء بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود سدد الله خطاه لمواصلة جهوده الإصلاحية الموفقه في سبيل رفعة الوطن وتوطيد الأمن والاستقرار، واستمرار النمو والازدهار.
ومجلة (المنهل) الرائدة تعتبر أولى المجلات السعودية التي واكبت مراحل النهضة منذ بداية صدورها عام ١٣٥٥هـ في عهد الملك عبدالعزيز وفي ظل رعايته وتشجيعه، وصدور (المنهل) في تلك المرحلة من تاريخ المملكة خير دليل على مدى تقدير الملك عبدالعزيز رحمه الله لدور الصحافة الهادفة وأثرها الإيجابي في تنوير وتطوير المجتمع.
وقد ظلت (المنهل) تلتزم بدورها وواجبها الديني والوطني وتعبر في كل مناسبة عن الولاء للقيادة الحكيمة، والوفاء للمؤسس العظيم لهذا الكيان الشامخ. ومن مظاهر هذا الوفاء أن مؤسس (المنهل) الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري رحمه الله أصدر عدداً خاصاً من (المنهل) عن ذكرى وسيرة جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله في شهر ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ -نوفمبر ديسمبر ١٩٥٣م.
وقد افتتح الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري ذلك العدد بمقال ضاف بعنوان (عظمة وخلود) تضمن قوله: "فقد أسس الملك عبدالعزيز مملكة مترامية الأطراف، من شتات وأشتات، ودعم بحزمه وحكمته، وبكرمه وحلمه، وطيب سجاياه- وحدتها وكيانها. حتى أصبحت بلاده مرموقة المكانة، وشعبه محترم الشخصية.. وقد عارك جلالته الحوادث، وذلل الأحداث، وجالد وكافح، وناضل، وسهر الليالي الطوال في تكوين هذه المملكة الفتية، وكانت سياسته الحكيمة عربية إسلامية عريقة أصيلة.. إلخ".

يُسْر الإسلام ورحمته في فرض الصيام

لفضيلة الشيخ/ محمود شلتوت - رحمه الله

استقر في ضمير المؤمنين أن ما ثبتت فرضيته أو حرمته ليس محلاً للرأي، ولا مجالاً للاجتهاد الذي أباحه الله للعباد، واستقر كذلك في ضميرهم أن من يعبث بشيء من الأحكام القطعية، ويتخذ ذلك العبث باسم "الرأي وحريته" قنطرة يعبر عليها إلى فتنة الناس في دينهم، أو زعزعة إيمانهم، أو الحصول على شهرة زائفة مفتعلة، أو متاع زائل حقير كان هو ومن يتبعه ويصدقه ومن يقويه وينفخ فيه، كان "ثلاثتهم" في الخروج عن دين الله سواءً، وكان جديراً بالمؤمنين الصادقين أن ينبذوهم نبذ النواة، وأن يَسِمُوهم على الخرطوم بحروف بارزة "ضالون مضلون" (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُّنِيرٍ * ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ).

إن لكل دين إلهي أو نظام بشري دائرة مقدسة وشقة محرمة لا يسمح الدين ولا أهل النظام أن تمس، وإذا مست عن قرب أو بعد كان مسها اعتداءً صارخًا عليها، وتقويضًا لقداستها وانتهاكًا لحرمتها، ولا يبرره أنه رأي، وحرية الرأي مكفولة، فإن للرأي في الشرائع - سماوية أو وضعية- مجاله، وللدائرة المقدسة مجالها، وعلى هذا طبعت النفوس في معتقداتها ونظمها ودساتيرها.

ومن جهة أخرى فقد بنى الإسلام تشريعه كله على

اليسر والرحمة، ولم يقصد بتكاليفه -بوجه عام- عنتاً ولا إرهاقاً (لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا). (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)، ومن ذلك: رخص لمن أُكْرِهَ على الكفر أن ينطق بكلمته وقلبه مطمئن بالإيمان، ورخص لمن أشرف على الهلاك أو خاف الضرر بجوع أو عطش أن يأكل أو يشرب مما حرَّمه الله بقدر ما يحفظ عليه حياته، أو يدفع عنه ضرره، حتى إذا ما تزمَّت في التدين، وامتنع باسمه عن الأكل أو الشرب حتى مات، أو أصيب بزمانة كان آثمًا عند الله مسرفًا في تدينه، (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ).

وكذلك أباح لمن يتضرر أو يخاف الضرر باستعمال الماء في طهارة الصلاة أن يتيمم صعيدًا طيبًا. وأباح الصلاة في مواطن الخوف والمشقة، مخففة في عدد ركعاتها، وكيفية أدائها، حتى لقد تقبلها رمزًا بحركة رأسية أو عينية. وأباح ترك الحج عند خوف الطريق، وجعل أمنه والقدرة على نفقة الذهاب والإياب زائدة عن نفقة الأسرة من الاستطاعة التي لا يجب الحج إلا بها.

وعلى هذه السنة الرحيمة العامة في التكاليف كلها فرض الله صوم رمضان، وجعل الناس بالنسبة إليه واحداً من ثلاثة:

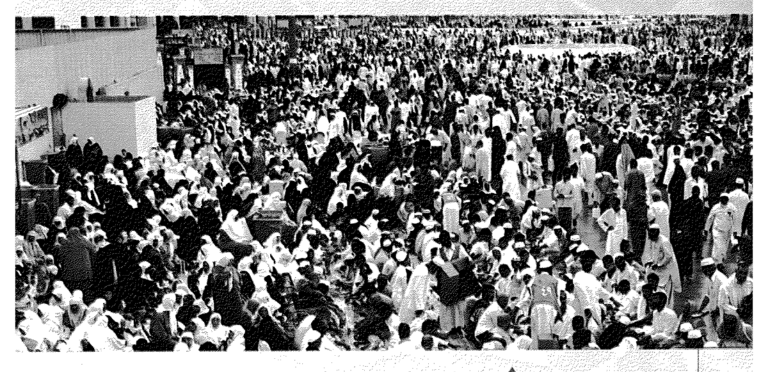
١- مقيم سليم قادر عليه دون ضرر يلحقه أو مشقة ترهقه، والصوم واجب محتم عليه. وهذا هو الأصل الذي نظر فيه إلى السلامة من العوارض، وهو المذكور بقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ) وقوله (فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)

٢- مريض أو مسافر، وقد أبيح له الإفطار مع وجوب القضاء يوم بيوم عند الصحة أو الإقامة، وهو المذكور بقوله تعالى: (فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ)

٣- من يشق عليه الصوم لسبب لا يرجى زواله، ومنه ضعف الشيخوخة، والمرض المزمن، والحمل والإرضاع المتواليات إذا خيف على الحامل أو المرضع أو الرضيع، وقد أبيح لهؤلاء وأمثالهم الإفطار دون قضاء، واكتفى منهم أن يطعموا بدلاً عن كل يوم مسكينًا واحدًا بما يشبعه في وجبتين من طعام متوسط، ويقوم مقام الإطعام بدل ثمنه على حسب التقدير المتعارف بين الناس، وهذا هو المشار إليه بقوله تعالى: (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ)، وإنما يقال: يطيق حمل هذه الصخرة. وإذن فهي تدل على العسر ومشقة الاحتمال.

وإذن.. فحيث كان اليسر كان الصوم، وحيث كان العسر كان الإفطار، هذا هو شرع الله ودينه. وتقدير اليسر والعسر يرجع المؤمن فيه إلى إيمانه وما يحسه من نفسه، ومفتيه في ذلك ضميره، ولا حاجة -بعد معرفة المبدأ العام- إلى فتوى المفتين التي كثيراً ما توقع الناس في الحيرة والاضطراب "البر ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في الصدر وكرهت أن يطلع عليه الناس".

ومما يجب التنبيه عليه هنا أن المراد بخوف الضرر المبيح للإفطار هو تيقنه أو غلبة ظنه، وواضح أن ذلك يستدعي التجربة الشخصية، أو إخبار الطبيب الأمين الذي لا يعرف بالتهاون الديني. أما الخوف الناشئ عن مجرد الوهم أو التخيل فإنه لا وزن له عند الله ولا يبيح به الإفطار.



الصوم في الإسلام.. شبهات وردود

أ. د. أمان محمد عبدالمؤمن قحيف - مصر

من لم يعرف جوهر شعائر الإسلام لا يتذوق طعمها، ومن لم يلامس الإسلام شغاف قلبه يظل حائراً متردداً يعاني الأرق والتوتر، وتظل نظرته إلى شعائر الإسلام حبيسة هذا الاحساس الذي لا يجني صاحبه من ورائه إلا مزيداً من الأرق والتوتر.. وهناك من الماديين- من أبناء أمتنا- الذين أغوتهم النزعات المادية مَنْ نظر إلى الصيام من هذا المنظور.. فذهب يوجه سهام نقده إلى الصيام كشعيرة دينية- بل يهاجم الإسلام كله- بدلاً من أن يتوقف معه وقفة علمية مدققة ليستكنه سره ويدرك جميل أثره. ولقد ظن هؤلاء أن نقدهم للصيام هو قول في محله، غير مدركين أنهم يعبثون في أقوالهم كمن عز عليه استيعاب القواعد الأساسية لعلم الفيزياء- لضيق أفقه- فلم يفعل شيئاً غير أن ذهب يهاجم هذا الفرع من العلوم ويتهمه بأنه لا يتوافق مع العقل الإنساني والروح العلمية.

الصوم عبادة تقوم

على النيــــة

الخالصة لله تعالى

ولقد حدد هذا المقال لنفسه مهمة معينة ألا وهي تناول بعض الشبهات التي وقع فيها الماديون، بالرد والتحليل بهدف البرهنة على بطلانها وسطحيتها وتهافت عقول القائلين بها.

أولاً: تعريف الصيام:

جاء عند الفقهاء أن "الصوم لغة: الإمساك بنية التعبد عن

الأكل والشرب وغشيان النساء، وسائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس"(١)... وجاء عند المفسرين أن الصوم هو "الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله عز وجل لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة"(٢).. بهذا المعنى يكون الصيام عبارة عن الامتناع عن ممارسة الإنسان لسلوكه الحياتي في شكله المعتاد من تناول للطعام والشراب وتلبية حاجات الجسد من الشهوات المعلومة، شريطة أن يكون الامتناع بنية تنفيذ أمر الله وطاعته.

والملاحظ أن الفقهاء وعلماء التفسير قد ركزوا على إبراز النية؛ إذ لابد أن تكون نية الصائم متجهة إلى أنه سيمسك عن كل المفطرات احتساباً لوجه الله الكريم وليس لأي هدف آخر.. والحق أن هذه النقطة وإن كانت مهمة في الماضي فإنها اليوم أكثر أهمية من ذي قبل؛ لأن هناك في عصرنا هذا من يمسك عن الطعام والشراب وربما سائر المفطرات لكن لأسباب أخرى غير طاعة الله عز وجل وتلبية أوامره، كالصيام من أجل الرشاقة (الرجيم) والصيام من أجل رفع اللياقة البدنية (للرياضيين) والصيام من أجل المطالبة بالحقوق السياسية فيما يسمى (الإضراب عن الطعام)... وغيرها من الأسباب التي يمتنع بعض المعاصرين عن الطعام والشراب من أجل تحقيقها.

ثانياً: قضية كل عام:

ومع الحديث عن ظهور هلال الشهر المبارك تثار كل عام قضية الوسيلة المعتمدة في تحديد بداية الشهر، فهل نلجأ إلى الرؤية العينية المباشرة دون الاستعانة بأدوات العصر الحديث وآلياته التي أنتجها العلم المعاصر أم نزاوج بين هذا وذاك من منطلق أن العلم الصحيح لا يتعارض مع الدين الحنيف؟

والحق أن هذه القضية أثيرت منذ فترة من الزمن غير أنها تكاد تكون قد حسمت في أيامنا هذه، حيث أكد جمهور الفقهاء المعاصرين أن الإسلام لا يرفض الاستعانة بأدوات العصر ومنجزات العلم عند الحاجة إليها.. غير أن الإنصاف يقتضي الإشارة إلى أن هناك من الباحثين من يتحفظ على الأخذ بهذا الأسلوب الجديد.. لكنهم قلة لا يمثلون إجماعاً.

وتجدر الإشارة إلى أن رفض هؤلاء العلماء للأخذ بالأسلوب العلمي الحديث جعل جماعة من الماديين يهاجمون الدين الإسلامي ذاته، حيث ردد هؤلاء أن الإسلام لا يتوافق مع منجزات العلم، ووقعوا بذلك في الخلط بين آراء العلماء الباحثين في الدين وبين الدين ذاته.. الأمر الذي دحضه العقاد بقوله "لا لوم على الشرع في رفض حساب العلم أو شهادة الرصد كل الرفض بغير تمييز، إذ هو جهل من المنتسبين إلى الشرع وادعاء عليه بغير بينة.. وإنما اللوم على جهل الجهلاء وجمود الجامدين"(٣).

والرأي عند كاتب السطور أن الذين يرفضون الأخذ بالحسابات الفلكية لهم الحق في الرفض إذا كانت هذه الحسابات حسابات منجمين؛ لأن المنجم لا يعتد برأيه في الإسلام، جاء في الفقه على المذاهب الأربعة "ولا عبرة بقول المنجمين، فلا يجب عليهم الصوم بحسابهم، ولا على من وثق بهم"(٤).. غير أن الذي نود الإشارة إليه أن الحسابات الفلكية العلمية المعاصرة تختلف كل الاختلاف عن التنجيم الذي لا يقوم على علم ولا دراية صحيحة، ولابد لنا من التفرقة بين علم الفلك الذي نبغ فيه المسلمون وبين التنجيم الذي رفضه الإسلام ولم يثق فيه أهل الملة وعلماء الدين.

ثالثاً: الفضائل المادية للصيام:

أدرك الناس منذ زمن الوحي العديد من الفوائد والفضائل الروحية للصيام لذلك أقبلوا عليه وأدوه باعتباره أحد الأسس الخمس التي بني عليها الإسلام، وباعتباره فعلاً تعبدياً يمد الصائم بزاد روحي ومعنوي كبير.. أما في زماننا هذا الذي سيطرت عليه الفلسفات المادية فإن هناك من الناس من يقوى اقتناعه ويزداد عندما يدرك أن ثمة فضائل مادية ملموسة تعود عليه من الأفعال التي يؤديها ويقدم عليها في حياته.

وشاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يكون للصوم منافعه وفضائله المادية التي يستطيع المسلم المعاصر أن يرد من خلالها على الماديين الذين ينتقدون فعل الصيام زاعمين خلوه من الفوائد المادية التي هي عندهم أصل كل شيء- لأنهم لا يؤمنون بالفائدة الروحية والمعنوية فقد حرموا لذتها وباعد الله بينهم وبين التمتع بها؛ لأنهم فسقوا وبعدوا عن طريق الدين {إن الله لا يهدي القوم الفاسقين} (المنافقون:٦)- وغاية كل جهد إنساني في هذه الحياة.

وقد كان الماديون يظنون حتى عهد قريب أن العبادات ليس لها من المنافع المادية نصيب غير أنه في العصر الحديث "قد ثبت للعبادات الروحية من الفضائل ما لم يثبت لها قبل القرن العشرين بغير فضيلة الطاعة الواجبة لأوامر الدين، أو بغير الأسباب التي ينفرد الدينيون بتفسيرها وإقامة الأدلة على لزومها، فلا تدخل في نطاق البحوث التي يتصدى لها علماء الماديات وعلماء المحسوسات.. والصيام في مقدمة هذه الأوامر الدينية التي أعيد فيها النظر بأيدي أبناء القرن العشرين، فظهرت لها مزاياها الكثيرة إلى جانب العبادة والإيمان بالغيب، مع حقوق الشهادة والعيان.. فقد أصبح أبناء القرن العشرين جميعاً يزاولون نوعاً من الصيام في وقت من الأوقات لصلاح البنية أو صلاح الخلق أو صلاح الذوق والجمال"(٥). ومنهم من يزاول الصوم لتقوية الإرادة الإنسانية كي ما تتعود على ترك المألوف من العادات والسلوكيات اليومية العادية والتقليدية. ومنهم من يستخدم الصيام وسيلة لتحقيق غرضه السياسي، وهذا ما يسمى بـ"الصيام السياسي" أو ما يسمى في لغتنا المعاصرة بـ"الإضراب عن الطعام".. وهكذا تتعدد الفضائل المادية للصيام وتتنوع في العصر الحديث حتى تشمل مختلف جوانب حياة الإنسان الجسدية والخلقية والذوقية والجمالية، الأمر الذي يكشف ويؤكد للماديين والملحدين- إن كانوا منصفين- أن فرض الصيام على المسلمين لم يكن إلا من لدن عزيز حكيم.

الصوم تزكية للنفوس وارتقاء بها في معارج الخير.

★★★★★★

رابعاً: كما كتب على الذين من قبلكم

ونلفت نظر المتشككين والمترددين من الماديين إلى أن المتأمل في آيات الصيام يتبين له حرص القرآن الكريم على الإشارة إلى أن الصيام كُتب علينا مثلما كُتب على الأمم التي سبقتنا، قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم} (البقرة:١٨٣)، ومن المؤكد أن لهذا الأمر دلالته.. فعندما يتوقف الباحث أمام هذه الآية ويتأملها بحيادية، فإنه سيدرك - بدون عناء طويل- أنه من كلام رب العالمين لا محالة، فالله تعالى وحده هو الذي يعلم ماذا فعلت الأمم السابقة، وبماذا تم تكليفها، وما مدى استجابتها لهذا التكليف؟ قال تعالى: {ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير}(الملك: ١٤).

وإذا كانت وجهة نظر بعض المفسرين تنتهي إلى أن المقصود بالأمم السابقة: أي من أهل الكتاب، فإن المعنى قد يُحمل لدى البعض على كل الأمم السابقة على الأمة الإسلامية خاصة وأن القرآن الكريم يقول



{كما كتب على الذين من قبلكم} ولم يحدد من أهل الكتاب أو من غير أهل الكتاب، لذا فقد يُحمل المعنى على جميع الأمم السابقة كتابية كانت أو غير كتابية.

ويرى كاتب هذه السطور أن هذه الآية تثبت أن القرآن الكريم كلام الله لا محالة لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكن قد درس تاريخ الحضارات الإنسانية السابقة ولم يكن من علماء الأنثربولوجيا، أي لم يكن لديه المخزون المعرفي الذي يسمح له بأن يقرر حقيقة علمية كهذه الحقيقة التاريخية التي لم يعرفها إلا علماء العصر الحديث، حيث إن "المتواتر من أقوال الباحثين عن عادات الأجناس البشرية أن الصيام بجميع أنواعه قديم في أمم العالمين: القديم والحديث.. ففي حضارات أمريكا آثار تدل على قدم الصيام بين شعائر العبادة التي دان بها سكانها الأصلاء قبل ميلاد السيد المسيح، وقد اشتهر الصيام البرهمي والبوذي منذ أقدم العصور التاريخية، مع تحريم أكل اللحوم كما هو

الوسائل الحديثة لترائي الهلال تيسير على المسلمين..

★★★★★★

معلوم، واشتهر مثله صيام البابليين والآشوريين على نحو قريب من الصيام الذي تعلمه منهم اليهود أيام السبي متابعة للشعائر الدينية التي جاء بها الرسل الأسبقون فيما بين النهرين، وأولهم نوح عليه السلام على القول المشهور.. وكان الصيام معروفاً عند المجوس الزرادشتيين ولكنهم- أو طائفة منهم- حَرَّموه أخيراً لثورتهم على العبادات البرهمية والعبادات الآشورية بعد اصطدام العقائد الجديدة بالعقائد الموروثة السابقة عليهم.. ولا يندر الصيام في أمة من الأمم الكبيرة غير الأمم التيوتونية من أبناء الشمال، فإنه قليل في تاريخهم القديم وإن لم يكن مهملاً كل الإهمال، ولعلهم أقلوا

منه لصعوبة الاستغناء عن الطعام زمناً طويلاً في البرد الشديد، أو لصعوبة توقيت المواعيد حيث تطول الفترة بين شروق الشمس وغروبها، فلا ينتظم التوفيق بينهما وبين وجبات الطعام"(٦)

ومن هذا المنطلق يستطيع الباحث الانتهاء إلى أن الأمم السابقة على الإسلام- سواء كانت كتابية أم غير كتابية- قد صامت وعرفت الصيام، وبُنيت هذه المعرفة إما على تشريع ديني أو على عرف اجتماعي، فهناك بعض الأمم التي تركت مسار دينها غير أنها صامت وأقرت الصيام لأسباب أخرى غير طاعة أوامر الله والسير على منهجه.. وهذا الأمر يجعلنا نقول ونكرر في اطمئنان مع القرآن الكريم {كتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم} (البقرة:١٨٣).

خامساً: مزايا الصوم في الإسلام:

ويتساءل بعض الماديين: هل ثمة مزايا للصوم في الإسلام تميزه عن غيره من أشكال الصيام وصوره في الحضارات الأخرى؟.. ولهؤلاء نقول: تعددت أنواع الصوم التي شهدتها الإنسانية وتنوعت، وجاء هذا التعدد والتنوع بحسب الأهداف والغايات التي أنيط بالصوم تحقيقها والوصول إليها، فهناك صوم كان يناط به تقوية الإرادة الذاتية للصائم بينما صوم آخر يراد به الاعتذار عن معصية والتوبة من ذنب وهناك صوم هدفه إدراك ظروف الفقراء من ثم ينمي الصوم داخل نفس الصائم الإحساس بهم والعطف عليهم وهناك صوم يمارسه أهله طلباً للرشاقة الجسدية وتحسيناً للياقة الرياضيين البدنية وهناك صوم بهدف تهذيب الأخلاق وتكريس القيم الإنسانية..إلخ.. ويتميز الصوم في الإسلام بميزتين عن بقية أنواع الصوم الأخرى، نذكرهما على النحو التالي:

أولاً: أنه قادر على تحقيق كل الأهداف والغايات التي أرادت أنواع الصوم الأخرى الوصول إليها وتحقيقها إذ "عند المقابلة بين أنواع الصيام تتبين مزايا الصيام الإسلامي بين جميع هذه الأنواع، فإنه واف بالشروط العامة للصيام المفروض بحكم الدين أو المتبع لرياضة الأخلاق، وهو على ذلك صالح لمقاصد التطهير والعطف والتوبة، والتكفير.. ولا جدال في رجحان الصيام بنظامه الإسلامي، على نظام الصيام الذي يتحرى الصائم فيه اجتناب بعض الألوان من الأطعمة الفاخرة أو الأطعمة الشهية، فإن اجتناب بعض الألوان لا يكفي لترويض وظائف الجسد وتغليب حكم الإرادة عليها، إذ كانت هذه الوظائف تؤدي عملها بكل لون من ألوان الطعام، وقد يكون فيه ترويض للذوق على اجتناب اللذائذ والشهوات الجسدية، ولكنه ترويض ينتفع به القادرون على تحصيل الطعام اللذيذ والطعام الثمين، ولا رياضة فيه – حتى للذوق عند فقدان القدرة على تحصيل هذه الأطعمة في جميع الأوقات.. لا جرم كان الصيام في الإسلام نظاماً لا يفضله نظام بين شتى الأنظمة التي تقدمت بها فرائض الصيام"(٧).

ثانياً: كونه متوازنا غاية التوازن، فهو ليس سهلا يستخف به الإنسان فلا يحقق الأغراض التي شرع من أجلها ولا هو شديد الصعوبة يجهد الإنسان حتى يهلكه أو يسبب له الكثير من الإرهاق، فالصيام في الإسلام "ليس للدهر كله ولا لبعض من الوقت يسير، بل أيام معدودات وهي أيام شهر رمضان، ومن طلوع الفجر إلى غروب الشمس، إذ لو كان الصوم للدهر كله، أو لليوم والليلة لكن فيه مشقة، ولو كان لبعض اليوم ما كان له من أثر، وإنما كان على هذا النحو من الفجر إلى الغروب وأياما معدودات.. وإلى جانب هذه الرحمة فإن الإنسان الذي به مرض ويضره الصوم، أو المسافر سفراً طويلاً، ويشق عليه الصوم شرع الله تعالى لكل من المريض والمسافر أن يفطرا ويقضيا أياماً بقدر الأيام التي أفطرا فيها رحمة وتيسيراً"(٨).. ويضاف إلى ذلك مراعاته لظروف الحائض والنفساء.

الطاعة تسوق لطاعة بعدها.. والمعصية مهلكة وترد..

★★★★★★

الخلاصة

شرع الله تعالى الصيام للمسلمين وفرضه عليهم بشروط، وتعرض الصيام شأن العديد من التشريعات والفروض الإسلامية للنقد من غير المسلمين أو حتى من المسلمين الذين انبهروا ببعض الأيديولوجيات التي تتناقض جوهرياً مع الدين الإسلامي وشرائعه وفروضه.

ولنا أن نؤكد للماديين على نقطة نراها مهمة وهي: أنه لا بأس من التحاور والنقد فذلك سبيل الإقناع، والدين لا ينتشر إلا بالإقناع ولا مجال فيه للإكراه أو الضغط، قال تعالى {لا إكراه في الدين} (البقرة:٢٥٦).

من ثم فلا ضير في التساؤل والتحاور والمجادلة بالتي هي أحسن، بل الضير في العناد والشقاق والتشدد الذي يورث الكراهية والبغضاء ويحجب القلب والعقل ومختلف الحواس عن الامتثال للحقيقة والمعرفة الصحيحة السليمة، الأمر الذي أشار إليه القرآن الكريم عندما قال: {إنَّا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبدا} (الكهف: ٥٧).

الهوامش:

١- راجع الفقه على المذاهب الأربعة، قسم العبادات، طبعة وزارة الأوقاف المصرية، شوال ١٤٠٦ هـ رية/ يوليه ١٩٨٦م، ص٥ وانظر أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، المدينة المنورة، ص٢٦٠.

٢- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار التراث العربي، القاهرة، بدون تاريخ، ج١، ص٢١٣.

٣- العقاد، يوميات، دار المعارف، القاهرة، ج٣، ص٦٤٥.

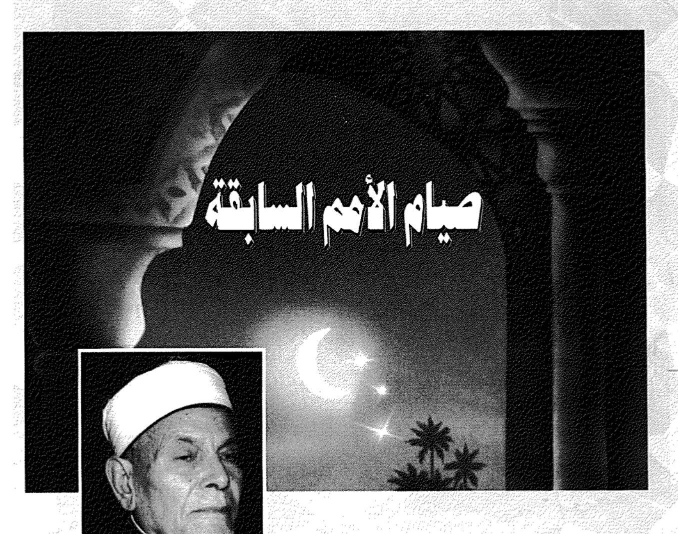
٤- راجع الفقه على المذاهب الأربعة، مرجع سابق، ص١٢، ١٣.

٥- العقاد، يوميات، ج١، ط٢، ص ٣٨٥، ٣٨٦.

٦- المصدر نفسه، ص٣٨٨.

٧- المصدر نفسه، ص٣٨٨.

٨- دكتور أحمد عمر هاشم، الصيام في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١، ص١١.



صيام الأمم السابقة

فضيلة الشيخ عطية صقر

رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف سابقًا

الصيام بوجه عام فرض على غير المسلمين من الأمم السابقة، كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)، وليس في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية بيان كيفية صيام السابقين، وإن كانت الآية تقول عن مريم -عليها السلام- كما أمرها الله: (فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً)، وهو في ظاهره الإمساك عن الكلام، وقد يكون عن أشياء أخرى. وأخبر الحديث المتفق عليه أن داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً.

والصوم في الإسلام إمساك عن الطعام والشراب والشهوة الجنسية من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وصوم الأمم السابقة مختلف في موقعه من شهور السنة، وفي مدته، وفي كيفيته.

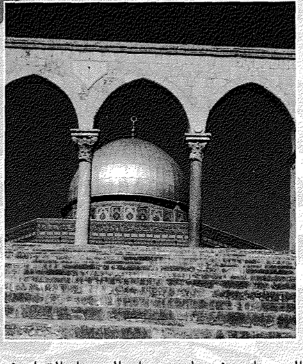
وعرفنا من صيام السابقين صوم عاشوراء عند اليهود شكرًا لله على نجاة موسى - عليه السلام - من الغرق كما ثبت في الحديث الصحيح، وما سوى ذلك يعرف من كتبهم، واليهود المعاصرون يصومون ستة أيام في السنة، وأتقياؤهم يصومون شهراً، وهم يفطرون كل أربع وعشرين ساعة مرة واحدة عند ظهور النجوم،

ويصومون اليوم التاسع من شهر "أغسطس" كل سنة في ذكرى خراب هيكل أورشليم.
والنصارى يصومون كل سنة أربعين يومًا، وكان الأصل في صيامهم الامتناع عن الأكل بتاتًا، والإفطار كل أربع وعشرين ساعة، ثم قصروه على الامتناع عن أكل كل ذي روح وما ينتج منه، وعندهم صوم الفصول الأربعة، وهو صيام ثلاثة أيام من كل منها، وصيام الأربعاء والجمعة تطوعًا لا فرضًا.

جاءت في تفسير ابن كثير أقوال عن بعض الصحابة والتابعين أن صيام السابقين كان ثلاثة أيام من كل شهر ولم يزل مشروعًا من زمان نوح إلى أن نسخ الله ذلك بصيام شهر رمضان، كما ذكر حديثًا عن ابن عمر مرفوعًا أن صيام رمضان كتبه الله على الأمم السابقة.

وجاء في تفسير القرطبي أن الشعبي وقتادة وغيرهما قالوا: إن الله كتب على قوم موسى وعيسى صوم رمضان، فغيروا وزاد أحبارهم عليه عشرة أيام، ثم مرض بعض أحبارهم فنذر إن شفاه الله أن يزيد في صومهم عشرة أيام ففعل، فصار صوم النصارى خمسين يومًا، فصعب عليهم في الحر فنقلوه إلى الربيع، واختار النحاس هذا القول، وفيه حديث عن دغفل بن حنظلة عن النبي - صلى الله عليه وسلم -. ثم ذكر أقوالاً في أن تشبيه صيامنا بصيام السابقين هو في فرضيته وليس في صفته ولا في مدته.

ومن مراجعة كتب التاريخ وأسفار العهد القديم والجديد رأينا أن قدماء اليهود كانوا لا يكتفون في صيامهم بالامتناع عن الطعام والشراب من المساء إلى المساء، بل كانوا يمضون



الصيام مضطجعين على الحصا والتراب في حزن عميق.

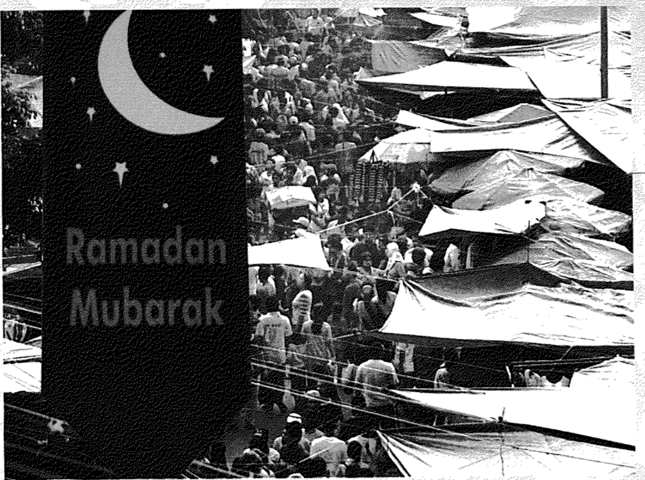
وفي سفر الخروج أن موسى -عليه السلام- كان هناك عند الرب أربعين نهاراً وأربعين ليلة لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماءً، وفي إنجيل متى أن المسيح صام أربعين يوماً في البرية.

وجاء في كلام النبي حزقيال أن صيامه كان عن اللحوم وما ينتج عن الحيوان، وكان النبي دانيال يمتنع عن اللحوم وعن الأطعمة الشهية مدة ثلاثة أسابيع، وجاء في الترجمة السبعينية أن داود قال: ركبتاي ضعفتا من الصوم، ولحمي تغير من أكل الزيت.

والذين لا يدينون بدين سماوي كان عندهم صيام كالبراهمة والبوذيين في الهند والتبت، ومن طقوسهم في نوع منه الامتناع عن تناول أي شيء حتى ابتلاع الريق لمدة أربع وعشرين ساعة، وقد يمتد ثلاثة أيام لا يتناولون كل يوم إلا قدحًا من الشاي، وكان قساوسة جزيرة كريت في اليونان القديمة لا يأكلون طول حياتهم لحمًا ولا سمكًا ولا طعامًا مطبوخًا.

إلى كل من كان يترك الصيام في شهر رمضان

هذه مجموعة أسئلة قدمت للشيخ الدكتور يوسف القرضاوي وأجاب عنها حفظه الله تعالى.



السؤال: أنا لم أصم رمضان طيلة عشر سنوات، أي منذ كان عمري ثلاثين سنة، لست مريضا ولا منكرا لفرضية رمضان ولا جاحدا، بل أقر بأن رمضان فرض على كل مسلم بالغ صحيح عاقل، وأنه الركن الرابع من أركان الإسلام، لكني كنت أفطر لضعف نفسي وطغيان شهوتي.

وفي العام السابق صمت رمضان والحمد لله، ولكن ما الأمر حول ما مضى من السنوات العشر؟ هل أصوم قضاء بمعدل شهر عن كل سنة، وهذا ثقيل علي، أم أكفر عن العشر سنوات التي مضت، أم هل أنا مطالب بصيام سُتين يوما عن كل يوم أفطرته بمعدل (٦٠يوم ×٣٠يوم ×١٠سنوات) على اعتبار أن كفارة إفطار يوم عمداً من غير عذر تكون مثل كفارة الظهار كما قرأت ذات مرة في فتوى لشيخ الأزهر سيد طنطاوي.

علما بأنني لم أنقطع عن الصلاة.. منذ تلك العشر سنوات وإلى الآن.

أفيدوني .. كيف يكون لي اصلاح ذلك الفساد؟

● من تعمد عدم الصيام في شهر رمضان فهذا لا تجب عليه الكفارة، ولكن عليه أن يقضي أياما غير الأيام التي أفطرها توبة إلى الله، وبراءة إليه من هذا الذنب العظيم.فالكفارة تجب على من نوى الصيام ثم أفسده بالجماع.

وليس معنى هذا أن من تجرأ على تعمد الإفطار أقل إثما ممن نواه ثم ضَعُفَ أثناء النهار فغلبته شهوته، ولكن ذلك كمن حلف يمينا على أن لا يفعل شيئا، فله أن يكفر عن هذا اليمين، ويأتي ما حلف عليه، أما من حلف بالله كاذبا فلا تفيده الكفارة ولا تشرع في حقه.

ذلك أن تعمد عدم الصيام في رمضان، وتعمد الحلف كاذبا من الذنوب الكبار التي لا تمحوها الحسنات، ولا تجبرها الكفارات، ولكن لابد لها من توبة يمحو بها ذنوبه السالفة.

لن أؤنب الأخ على ما فرط في جنب الله، وعلى تضييعه فريضة صوم رمضان، -وهي من أعظم فرائض الإسلام- عشر سنوات كاملة - فيكفي تأنيب الأخ لنفسه، وما يعانيه من لوم النفس، وتعذيب الضمير. فلله الحمد أن استيقظت نفسه (اللوامة) بعد أن سيطرت عليه سنين نفسه (الأمارة بالسوء).

والعجيب أننا نرى كثيرا من المسلمين والمسلمات يصومون رمضان، ولكنهم - وأسفاه- يتركون إقامة الصلاة، وهي أعظم فرائض الإسلام بعد الشهادتين. فلا يجترئ على انتهاك حرمة رمضان بالإفطار فيه عمدا، إلا امرؤ فاجر، والعياذ بالله تعالى شأنه.

ولكن الأخ السائل عكس القضية، فحافظ على الصلاة، وضيع الصيام: الفريضة السنوية التي أوجبها الله تعالى شهرا في كل عام، ليهيئ النفوس لتقوى الله عز وجل، كما قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام، كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون} البقرة:١٨٣

وما دام الأخ السائل معترفا بأنه لم يكن منكرا ولا جاحدا لفريضة الصيام في شهر رمضان، بل مقرا بأن صومه فرض على كل مسلم بالغ عاقل لا عذر له، وأنه الركن الرابع من أركان الإسلام، وأنه كان يؤدي الصلوات في تلك السنوات.. فلا يمكننا أن نقول : أنه بدأ الإسلام من جديد، والإسلام يجب ما قبله، وأنه كان كافرا فأسلم واهتدى، والله تعالى يقول: {قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف}الأنفال:٣٨

فمن الواضح أنه كان مسلما عاصيا، مفرطا في جنب الله، مقصرا عن طاعته، مضيعا لفريضة من أقدس فرائضه، وركن من أعظم أركان دينه، وهذا يعني أن هذه الأشهر العشر التي فاته صيامها في تلك السنين: دين في عنقه، يلزمه قضاؤها، مثل كل الديون الواجبة على الإنسان، لله أو للناس. وفي الحديث الصحيح: "فدين الله أحق أن يُقْضَى".

ومُضِيّ تلك السنين لا يسقط هذا الدين أو هذا الحق الواجب لله على عبده، فإن مضي الزمن في الإسلام لا يسقط حقوق العباد، ولا حقوق الله. بل يظل لازما في رقبة كل مدين، حتى يؤديه أو يُؤَدّى عنه، أو يطالب به يوم القيامة.

والمطلوب هو: قضاء يوم عن كل يوم: أي (٣٠٠) ثلاثمائة يوم عن تلك السنين العشرة. وليس ستين يوما عن كل يوم كما قال الأخ: ٦٠×٣٠×١٠=١٨٠٠٠ثمانية عشر ألف يوم.

وربما يقول هذا بعض الناس أو يتصورونه، على أساس أنّ من أفطر عمدا في نهار رمضان - بالجماع في بعض المذاهب، وبه وبالأكل والشرب في مذاهب أخرى- يجب عليه

كفارة مغلظة عن كل يوم: تحرير رقبة، أو صوم شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكيناً، على الترتيب، أو على التخيير، حسب اختلاف الأئمة رضي الله عنهم.
ولكنا نقول: هذه الكفارة إنما في حق من صام وأفطر عمدا في صيامه، فجعلت هذه الكفارة تطهيرا له.
أما من لم يصم أصلا، فهذا لا كفارة له. مثل اليمين المنعقدة فيها الكفارة، أما اليمين الغموس التي يتعمد الحالف فيها الكذب فلا كفارة فيها، بل فيها التوبة فقط.
وكذلك القتل الخطأ، فيه الكفارة، وأما القتل العمد، فلا كفارة له، بل فيه التوبة بشروطها.
فباب التوبة مفتوح لكل ذنب صغر أو كبر، سواء أكان ترك مأمور، أم فعل محظور.
ولكن التوبة لا تكون صادقة، ولا تقبل حقا، إلا إذا صحبها أداء الحقوق إلى أهلها: حقوق الله، وحقوق العباد. فهذا شرط لا بد منه لقبول التوبة عند الله جل جلاله.
ولا تقبل الفدية عن صيام كل يوم: إطعام مسكين، إلا ممن عجز عن الصيام تماما، ولم يعد قادرا على صيام رمضان أداء، فيسقط عنه قضاء.
إما إذا قدر، فلا يصح منه إلا الصيام. وأنصح الأخ أن يصوم في أيام الشتاء، فهي أيام قصيرة وباردة، وكثير من المسلمين يصومون فيها تطوعا. كما قيل: الشتاء ربيع المؤمن: قصر نهاره فصامه، وطال ليله فقامه.
يستطيع الأخ أن يعزم على الصيام في كل سنة في الشتاء: ثلاثة أشهر متتابعة، وأؤكد له أنه حين يتابع الصوم، سيسهل عليه، ولن يشعر بأي حرج أو ثقل، وخصوصا مع شعوره بأنه يتلافى تقصيره فيما مضى، ويؤدي دينه، ويرضي ربه، ويصحح توبته، ويبيض صفحته.

قضاء ما فات من رمضان في شعبان

السؤال: كيف أقضي ما فات من رمضان؟

● ما فات من رمضان من أيام على المسلم أو على المسلمة فعليه أن يقضيه عند الاستطاعة حينما تتاح له الفرصة ، طيلة أشهر العام ، قبل رمضان التالي ، ومعنى هذا أن أمام المسلم أحد عشر شهراً يستطيع أن يقضي فيها ما فاته من رمضان ، سواء كان أفطر لعذر مرض أو سفر أو لعذر حيض أو لغير ذلك من أعذار .
وهناك نوع من السعة في الشرع ، لقضاء ما فات من رمضان .
يستطيع المسلم أن يقضي في شوال – أي بعد رمضان مباشرة ، وما بعد شوال .
ولا شك أن المبادرة أفضل ، مسارعة في الخيرات، كما قال تعالى: (فاستبقوا الخيرات) ولأن الإنسان لا يضمن أجله ، ولهذا يكون الأحوط لنفسه ، والأضمن لآخرته أن يعجل بإبراء ذمته بقضاء ما فاته .
فإذا أجله لعذر ما ، كشدة الحر ، أو لضعف وعجز في صحته ، أو طرأت عليه مشاغل لم يتمكن معها من الصوم قضاء ما فاته ، يستطيع أن يقضي إلى رمضان الآتي .
فإذا جاء شعبان ولم يقض ما فاته ، فإن عليه أن يقضي في شعبان ، لأنه الفرصة الأخيرة وقد كانت تفعل ذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، فقد كانت كثيراً ما يفوتها بعض أيام من رمضان ، فتقضيها في شعبان .. وذلك لا حرج فيه ، وإن كان هناك اشتباه لدى بعض الناس في هذا الأمر ، فهذا لا أساس له من الشرع .. إذ كل الشهور يمكن أن تكون محلا لقضاء ما فات من رمضان .
ولكن هب أن إنساناً كان مريضاً في شهر رمضان الماضي ، وحتى الآن ، وقد وافاه رمضان التالي وهو على حاله من المرض ، لا يستطيع قضاء ما فاته إلا بمشقة شديدة وحرج وإعنات . مثل هذا يبقى ما فاته من صيام رمضان ديناً مؤجلا عليه إلى ما بعد رمضان ، حين يستعيد صحته ومقدرته على الصيام ، ولا حرج عليه في ذلك ، فالله تعالى ختم آية الصوم بقوله : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) البقرة : ١٨٥

هل يحوز ثواب ليلة القدر من لم ير طاقة النور؟

السؤال: **لقد قمت جميع الليالي السابقة من شهر رمضان، وهاهي الليالي لم يبق منها سوى ثلاث، واحدة منها فقط من الوتر.**

وسؤالي .... أنني لم أر في الليالي الماضية شيئا أشعر به أن واحدة من هذه الليالي هي ليلة القدر، فلم تفتح لي طاقة من نور، ولا غير ذلك.

فإذا لم أعرف أيّة الليالي هي سأحوز فضلها بمجرد أني قمتها ، أم لا بد من معرفتها بطاقة النور حتى أحوز فضلها.

● ليلة القدر أخفاها الله على عباده في العشر الأواخر، لكي يجتهدوا في تحريها ، فينالوا الفضل والأجر العظيم ولكن ورد في بعض الأحاديث علامات لليلة القدر ولصبيحتها .وفعلا قد ذهب جمع من أهل العلم إلى أنه يشترط أن يتعرف المسلم الذي يقومها عليها حتى يحوز أجرها، ورجح آخرون أن التعرف عليها ليس شرطا، وأن من قام ليلة القدر حاز فضلها سواء عرف أنها هي أم لم يعرف.

وطاقة النور هي ضرب من خيالات الناس، ولا أساس لها من الصحة.

السؤال: **هل تعتبر ليلة القدر ليلة خاصة لبعض الناس، تظهر له وحده بعلامة يراها، أو رؤيا في منام، أو كرامة خارقة للعادة، تقع له دون غيره؟ أم هي ليلة عامة لجميع المسلمين بحيث يحصل الثواب المرتب عليها لمن اتفق له أنه أقامها، وإن لم يظهر له شيء؟.**

● لقد ذهب جمع من العلماء إلى الاعتبار الأول، مستدلين بحديث أبي هُريرة: "من يقم ليلة القدر فيوافقها.." (رواية لمسلم عن أبي هريرة).

وبحديث عائشة: أرأيت يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر ما أقول؟.

فقال: "قولي: اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعفُ عني" (رواه ابن ماجه والترمذي عن عائشة).

وفسّروا الموافقة بالعلم بها، وأن هذا شرط في حصول الثواب المخصوص بها.



ورجح آخرون معنى يوافقها: أي في نفس الأمر، إن لم يعلم هو ذلك، لأنه لا يشترط لحصولها رؤية شيء، ولا سماعه، كما قال الإمام الطبري.

وكلام بعض العلماء في اشتراط العلم بليلة القدر كان هو السبب فيما يعتقده كثير من عامة المسلمين أن ليلة القدر طاقة من النور تُفتح لبعض الناس من السعداء دون غيرهم. ولهذا يقول الناس: إن فلانا انفتحت له ليلة القدر، وكل هذا مما لا يقوم عليه دليل صريح من الشرع.

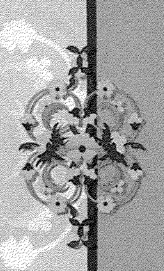
فليلة القدر ليلة عامة لجميع من يطلبها، ويبتغي خيرها وأجرها، وما عند الله فيها، وهي ليلة عبادة وطاعة، وصلاة، وتلاوة، وذكر ودعاء وصدقة وصلة وعمل للصالحات، وفعل للخيرات.

الفوائد الطبية لصيام رمضان

د. شريف كف الغزال - بريطانيا

إن هدف صوم رمضان هو استجابة لله عز وجل الذي قال في كتابه الكريم (يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصِّيامُ كما كُتِبَ على الذين مِن قَبْلكم لعلكم تتَّقُون) فالصيام فريضة بين العبد وربه تكفل سبحانه وتعالى بالمكافأة عليها كما قال في الحديث القدسي (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فهو لي وأنا أجزي به). ومع ذلك فإن للصيام فوائد صحية كثيرة لا يُغفل عنها، فرمضان هو شهر للتدريب الجسمي والروحي مع الأمل أن يستمر ذلك لما بعد رمضان.

وفي عام ١٩٩٤ عُقد المؤتمر الأول لفوائد رمضان الصحية في مدينة الدار البيضاء في المغرب ونوقشت فيه حوالي (٥٠) ورقة بحث من مختلف أنحاء العالم ومن قبل علماء مسلمين وغير مسلمين تضمنت كثيرا من الفوائد الصحية لصوم رمضان .



ومن الفوائد الطبية لصيام رمضان:

● **راحة لجهاز الهضم** : رمضان هو فترة راحة للجهاز الهضمي المسؤول عن استهلاك واستقلاب الطعام،



وبالتالي فالكبد أيضا يأخذ فرصة استراحة كونه معمل استقلاب الغذاء الرئيسي في الجسم . ولتحقيق هذه الغاية على المسلمين أن يلتزموا بسنة الرسول -صلى الله عليه وسلم -بعدم الإكثار في وجبة الإفطار وقد قال- صلى الله عليه وسلم-: ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه. وبهذا يُضمن بقاء النشاط وعدم الخمول والاستعداد للتمارين المعتدلة بعد فترة راحة قصيرة ألا وهي صلاة التراويح التي ثبت أن حركة العضلات والمفاصل في كل ركعة تستهلك ١٠ حريرات.

ومن الفوائد الطبية أن يبدأ الإفطار بتناول بعض التمرات (كما هي السنة النبوية) فالتمر غني بسكريّ الغلوكوز والفركتوز اللذين لهما فائدة حريرية كبيرة وخاصة للدماغ، ويفيدان في رفع مستوى السكر في الدم تدريجيا مما يخفف شعور الجوع ويقلل الحاجة إلى كمية أكبر من الطعام .

● **نقص الوزن المعتدل:** خلال الصيام ينقص استهلاك السكريات وبالتالي فإن مستوى سكر الدم ينخفض وهذا يجعل الجسم يعتمد على مخزونه من السكر لحرقه وتأمين الحريرات اللازمة للاستقلاب، ويأتي مخزون السكر من الكبد بتفكيك مادة Glycogen وكذلك من تحطيم الدهون في النسيج الشحمي لتحويلها إلى حريرات وطاقة لازمة لفعاليات الجسم وهذا بالتالي ينتج عنه نقص معتدل في وزن الجسم، ولهذا يعتبر الصيام فائدة كبيرة لدى زائدي الوزن، وحتى لمرضى السكري المعتدل غير المعتمدين على الأنسولين " Stable non-insulin diabetes.

● **نقص مستوى كولسترول الدم:** أثبتت دراسات عديدة انخفاض مستوى الكولسترول في الدم أثناء الصيام وانخفاض نسبة ترسبه على جدران الشرايين الدموية، وهذا بدوره يقلل من الجلطات القلبية والدماغية ويجنب ارتفاع الضغط الدموي . ونقص شحوم الدم يساعد بدوره على التقليل من حصيات المرارة والطرق الصفراوية . قال-صلى الله عليه وسلم-: " صوموا تصحّوا " .

● **استراحة للجهاز الكلوي :** بينت بعض الدراسات أن عدم تناول الماء لحوالي ١٠-١٢ ساعة ليس بالضرورة سيئاً بل هو مفيد في كثير من الأحيان، فتركيز سوائل الجسم تزداد محدثة جفافا خفيفا يحتمله الجسم لوجود كفاية من مخزون السوائل فيه، وطالما أن الشخص لا يشكو من حصيات كلوية فإن هذا يعطي الكليتين استراحة مؤقتة للتخلص من الفضلات، ومع ذلك فالسنة النبوية تقتضي تأخير السحور والتعجيل في الفطور مما يقلل الفترة الزمنية للجفاف قدر الامكان . ونقص السوائل يؤدي بدوره لنقص خفيف بضغط الدم يحتمله الشخص العادي ويستفيد منه من يشكو ارتفاع الضغط الدموي.

● **فوائد تربوية ونفسية:** يفيد رمضان في كبح جماح النفس وتربيتها بترك بعض العادات السيئة وخاصة عندما يضطر المدخن لترك التدخين ولو مؤقتا على أمل تركه نهائيا، وكذلك عادة شرب القهوة والشاي بكثرة. وفوائد رمضان النفسية كثيرة، فالصائم يشعر بالطمأنينة والراحة النفسية والفكرية ويحاول الابتعاد عما يعكر صفو الصيام من محرمات ومنغصات ويحافظ على ضوابط السلوك الجيد مما ينعكس إيجابا على المجتمع عموما. قال-صلى الله عليه وسلم-: " الصيام جُنّة، فإذا صام أحدكم فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤٌ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم إني صائم " . وقد أثبتت دراسات عديدة انخفاض نسبة الجريمة بوضوح في البلاد الإسلامية خلال شهر رمضان.

وكلمة أخيرة بخصوص من يعانون مرضا متقدما سواء أكان سكرياً شديدا أو نقص تروية قلبية أو حصيات كلوية حادة، فهم مستثنون من صيام رمضان ولهم أن يأخذوا بالرخصة الشرعية، قال تعالى : ".. فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر"

المراجع:

1.A. Cott : Fasting is a way of life . New York, ١. 1977.
2. F. Azizi et al. : Evaluation of certain hormones and blood constituents during Ramadan . Nov.1987.
3. S. Athar . Fasting for medical patients. Islamic Horizon. May 1985.
4. S. Athar. Medical aspect of islamic fasting. 1998.
5. J. El-Ati. Increased fat oxidation during Ramadan fasting in healthy women. Am J Clin Nutr . Aug 1995.
6. Islamic Medicine site , by : Dr. Sharif Kaf Al-Ghazal ,http://www.welcome.to/islamic.medicine

رمضان كريم

تاريخ.. وموافقات في رمضان

نبارك للمسلمين حلول شهر رمضان المبارك أعاده الله على المسلمين باليمن والبركة.
حيث شهد شهر رمضان المبارك انتصارات كبيرة للمسلمين في شتى بقاع العالم بسبب توحدهم وتضامنهم، وتكاتفهم للوقوف في وجه الاعداء من المشركين والكفار. وقد تجلت هذه الانتصارات بتحقيق الفتوحات الاسلامية التي هيمنت الديانة الاسلامية عليها لسماحتها واقناع المسلمين للمشركين بأهمية عبادة الله الواحد القهار والعزوف عن عبادة الشرك والأصنام.. ونضع بين أيديكم جملة من الأحداث التي وقعت في شهر رمضان الكريم للتعرف على بعض الانتصارات والشخصيات وبعض الأحداث التي يهم المسلم في هذا الزمان معرفتها والاحاطة بها.

الأول من رمضان

من السنة الأولى من الهجرة: جهز رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية أمّر على رأسها حمزة بن عبدالمطلب وبعثه في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ليعترضوا قريشاً، وكان منهم أبوجهل بن هشام وهم في ثلاثمائة رجل، فاصطف الفريقان للقتال حتى سعى للصلح بينهم مجدي بن عمرو الجني وكان حليفاً للجميع فلم يقتتلوا، وكان لواء حمزة أول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أبيض، حمله أبومرثد كناز بن حصين الغنوي.

من سنة ١١٤ للهجرة: وقعت معركة بلاط الشهداء في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك في فرنسا حيث كان المسلمون متوجهين لإعلاء كلمة الله وقد أصيب المسلمون في هذه المعركة وقد سميت ببلاط الشهداء لكثرة القتلى فيها.

من سنة ٤٢٨ للهجرة: توفي الطبيب الفيلسوف أبو علي الحسين بن عبدالله، المعروف بابن سينا، صاحب كتاب القانون والشفاء وغيرهما.

من سنة ٦٥٤ للهجرة: احترق المسجد النبوي وبلغ من الشدة أن انهار به بناء المسجد وتحطم المنبر.

الثاني من رمضان

من سنة ٦٥ للهجرة: تولى عبد الملك بن مروان الخلافة وهو أبو الوليد الأموي عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، وهو والد الخلفاء الأمويين، كان أميراً على أهل المدينة وعمره ١٦ سنة، ولاه إياها معاوية وكان يجالس الفقهاء والعلماء والعباد والصلحاء، وهو أول من سمي بعبد الملك في الإسلام، وكان عبد الملك بن مروان قبل الخلافة من العباد والفقهاء الملازمين للمسجد التالين للقرآن .

من سنة ٤١٣ للهجرة: توفي شيخ المحدثين والمؤرخين ورئيس المتكلمين وأستاذ الفقهاء والأصوليين الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري.

من سنة ٧٣٢ للهجرة: ولد العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون بتونس، وقد درس منذ مطلع شبابه علوم اللغة العربية و الآداب والفلسفة، ومن أشهر مؤلفاته " المقدمة " التي ملأت الدنيا شهرة ومعروفة بمقدمة ابن خلدون.

الثالث من رمضان

من سنة ١١ للهجرة: توفيت السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمها خديجة بنت خويلد، ولدتها قبل النبوة بخمس سنين، وهي أصغر بناته -صلى الله عليه وسلم- وتزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه في السنة الثانية من الهجرة في رمضان، وولدت له الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم ومحسناً ومات صغيراً. وكانت لها مكانة عظيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يناديها بأم أبيها لما كان فيها من الحنان والحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفيه: أنزلت الصحيفة من السماء على خليل الله إبراهيم عليه وعلى نبيّنا وآله السلام.

الرابع من رمضان

من سنة ٥٣ للهجرة: توفي زياد بن أبيه، الذي كان واليا على البصرة في زمن معاوية بن أبي سفيان.

من سنة ٦٦٦ للهجرة: استرجع بيبرس أنطاكية من الصليبيين.

الخامس من رمضان

من سنة ٢٠٢ للهجرة: كان فيه زواج الإمام رضا بابنة المأمون.

السادس من رمضان

وفيه: أُنزلت التوراة على كليم الله موسى بن عمران عليه وعلى نبيّنا وآله السلام وقيل في التاسع من ذي الحجة الحرام .

من سنة ٢٠١ للهجرة: بايع المأمون العباسي نفسه للإمام ثامن الحجج علي بن موسى الرضا عليه السلام بولاية العهد وذلك في زمن المأمون العباسي.

من سنة ٢٢٣ للهجرة: وقعت معركة فتح عمورية بين المسلمين بقيادة المعتصم وبين الروم وذلك بعد أن استنجدت امرأة بالمعتصم فصرخت 'وامعتصماه' فسمع المعتصم بالخبر وجهز جيشا وفتح عمورية.

سنة ٤٦٣ للهجرة: توفي الفقيه الجليل حمزة بن عبد العزيز الديلمي، المشهور بسلار، صاحب كتاب المراسم، وكان من تلامذة، الشيخ المفيد والسيد المرتضى.

السابع من رمضان

وفيه: كانت وفاة أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وناصره ومؤازره والمدافع عنه. ومات أبو طالب بن عبدالمطلب وعمره بضع وثمانون سنة وذلك قبل الهجرة بـ ٣ سنوات.

من سنة ٣٦١ للهجرة: وضع جوهر الصقلي أساس الأزهر الشريف بأمر من الخليفة الفاطمي ويعتبر منارة للعلم والفكر، وحارس علوم اللغة والدين منذ أكثر من ألف عام، وبالأزهر الشريف تسعة وعشرون رواقًا، وبه ثلاثة عشر محرابًا وست مآذن، وسبع مزاول لمعرفة الوقت وتسعة أبواب أهمها باب المزينين والمغاربة والعباسي والجوهرية.

الثامن من رمضان

فيه: مولد النبي يحيى عليه السلام

التاسع من رمضان

من سنة ٥٩٥ للهجرة: نور الدين زنكي ينتصر على الصليبيين ويأسر قائدهم ويستعيد مدينة حارم.

العاشر من رمضان

من السنة الثامنة للهجرة: فتحت مكة المكرمة وذلك عندما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة المنورة متجهاً نحو مكة المكرمة، فنزل في مرّ الظهران عشاءً ، ولم يبلغ قريشاً مسيره وهم مغتمون لما يخافون من غزوه إيّاهم ، فبعثوا أبا سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء ، فسمع العباس صوت أبي سفيان ، فقال : أبا حنظلة هذا رسول الله في عشرة آلاف، فأسلم ثكلتك أمك وعشريتك فأجاره وخرج به وبصاحبيه حتى أدخلهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأسلموا ، وجعل لأبي سفيان أن من دخل داره فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن .ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة في كتيبته الخضراء وهو على ناقته القصواء فأسلم الناس طائعين، وطاف بالبيت وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً فجعل كلّما مرّ بصنم منها يشير إليه بقضيب في يده ويقول (جاء الحق وزهق الباطل) فيقع الصنم لوجهه، وأمر بلالاً أن يؤذن وصلّى الضحى.

وفيه: من السنة العاشرة للهجرة توفيت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضوان الله عليها زوجة النبي صلى الله عليه وسلم التي ضحت بكل ماتملك من أجل نشر الإسلام وتثبيت ركائزه فسماه النبي عام الحزن.

سنة ٦٠ للهجرة: بعث أهل الكوفة رسائلهم إلى الامام الحسين عليه السلام وهو في مكة المكرمة يطلبون منه القدوم إلى الكوفة.

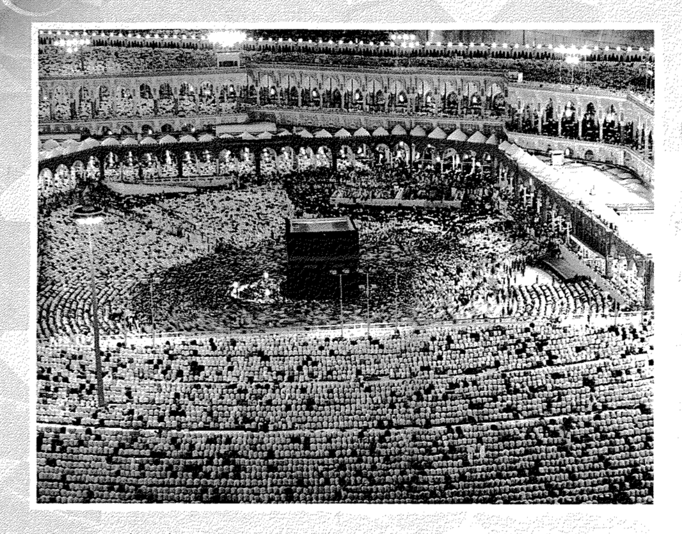
الثاني عشر من رمضان

من السنة الأولى للهجرة: آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين المهاجرين والأنصار، كما آخى حينها بينه وبين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : أنت أخي في الدنيا والآخرة.

الثالث عشر من رمضان

وفيه: أنزل الإنجيل على نبي الله عيسى عليه السلام.

من سنة ٩٥ للهجرة: هلك الحجاج بن يوسف الثقفي.



الرابع عشر من رمضان

من سنة ٦٧ للهجرة: قتل المختار بن أبي عبيدة الثقفي الرجل الذي انتقم من قتله الإمام الحسين عليه السلام في الكوفة.

من سنة ١٤٥ للهجرة: قتل محمد النفس الزكية رضوان الله عليه.

من سنة ٥٧٠ للهجرة: فتح القائد صلاح الدين الأيوبي عدة مدن في بلاد الشام كان من بينها فتح بعلبك.

الخامس عشر من رمضان

من السنة الثالثة للهجرة: ميلاد الحسن بن علي رضي الله عنهما، أمه فاطمة الزهراء وأبوه علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم.. الحسن وهو أكبر ولد أبويه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه حباً شديداً حتى كان يقبل ذبيبته وهو صغير، وربما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد في الصلاة فيركب على ظهره فيُقره على ذلك ويطيل السجود من أجله --

من سنة ٦٠ للهجرة: بعث الامام الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل سفيراً إلى الكوفة لأخذ البيعة له من أهل الكوفة.

السابع عشر من رمضان

وفيه: نزل الملك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغار حراء .

من السنة الثانية للهجرة: ذكرى غزوة بدر الكبرى التي كانت فيها قوة المسلمين ثلاثمائة وثلاثةَ عشرَ مقاتلاً ليس معهم إلا سلاح خفيف: سبعون بعيراً، وفرَسان، وقد خرجوا لا للقتال، وإنَّما للاستيلاء على

عِير قريش القادمة من الشام،وكان جيش المشركين تسعمائة وخمسين، وعيرهم سبعمائة بعير، ومائة فرس.

من سنة ١٢ للبعثة المباركة: أسري برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ومن ثم عرج به إلى السماء فكان قاب قوسين أو أدنى دنواً واقتراباً من العلي الأعلى .

من سنة ٥٨ للهجرة: وفاة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق وزوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحب أزواجه إليه، المبرأة من فوق سبع سموات رضي الله عنها، وعن أبيها ـ وأوصت أن تدفن بالبقيع ليلاً، وصلى عليها أبو هريرة بعد صلاة الوتر، ونزل في قبرها خمسة، وهم عبد الله، وعروة ابنا الزبير بن العوام، من أختها أسماء بنت أبي بكر، والقاسم، وعبد الله ابنا أخيها محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر – وكان عمرها يومئذ سبعاً وستين سنة، لأنه توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرها ثمان عشرة سنة، وكان عمرها عام الهجرة ثمان سنين أو تسع سنين فالله أعلم، ورضي الله تعالى عن أبيها وعن الصحابة أجمعين –.

الثامن عشر من رمضان

وفيه: أُنزل الزبور على نبي الله داود عليه وعلى نبينا وآله السلام ، وقيل : في التاسع من ذي الحجة الحرام.

من سنة ٢١ للهجرة: سيف الله يلاقي ربه وهو خالد بن الوليد من أجلِّ الصحابة وأبرعهم وأشجعهم، وهو سيف الله المسلول لم يقهر في جاهلية ولا إسلام.وأبوه هو "الوليد بن المغيرة" سيد قريش في عصره.وأمه "لبابة بنت الحارث" أخت "ميمونة بنت الحارث" أم المؤمنين، وقد أسلم – رضي الله عنه – بعد الحديبية في العام الثامن الهجري، وشهد مؤتة، وانتهت إليه الإمارة يومئذ من غير إمرة، فقاتل يومئذ قتالاً شديداً لم يُرَ مثله، وقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب، ثم أخذها سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه"، ومن يومئذ سُمِّي "سيف الله"، وشهد خيبر وحُنيناً، وفتح مكة وأبلى بلاءً حسناً.

العشرون من رمضان

من سنة ٥٤٢ للهجرة: توفي العالم النحوي هبة الله بن علي بن محمد العلوي الحسني المعروف بابن الشجري صاحب كتاب الأمالي.

من سنة ٤٠ للهجرة: استشهد مولى الموحدين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إثر ضربة ابن ملجم عليه اللعنة .

من سنة ١٢٨٩ للهجرة: توفي الفقيه الأصولي السيد محمد تقي بن السيد محمد رضا بن السيد محمد مهدي بحر العلوم ، وكان عالماً مطاعاً جليلاً مهيباً .

الحادي والعشرين من رمضان

وفيه: رفع روح الله عيسى بن مريم عليه السلام إلى السماء .

وفيه: قبض كليم الله موسى بن عمران عليه السلام .

وفيه: قبض يوشع وصي نبي الله موسى عليه السلام .

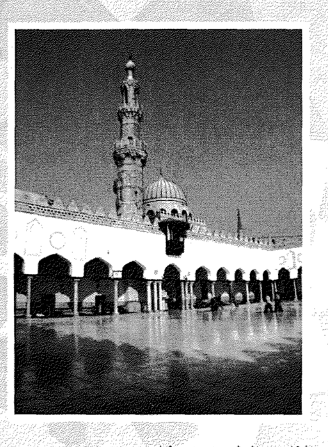
من سنة ١٢٠٥ للهجرة: توفي العالم الفاضل السيد صادق بن علي بن الحسين الأعرجي الفحام وكان من مشاهير أدباء عصره.

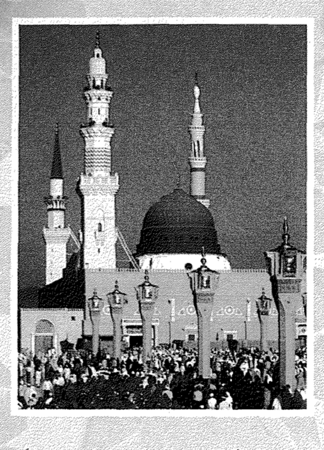
الثالث والعشرين من رمضان

وفيه: أُنزل القرآن دفعة واحدة إلى سماء الدنيا وهي أعظم ليلة من ليالي القدر.

الرابع والعشرين من رمضان

من سنة ٦٥٨ للهجرة: كانت معركة "عين جالوت" التي انتصر فيها المسلمون انتصاراً عظيمًا على "التتار" المخربين المدمرين، الذين اجتاحوا بلاد الإسلام، وفعلوا من المآثم والمظالم ما تقشعر منه الأبدان. و "عين جالوت" بلدة من أعمال فلسطين المغتصبة – ردها الله إلى المسلمين قريبًا – وهي بلدة بين بيسان ونابلس.





الخامس والعشرين من رمضان

وفيه: فتح المسلمون مدينة بلغراد.

من سنة ٦٩٣ للهجرة: توفي أبو عبدالله محمد بن أحمد بن الخليل الخوئي الشافعي الدمشقي صاحب كتاب شرح فصول ابن معط.

من سنة ١١٣٧ للهجرة: توفي شيخ الفقهاء بهاء الدين محمد بن حسن بن محمد الاصفهاني المعروف بالفاضل الهندي صاحب كتاب كشف اللثام وغيره من المصنفات .

السادس والعشرين من رمضان

وفيه: نزول الصحف على النبي إدريس عليه السلام

السابع والعشرين من رمضان

من سنة ١٣ قبل الهجرة: نزول القرآن.. هدية السماء "شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ.."

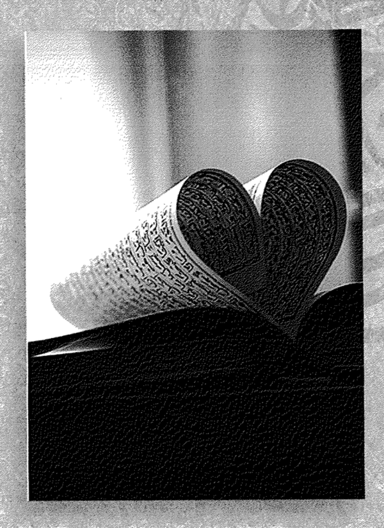
إن حادث نزول الوحي وبداية نزول القرآن حادث ضخم بحقيقته، وضخم بدلالته، وضخم بآثاره في حياة البشرية جميعاً.. وهذه اللحظة هي من أعظم لحظة مرّت بهذه الأرض في تاريخها الطويل.

وحقيقة هذا الحادث أن الله جل جلاله، العظيم الجبار القهار المتكبر مالك الملك كله، قد تكرم – في عليائه – فالتفت إلى هذه الخليقة المسماة بالإنسان، القابعة في ركن من أركان الكون لا يكاد يُرى، اسمه الأرض، وكرّم هذه الخليقة باختيار واحد منها؛ ليكون ملتقى نوره الإلهي، ومستودع حكمته، ومهبط كلماته، وممثل قَدَرِه الذي يريده سبحانه بهذه الخليقة.

من سنة ٦٤٨ للهجرة: ولد العلامة الحلي الحسن بن يوسف بن علي بن محمد بن المطهر.

الثامن والعشرين من رمضان

من سنة ٩٢ للهجرة: فتح المسلمون الأندلس. ثم وقعت المعركة الحاسمة بين قوة المسلمين وجيوش ملك القوط المسيطرين على بلاد الأندلس وانتهت باندحار القوط وانتصار المسلمين.



بلاغة التكرار الجُملي في القرآن الكريم

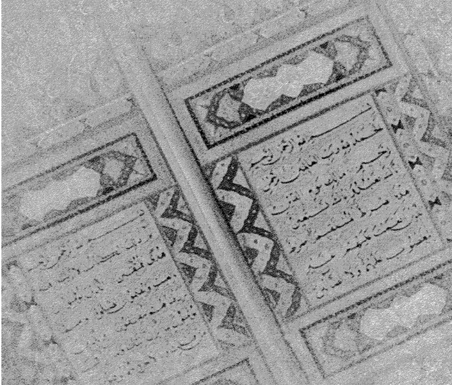
د. مشهور موسى مشاهرة - جامعة الملك خالد - أبها

هذا نمط من التكرار، سمّيته اجتهاداً: التكرار الجملي، وأساسه أن تتكرّر الجملة القرآنية أكثر من مرة، وفي هذه الدراسة عرضت لما جاء على حرفين فقط؛ بسبب طول هذه المباحث فيما لو أردت استقصاء هذا اللون من التكرار الذي أوصله الزركشي في برهانه إلى ثلاثة وعشرين حرفاً(١).

قال تعالى: ﴿وأخذَ الذينَ ظلموا الصَّيحةُ فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ هود:.٦٧

وقال تعالى: ﴿ولمّا جاء أمرُنا نجّينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمةٍ منّا وأخذت الذين ظلموا الصيحةُ فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ هود: ٩٤

من المفيد عند دراسة الآيات القرآنية، أو أيّ جزء من آية، أن ننظر في ما يُجاورها؛ لعلاقاتٍ بلاغية وشيجةٍ لا يُمكن تجاهلها في فهم السياق القرآني: ففي آيتَي سورة هود تشابهٌ على صعيد الحرف والكلمة، وبينهما وبين آياتٍ أُخر تشابه يَصُبُّ



في تجلية العلاقة القائمة بين عناصر الصورة القصصية التي رسمتْها الجملة الأخيرة من نهاية قوم صالح، وقوم شعيب عليهما السلام، ولأجل ذلك اقتضى المقام ذكر هذا التشابه، ومعالجة ما يخدم هاتين الجملتين.

فالاشتراك حاصل بين آيتي سورة هود الآنفتي الذكر وآيتي سورة الأعراف، إضافة لآية سورة الشعراء، وآية سورة العنكبوت. ففي حق ثمود؛ قوم صالح عليه السلام، قال تعالى: {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ} الأعراف: ٧٨ ، وقال تعالى: {وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} هود: ٦٧.

وفي أهل مدين؛ قوم شعيب عليه السلام قال تعالى: {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ} الأعراف:٩١، وقال تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} هود:٩٤، وقال تعالى: {فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ} العنكبوت:٣٧. وفي أصحاب الأيكة؛ قوم شعيب عليه السلام أيضا قال تعالى: {فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} الشعراء: ١٨٩.

إنّ آية هذا المبحث هي قوله تعالى في حقّ قوم صالح وشعيب عليهما السلام: {فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} هود:٦٧، هود: ٩٤ ولكنّ المُلاحظ أنّ هذه الآيات تتشابه على صعيد آخر من حيث: اختلاف الفعل (أخذ)، فهو يتجرّد من علامة التأنيث مرة، ويتّصل بها في أخرى، وكذلك التعبير مرة بالصيحة، وثانية بالرجفة، وثالثة بالظُّلَّة، وفي الآيات أيضا توحيد الدار في موضع، وجمعها في آخر، أضف إلى ذلك كلّه ما نحن بصدد التفصيل فيه، وهو ختام قصة صالح وشعيب عليهما السلام في سورة هود بقوله تعالى: {فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} هود:٦٧، ٩٤.

أمّا تأنيث الفعل في قصة شعيب{وأَخَذَتِ الذين ظلموا الصيحةُ}فهو عند الإسكافي للتغليب ومناسبة التأنيث، إذ إنّ في القصة ثلاث لفظات مؤنّثة في التعبير عن العذاب الذي أُهلكوا به، وهي: {الصّيحة}و {الرّجفة }و {الظُّلّة} (٢).

وعند الكرماني هما حسنان، إلاّ أنّ التذكير أخف في قصة صالح، وفي قصة شعيب ليُوافق ما بعدها، وهو قوله تعالى: {كما بَعِدَت ثمودُ} هود:٩٥ (٣).

وعند الغرناطي يجوز الوجهان: الحذف والإثبات، استنادا إلى الفصل بين الفعل وفاعله؛ فمن المشهور في العربية أنّه إذا حجز بين الفعل والفاعل فاصل جاز التذكير والتأنيث، وفي القرآن الكريم: {فمن جاءه موعظةٌ من ربّه فانتهى فله ما سلف} البقرة:٢٧٥، ومنه قوله تعالى في حق قوم صالح: {وأَخَذَ الذينَ ظَلَموا الصَّيحَةُ} هود:٦٧، إلاّ أنّ الحذف أحسن، وما اختلافهما في الآيتين إلاّ من باب الجمع بين الوجهين، خصوصا أنّهما في سورة واحدة (٤).

وروى القرطبي في تفسيره أنّ ابن عبّاس قال: "ما أهلك الله أمتين بعذاب واحد إلا قوم صالح وقوم شعيب، أهلكهم الله بالصيحة، غير أن قوم صالح أخذتهم الصيحة من تحتهم، وقوم شعيب أخذتهم الصيحة من فوقهم" (٥). ولكنّ هذا التفريق ليس على أساس العناصر الداخلية للآيات.

ولئن كان الكرماني يرى أنّ حذف الحرف في قصة صالح يدل على خفة الفعل، فإنّ البقاعي يرى أنّ الحذف يدل على قُوّة في الفعل، فقال في صيحة شعيب الواردة بالتاء: " وكأنها كانت دون صيحة ثمود لأنهم كانوا أضعف منهم، فلذلك أبرز علامة التأنيث في هذه دون تلك " (٦).

وأمّا عن توحيد الدار في موطن، وجمعها في موطن آخر، فمردّه عند الإسكافي إلى وجهين:

أولا: لأنّ المقصود بدارهم إنّما هو بلدهم على التوحيد، وبالجمع على الجنس كما في قولنا: دينارهم شرٌ من درهمهم.

ثانيا: إنّ في التوحيد والجمع معنى آخر مفاده: أنه

سبحانه وتعالى حيث ذكر في ابتداء القصة {وإلى}، ولم يُخرج النبي ولا الذين آمنوا معه من بينهم وحّد الدار، رجاء أن يصيروا بالإيمان فرقة واحدة. أو خاطبهم بالأصل، وهو أن يكونوا أهل دار واحدة، قال تعالى: {وإلى ثمودَ أخاهم صالحا... فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجفَةُ فَأَصبَحوا في دارِهم جاثمينَ} الأعراف:٧٣-٧٨ وقال تعالى: {وإلى مَدْيَنَ أخاهم شُعيباً... فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجفَةُ فَأَصبَحوا في دارِهم جاثمينَ} الأعراف: ٨٥-٩١. وقال تعالى: {وإلى مدْيَنَ أخاهم شُعيبا... فَأَخَذَتهُمُ الرَّجفَةُ فَأَصبَحوا في دارِهم جاثمينَ} العنكبوت:٣٧.

وكلّ موضع أخبر فيه عن تفريقه بينهم، وإخراج النبي، ومَن آمن معه من بينهم جمع الدار؛ إشارةً إلى تفرق شملهم، وتشتت أمرهم، وذهاب المعنى الذي كان يجمعهم لأبٍ واحدٍ ودار واحدة، وأن يصيروا مع المؤمنين فرقة واحدة (٧).

وعند الكرماني حيث ذكر الحق تبارك وتعالى {الصيحة} جاء التعبير بـ {ديارهم} لأنّ الصيحة كانت من السماء، وحيث ذكر {الرجفة} عبّر بـ {دارهم} لأنّ الرجفة تختص بالزلزلة ومجالها الأرض، كما أنّ فيها إشارة إلى شدّة العذاب بعظم الاضطراب. ولأنّ الصيحة كانت من السماء فإنّ بلوغها أكثر، وأبلغ من الزلزلة، وفيها كذلك إيماء إلى عموم الموت بشدة الصوت (٨). وبهذا يكون الكرماني قد أجاب عن سؤالين: عن توحيد الدار وجمعها، وكذلك عن التعبير بالصيحة والرجفة.

ومع أنّه لا كبير اختلاف في المعنى الحاصل عن العبارتين عند الغرناطي، إلاّ أنّه أجاب برأي الكرماني في التعليق على سؤالي: الصيحة والرجفة، والتعبير بـ {دارهم} و{ديارهم}. وأورد تعليقا آخر على اختصاص سورة هود بـ {الصيحة} دون {الرجفة} في إخبارها عن نهاية قوم شعيب، حيث رأى أنّ قبل التعبير بـ {الصيحة} ذكر مرتكبات قوم شعيب، وسوء ردّهم على نبيّهم؛ من استهزاء، وإساءة، وتشنيع، وذلك لم يرد مثله في سورة الأعراف، ولا العنكبوت، ولأجل ذلك ناسبهم عموم العذاب، وهو{الصيحة}. أو أنّ قوم شعيب عليه السلام أُخذوا بأنواع من العذاب: بالصيحة والرجفة والظلّة لقبيح مرتكبهم وسوء ردّهم، فورد ذلك على التدريج والتناسب (٩).

هذا مُجمل ما قدّمه الأوّلون في مسألة تذكير الفعل وتأنيثه في الآيتين، وذكر الصيحة والرجفة، وتوحيد الدار وجمعها، وذلك من الناحية النحوية واللغوية. ومع عظيم

لمحاولة فهم السياق القرآني ينبغي النظر في الآيات المتجاورة..

★★★★★★

جهدهم إلاّ أنّهم أغفلوا ربط ذلك بالسياق ربطا يكشف لنا عن دلالة هذه التعبيرات، وكذلك عن حقيقة سر الجملة الأخيرة من الآيتين.

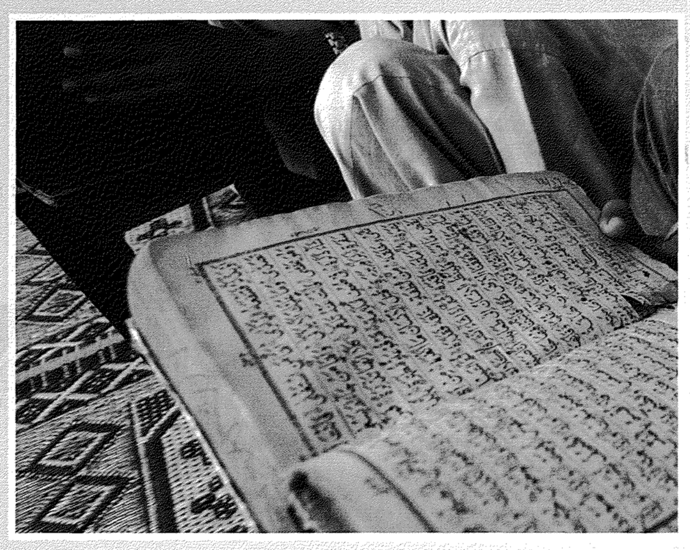
والذي يبدو لي أنّ الجملة الأخيرة تُمثّلُ صورة من نهايةٍ لمقطع دَعَوي سجلته سورة هود على نحو من النظم المتشابه؛ فقد كذّب قومُ صالح كمن سبقهم من قوم نوح وهود، وجادلوا وتكبَّروا وعَتَوْا وعَقَروا، فنجّى اللهُ صالحا والذين آمنوا معه، وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين، كأن لم يَغنَوْا فيها.

لقد قامت الحُجّة على قوم صالح عليه السلام بتذكيرهم بحال من سبقهم من الأمم، وبالناقة التي أخرجها الله لهم من الصخر، وغير ذلك من البراهين، ولكنهم زادوا في تكبرهم وتطاولوا على قدرة الله وقوته، فنزل بساحتهم العذابُ نتيجةً لعصيانهم، وقتْلهم ناقة الله، وبرهانا على قوة العزيز الجبّار {فلمّا جاءَ أمْرُنا نجّينا صالحاً والذينَ آمنوا معه برحمة منّا ومن خزيِ يومئذ} هود:٦٦ وكانت النجاة لمن آمن، ثم خُتمت الآية بقوله تعالى: {إنَّ ربَّك هو القويُّ العزيز} وشاهد ذلك: {وأخَذَ الذين ظلموا الصيحة... } بمعنى إنّ بداية هذه الآية دليل على نهاية التي قبلها.

وفي قوله تعالى: {فأصبحوا في ديارهم جاثمينَ} هود:٦٧ دلالة واضحة على اجتثاث القوم، هذا فضلا عمّا فيها من تصوير للعذاب، حيث تركت ديارهم خالية، كأنّ أحدا لم يسكنها من قبل، وهي صورة مُتَخَيّلة.

وفي الآية أيضا دليل على أنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين؛ فمهما عمَّر الظالم، وبنى القصور ونحت الجبال، فإن الظلم سبب رئيس في محق هذه النعم وغيرها من الآلاء.

وفي قصة مدين قومِ شعيب عليه السلام أمر ونهي وترغيب وترهيب، ومع ذلك لم يصيخوا لدعوة شعيب، وتكبروا فلم يعبدوا الله، ونقصوا المكيال والميزان، ولم يعدلوا، وولجوا سُبُلَ الفساد، وجادلوا شعيبا واستهزؤوا بدعوته، فأرشدهم إلى الاعتبار والاستغفار، وحذّرهم نهاية من سبقهم من الأمم، ولقد وصل الأمر ذروته، وما حال بينهم وبينه عليه السلام إلا رهطه على ما زعموا، متخذين الحق



تبارك وتعالى وراءهم ظهريا، إلى أنْ جاء أمر الله، فنجّى شعيبا ومن آمن معه، وأخَذَت الذين ظَلَموا الصيحَةُ فَأَصْبَحوا في ديارِهِم جاثِمينَ، كأنْ لمْ يَغْنَوْا فيها ألا بُعْداً لمدْيَنَ كما بَعِدت ثَمودُ.

مشهدان يثيران الحزن على مصير أمتين من الأمم السالفة، ويوجبان الحمد والشكر على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، حيث لم يأخذهم الله بالتكبر والعصيان كما أخذ من سبقهم من الأمم.

ولقد مُثِّلت العناصر القصصية في المشهدين خير تمثيل، وما يعنينا من ذلك في هذا المقام، هو النهاية التصويرية، التي جاءت على نحو من التشخيص الحي، ذي الحركة الظاهرة. فصوت صفير الصاد في {الصيحة}، وفي لفظة {أصبحوا} يبعث على القوة في انتشار الفزع، وذلك بما في صفته من دلالة على علوّ الصوت وقوّته، وهو بذلك متناسب مع ما تقدّم من حديث عن الصيحة. وليس الأمر كما قال الطبري من أن الرجفة هي الصيحة (١٠)، بل كل لفظة لها دلالتها التي تميزها من غيرها.

الآيات المتشابهة حرفاً وكلمة تكون بينها علاقات بلاغية وسيجة..

★★★★★★

وبعيدا عن معمعة الترادف وما قيل فيه، فإنّ خلاصة ما أريد تبيانه: أني استقريت الآيات التي وردت فيها لفظة الصيحة، والآيات التي وردت فيها لفظة الرجفة، فألفيت سياق اللفظتين متشابها إلى حد كبير، غير أن الآيات التي وردت فيها لفظة الصيحة كانت تدل على النهاية، أما آيات الرجفة ففيها مجال لعذاب لاحق، ولا حسم في هذا التبيان، إلا أن الرجفة – فيما يغلب على ظني– هي نتيجة للصيحة. وقد فرّق البقاعي من قبل بين صيحة القومين، ولكنّه لم يقطع هذا الأمر، بل بناه على الظن والاحتمال. ولعلّ مبنى كلام البقاعي على القوة والضعف مأخوذ من وصف قوم ثمود، وما اشتهر عنهم من قوة

خارقة إذا ما قيست بزماننا، ولقد عُذّب القوم بالرجفة والصيحة.

وفي حذف التاء من لفظة {أخذت} دلالة أخرى على عظم هذه الصيحة، وكأن الخَطب الذي صورته سورة هود أعظم من غيره، ولذلك كانت الديار مع الصيحة التي عمّت الأماكن القريبة والمتُباعدة، فأهلكت أهلها، ومزّقت جماعتها، وفرّقت شملها، فكانت بهذا الوصف من القوّة المفرطة، والشدة البالغة بحيث تنزعج من وصفها النّفوس، وتَجِبُ لها القلوب.

وفي الفصل بين الفعل والفاعل ملحظ آخر، إذ لولا الفصل لما جاز حذف التاء من الفعل (أخذ) في الآية الأولى، وفي هذا دلالة على أنّ المأخوذ بهذا العذاب هم الظالمون وحدهم دون غيرهم؛ لأن الصف قد انقسم قسمين: قسما آمن وقسما كفر، فكان لا بد من نتيجة عاجلة لهذه الحال.

وفي قوله تعالى: {وأخذ الذين ظلموا} دلالة على نجاة من آمن، وعليه فقد حمل هذا الجزء من الآية في ظلاله معنيين، معنى قريبا ظاهرا، ومعنى آخر هو ظلال للمعنى الظاهر، وهو نجاة من آمن مع النبيين. ولم يُظهر الناجين على حين أظهر الظالمين؛ لأن إظهار الظالمين لم يكن تشريفا لهم بل تقريعا وتوبيخا في سياق البطش والعذاب، واكتفى بالمعنى الظلالي فيما يتعلق بجانب الناجين؛ إبعادا لهم عن صيحة العذاب وهولها، ولعلّ في ذلك تشريفا عظيما للمؤمنين.

ومن حيث الدلالة الصرفية فإنّ كلمة {جاثمين} تُعَدُّ لبنة رئيسة في بناء المشهدين، فاسم الفاعل بدلالته على الحدث والحدوث وفاعله، يفيد الاستمرارية، ولكنه ليس ملازما لصاحبه، فقصد الثبوت فيه طارئ، يدل على ذلك ما ذكره الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى: {فلعلّك تاركٌ بعضَ ما يوحى إليكَ وضائقٌ به صدرُك} هود: ١٢، قال: " فإن قلت: لم عدلَ عن ضيق إلى ضائق؟ قلت: ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أفسح الناس صدرا. ومثله قولك: زيد سيد وجواد، تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين، فإذا أردت الحدوث قلت: سائد وجائد "(١١).

وفي دلالة هذه الصيغة على الاستمرارية تحذير كذلك من نزول العذاب بساحة مَن يجترحُ مثل سيئات قوم صالح، أو يعصي الله ويتمرد على أوامره تكبرا واستهزاء. وأما عدم ملازمته لصاحبه فظاهرٌ، فقد أصابهم العذاب فمكثوا زمنا غير دائم على حالهم هامدين لاصقين بالأرض على رُكبهم ووجوههم، موتى لا يتحركون، إلى أنْ بعث اللهُ قوما غيرهم، أو تحوّلوا إلى عناصر أولية، كأن لم يعيشوا فيها. دل عليه قوله تعالى: {فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يَغْنَوْا فيها}.

ولما كان الجامع بين القصتين في هذا المقام هو التهكم والاستهزاء والتفاخر بالشدة والقوة على صالح وشعيب عليهما السلام، كان لا بد من عذاب شديد يكون رادعا لكل من يعتدي على أولياء الله، ويُظهر ضعفَ القوم أمام قوة العزيز الجبار. ومن ثَمّ ليس من المستغرب أن تكون لفظة {جاثمين} في نهاية الآية تحمل شيئا من الدلالة على أفعالهم في الحياة الدنيا، فإنّ فيها صورة تهكمية، واضحة معالمها، وما ذلك إلاّ جزاء تهكّمهم على أولياء الله، وكأنّ في الجزاء قسطا من جنس العمل، فإنّ في اللفظة صورة حركية لسقوطهم على وجوههم، وقد لصقوا بالتراب، كالطير إذا جثمت.

ومن ثَمَّ فإنَّ الجملة الأخيرة من الآيتين ممزوجة برائحة الحدث، الذي قام برسم صورة تشخيصية تبعث الحزن والحسرة، فيضطر المرء إلى الحوقلة أمام هذا المشهد الاعتباري، قوة وشدة، وتمرداً وعصياناً، فعذاب تركهم جيَفا هامدة تتقزّز منها النفوس السليمة. إلى أن تسمو لفظة العذاب في دلالة واسعة لا تخص قوما بعينهم، مُعْلنة نهاية الظالمين، وسوء مصيرهم.

ولا تَقلّ لفظة {فأصبحوا} هي الأُخرى في دلالتها عن لفظة {جاثمين}؛ فقد بدأ الشريط في الآية التي نحن بصددها بالأخذ المُتَسبَّب عن ظلمهم، فكانت الصيحة، صباح يومهم، وبمجرد ورودها كانت النتيجة، دلّ على ذلك تصدير لفظة الصباح بالفاء. وخُصّ الصباح بالذكر دون غيره لأنه مظنة توقع الارتياح، فهو أدعى للألم والتبكيت. فلم يأتهم العذاب في وقت السآمة والضجر، بل جاءهم مُصبِحين حسرة وموتا وهم يُشاهدون. ولعلّ في لفظة {ديارهم} زيادة في الحسرة والتوبيخ، مع ما في ذلك من إظهار لقوة البطش، فلم تمنعهم حصونهم و قصورهم ولا ما نحتوا من جبال وبَنَوْا من بيوت. لتكون النتيجة النهائية: {وكذلكَ أَخْذُ ربِّكَ إذا أَخَذَ القُرى وهيَ ظالمةٌ إنَّ أَخْذَهُ أليمٌ شديدٌ} هود: ١٠٢(١٢).

الهوامش:

١- يُقصَد بالحرفين، والثلاثة أحرف: أنّ الجملة تكرّرت دون تغيير في ترتيبها على الرغم من اختلاف السياق، مرّتين، أو ثلاث مرّات، وهذا مصطلح في كتب علوم القرآن؛ فقد أورد الزركشي تحت عنوان المتشابه اللفظي جملة من التقسيمات،



منها: ما جاء على حرفين، وما جاء على ثلاثة أحرف، وما جاء على أربعة حروف، وما جاء على خمسة حروف...إلخ. انظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٢٢٤-٢٤١

٢- انظر الإسكافي، درة التنزيل، ص١٦١، وكذلك عند زكريا الأنصاري في فتح الرحمن،ص١٤٦-١٤٧.

٣- انظر الكرماني، البرهان، ص٨٥.

٤- انظر الغرناطي، ملاك التأويل،ج٢، ص٦٦٠-٦٦١.

٥- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،ج٩، ص٦٢ .

٦- البقاعي، نظم الدرر،ج٩،ص٣٦٧. ولقد أوجز الرازي والقرطبي وابن منظور في تخريج حذف حرف التاء لأن الصيحة محمولة على الصياح. وفي تأنيث الفعل روعي لفظ الصيحة. انظر الرازي، التفسير الكبير،مج٦،ص٣٧٠-٣٧١ و القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،ج٩،ص٦٢ وابن منظور، لسان العرب، مادة: (صيح) إلا أن الرازي قال: " وأيضا فصل بين الفعل والاسم المؤنث بفاصل، فكان الفاصل كالعوض من تاء التأنيث " الرازي، التفسير الكبير،مج٦،ص٣٧٠-٣٧١.

٧- انظر الإسكافي، درة التنزيل، ص١١٥.

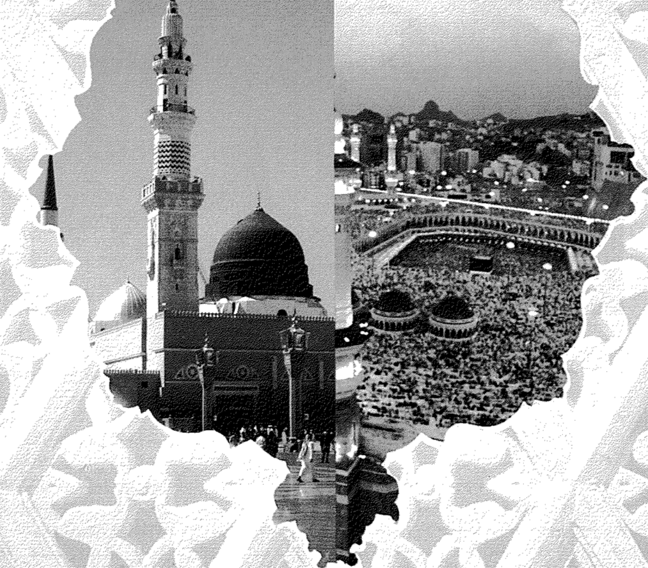
٨- انظر الكرماني، البرهان،ص٦٣، و ص٨٥، ومثله ما جاء عند أبي حيان، البحر المحيط، ج٥، ص٩٧، وابن جماعة في كشف المعاني، ص١٨٤، والبقاعي، نظم الدرر، ج٧، ص٤٤٩-٤٥٠، و ج٩،ص٣٢٥-٣٢٦، و زكريا الأنصاري في فتح الرحمن،ص١١١.

٩- انظر الغرناطي، ملاك التأويل، ج١، ص٥٣٣-٥٣٦.

١٠- انظر الطبري، جامع البيان،ج٨،ص٢٧٣.

١١- الزمخشري، الكشاف،ج٢،ص٣٦٨.

١٢- لقد أفدت من مجموعة من كتب التفسير فيما يتعلق بآيتي سورة هود، فانظر على سبيل المثال: الطبري، جامع البيان، ج١٢، ص٨١-٨٢ وص١٣٠، والزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٣٩٢ و ص٤٠٩، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٧، ص١٥٤ و ج٩، ص٤١-٤٢ و ص٦٢، والبيضاوي، أنوار التنزيل، ج٣، ص١٤٠ و ص١٤٧، الرازي، التفسير الكبير، مج٦، ص٣٧٠-٣٧١، وأبو حيان، البحر المحيط، ج٥، ص٩٦-٩٧ و ج٦، ص١٧٨ و ص٢٠٢-٢٠٤، والبقاعي، نظم الدرر، ج٧، ص٤٤٩-٤٥٠ و ج٩، ص٣٦٧، والألوسي، روح المعاني، ج١٢، ص٤٠١-٤٠٢ ، وفضل عباس، قصص القرآن الكريم،ص٢٢٩-٢٤٩.



من أعلام الحرمين الشريفين

ومنهم الصحابي الجليل الجواد ابن الجواد من فخار بني هاشم، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو جعفر عبدالله بن جعفر الطيار بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم الهاشمي القرشي رضي الله تعالى عنه.



ضياء محمد عطار*

المدينة المنورة

ولد رضي الله تعالى عنه بالحبشة حيث هاجر إليها والده سيدنا جعفر الطيار ذو الجناحين من أم القرى إبان الهجرة الأولى فكان أول مولود يولد بالحبشة للمسلمين. فعاد به والده إلى المدينة الشريفة والنبي صلى الله عليه وسلم في غزوة خيبر وقد فتحت له. فلما وصلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح بقدومه رسول الله صلى الله عليه وسلم واستبشر حتى قال صلى الله عليه وسلم: أنا أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر. فعند سماع هذه العبارة المصطفوية قام والده سيدنا جعفر يتمايل من الفرح.

وأمه السيدة أسماء بنت عميس أخت ميمونة بنت الحارث لأمها رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. ولما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى كان عمره عشر سنوات وهو ند سيدنا عبدالله بن الزبير رضي الله عنه في العمر. وهو آخر من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم. سكن المدينة الشريفة وعاش بها وتوفى بها وله أخبار في الجود والعطاء لم ير مثله في التاريخ. وله رواية في الحديث الشريف وخرج له الإمام مسلم في صحيحه ولم يكن في الإسلام أسخى منه وقد وفد على أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه وكذلك على ابنه يزيد وهو يلي الخلافة وعلى أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان بالشام. ومن أخباره في السخاء والكرم والجود والعطاء أن: أعرابياً وقف في أحد المواسم على مروان بن الحكم بالمدينة الشريفة فسأله أن يعطيه عطاء فقال: مروان ما عندنا ما نصلك به ولكن عليك بابن جعفر ويعني سيدنا عبدالله بن جعفر هذا رضي الله عنه، فأتاه الأعرابي وقد سارت بمتاعه الراحلة. وراحلة أخرى واقفة وعليها متاع وسيف معلق فخرج عليه عبدالله بن جعفر رضي الله عنه فأنشأ البدوى أمامه هذه الأبيات:

أبا جعفر من أهل بيت نبوة
صلاتهم للمسلمين طهور
أبا جعفر ضن الأمير بماله
وأنت على ما في يديك أمير
أبا جعفر ما مثلك اليوم أرتجى
جناحان في أعلى الجنان يطير
أبا جعفر يا بن الشهيد الذي له
فلا تتركني بالفلاة أدور

فقال يا أعرابي: قد سار الثقل أي الموجودات، فعليك بالراحلة يعني هذه بما عليها، وإياك أن تنخدع في السيف فإني أخذته بألف دينار. وهكذا رضي الله عنه أعطى الأعرابي الذي سأله وبمجرد السؤال راحلة كاملة وما عليها ومنها السيف الذي ابتاعه رضي الله عنه بألف دينار ذهباً. ومن حسن كرمه وحرصه على السائل نبهه على أن لا ينخدع في بيع السيف بقيمة لا تساوي قيمته الحقيقية وعلمه بقيمة السيف. وله خبر آخر مع امرأة عجوز ويقال خرج ثلاثة وكلهم من آل بيت النبوة وهم: ريحانتا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبطيه الحسن والحسين وابن عمهم عبدالله بن جعفر الطيار هذا، قاصدين مكة شرفها الله لحج بيت الله الحرام. فلما كانوا ببعض الطريق جاعوا وعطشوا وقد سبقتهم أمتعتهم ورواحلهم التي عليها أثقالهم، فنظروا خيمة أو خباء قريباً منهم فقصدوها

يتأملون شيئاً. فإذا فيها امرأة كبيرة في السن فقالوا لها هل من شراب فقالت نعم. فأناخوا عندها وليس عندها إلا شاة فقالت لهم احلبوها واشربوا لبنها. ففعلوا ذلك وأقاموا عندها حتى استراحوا من العناء وأبردوا من الهواء، فلما ارتحلوا قالوا يا هذه نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه يعنون بيت الله الحرام، فإذا رجعنا سالمين فألمي بنا فإنا صانعون بك خيراً إن شاء الله تعالى. ثم ارتحلوا فأقبل زوجها فأخبرته القصة فغضب زوجها عليها وأنبها ووبخها وقال: ويحك تذبحين شاتنا لقوم لا نعرفهم ثم تقولين نفر من قريش. ثم بعد ذلك بزمن طويل أصابت المرأة وزوجها الفاقة، فاضطرتهم الحاجة إلى أن يقصدوا المدينة الشريفة. فدخلاها فجعلوا يلتقطان البعر من الأزقة فيها فمرت العجوز في بعض سكك المدينة المنورة ومعها مكتلها التي تلتقط فيه البعر، والإمام الحسن رضي الله عنه جالس على باب داره فنظر إليها فعرفها فناداها وقال لها: يا أمة الله هل تعرفينني فقالت لا. فقال: أنا أحد ضيوفك يوم كذا وسنة كذا في المنزل الفلاني، فقالت بأبي أنت وأمي لست أعرفك قال: فإن لم تعرفينني فأنا أعرفك، فأمر غلامه فاشترى لها من غنم الصدقة ألف شاة عينا وأعطاها ألف دينار نقدا، ثم بعثها مع غلامه إلى أخيه الحسين رضي الله عنه فلما دخل بها الغلام عليه عرفها وقال بكم وصلها أخي الحسن فأخبره الغلام فأمر لها بمثل ذلك. ثم بعث بها إلى عبدالله بن جعفر هذا رضي الله عنه فلما دخلت عليه عرفها فأخبره الغلام بما فعل بها الإمامان الحسن والحسين رضي الله عنهما فقال رضي الله عنه: والله لو بدأت بي لأتعبتهما - أي أتعبتهما بالعطاء وبالزيادة وبالكثرة. ولكن أراد أن لا يتفوق عليهما في الجود تأدبا معهما فأمر لها رضي الله عنها بألف شاة وألف دينار ذهباً مثلهما. فرجعت المرأة وهي من أغنى الناس. مما يدل على تفوقه رضي الله عنه في الجود والكرم والسخاء والعطاء. وقد توفي رضي الله عنه بالمدينة الشريفة سنة ثمانين من الهجرة المباركة. واختلف في سنة وفاته فقيل في سنة خمس وثمانين أو أربع وثمانين أو سنة تسعين. وكان قد بلغ من العمر ثمانين أو تسعين سنة وصلى عليه الأمير أبان بن عثمان رضي الله عنهما وهو والي المدينة الشريفة. ومن المعلوم أن ولاية الأمير أبان بن عثمان الأموي عليها كانت سنة ست وسبعين للهجرة الشريفة كما أثبتها في كتابي جلاء العينين واستمرت مدة ولايته نحوا من سبع سنوات. وعليه يمكن الجزم بأن وفاة صاحب الترجمة رضي الله عنه كانت دون سنة تسعين من الهجرة، وعمره أيضاً دون التسعين. لأننا قلنا بولادته في أول سنة من الهجرة، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن عشر سنوات. وأن وفاته كانت زمن الأمير أبان على الحرمين الشريفين وعليه يكون عمره لم يتجاوز الخمس والثمانين على الإطلاق. وقد صلى عليه الأمير أبان بن عثمان رضي الله عنهم بل وحضر غسله وتكفينه وحمل نعشه مع المسلمين ولم يفارقه حتى وضع بالبقيع، ودموعه تسيل على خده حزنا عليه وهو يرثيه ويقول: كنت خير الناس قيلا، وكنت والله شريفا، وبرا، وأصيلا. وقد حضر الصلاة عليه وشيعه جموع كثيرة من الناس وازدحموا على دفنه رضي الله عنه.

---

* attar@naseej.com


جندولية الأنصاري: الرؤية المعاكسة

تعقيب

أ. د. عبدالله باقازي

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

طالعتنا مجلة المنهل الغراء في عددها (٦٠٧) المجلد ٦٩ بمقالة للدكتور عزت عبدالمجيد خطاب بعنوان "جندولية الأنصاري.." والذي يهمني في المقالة إشارة د. خطاب في الإحالات بقوله: "هذا ما زعمه خطأ الدكتور عبدالله" وأنا لم أزعم شيئاً فيما يتصل بإشارتي إلى معارضة الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري - رحمه الله - لقصيدة "الجندول" للشاعر: علي محمود طه بل هذا واقع فني شعري معروف، وإذا كان للدكتور خطاب رؤية نقدية أخرى فهذا لا يعني أن ينسف رؤيتي التي سبقته بـ (١٧) عاماً، وله الحق أن يطرح أي رؤية له مع أحقيتي في السبق في هذا المجال، وعدم نسف إشارتي في هذا المجال، مع ملاحظة أنه عفَّى على جهدي في هذا المجال وكانت جملته تحمل معنى الفوقية على جهد الآخر العلمي، مع أن العلم حق مشترك لا يعرف كبيراً ولا يعيره مع تأكيدي في النهاية على إدراج قصيدة الأستاذ الأنصاري - رحمه الله - في النسق التعارضي أو المحاكي أو التقليدي سمها - ما شئت - والله الهادي إلى سواء السبيل.

د. محمد عمارة لـ "المنهل":

الهيمنة الغربية تصنع أمراضنا..

■ نحن نحدد مفهوم الأمة لأن الثقافات العالمية هي مدارس فكرية متعددة..

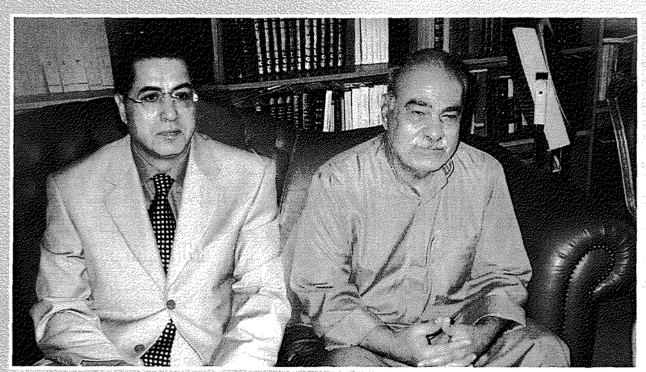
■ التشرذم القطري المغالي يجزئ الأمة، ويجعلها مفتقرة إلى الحد الأدنى من التضامن..

■ عندما تقرأ التراث الإسلامي لن تجد فيه مصطلح الأقلية..

■ الوعيُ بالتاريخ مرتبة أعلى من مرتبة قراءة التاريخ..

أجرى الحوار:
مصطفى محمد مصطفى - المنهل

الأستاذ الدكتور محمد عمارة مصطفى عمارة مفكر إسلامي ومؤلف ومحقق، عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ولد بريف مصر مركز قلين - كفر الشيخ - في ٨ / ١٢ / ١٩٣١م، حفظ القرآن الكريم وجوده وهو في كُتَّاب القرية.. بدأت تتفتح وتنمو اهتماماته الإسلامية والعربية والوطنية وهو صغير..



المحاور مع الدكتور محمد عمارة

محطات في حياة الأستاذ الدكتور محمد عمارة

النشأة والتحصيل:

كان أول مقال نشرته له صحيفة (مصر الفتاة) بعنوان (جهاد عن فلسطين).. وقد حصل على الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ١٩٦٥م. وحصل على الماجستير في العلوم الإسلامية تخصص فلسفة إسلامية - في ذات الكلية ١٩٧٠م. وحصل على الدكتوراه في ذات التخصص في نفس الكلية ١٩٧٥م.

حصل على العديد من الجوائز والأوسمة والشهادات التقديرية والدروع، منها: جائزة الدولة التشجيعية بمصر سنة ١٩٧٦م، ووسام التيار الفكري الإسلامي القائد المؤسس سنة ١٩٩٨م.

الإنتاج العلمي:

أثرى المكتبة العربية بعدد وفير من الكتب فاقت ٢٠٠ كتاب ومؤلّف في فكر التجديد .

ترتيب البيت العربي والإسلامي لتعظيم إمكانات وطاقات الأمة..

★★★★★★

حقق لأبرز أعلام اليقظة الفكرية الإسلامية الحديثة ومنهم: (جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده وعبدالرحمن الكواكبي) وألّف الكتب والدراسات عن أعلام التجديد الإسلامي مثل: (الدكتور عبدالرزاق السنهوري باشا، والشيخ محمد الغزالي، ورشيد رضا، وخير الدين التونسي، وأبو الأعلى المودودي، وسيد قطب، والبنا)، وكتب عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم: (عمر بن الخطاب، وأبو ذر الغفاري، وعلي بن أبي طالب رضى الله عنهم أجمعين)، كما كتب عن تيارات الفكر الإسلامي القديمة، والحديثة وعن أعلام التراث مثل (غيلان الدمشقي، والحسن البصري، والنفس الزكية).

الفكر والتوجه:

ينتمي المفكر إلى (المدرسة الوسطية) ويدعو إليها، فيقول عنها إنها (الوسطية الجامعة) التي تجمع بين عناصر الحق والعدل من الأقطاب المتقابلة فتُكوِّن موقفاً جديداً للقطبين المختلفين، ولكن المغايرة ليست تامة، فالعقلانية الإسلامية تجمع بين العقل والنقل،، والإيمان الإسلامي يجمع بين الإيمان بعالم الغيب والإيمان بعالم الشهادة، والوسطية الإسلامية تعني ضرورة وضوح الرؤية باعتبار ذلك خصيصة مهمة من خصائص الأمة الإسلامية والفكر الإسلامي، بل هي منظار للرؤية وبدونها لا يمكن أن نبصر حقيقة الإسلام، وكأنها العدسة اللامعة للنظام الإسلامي والفكر الإسلامي، والفقه الإسلامي، وتطبيقاته، فقه وسطي يجمع بين الشرعية الثابتة والواقع المتغير أو تجمع بين فقه الأحكام وبين فقه الواقع، ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى جعل وسطيتنا جعلاً إلهياً (جعلناكم أمة وسطا) سورة البقرة الآية/ ١٤٣ .

ولمزيد من الفهم والإدراك لفكر الكاتب الإسلامي د. محمد عمارة، جاء هذا الحوار معه لنفهم من خلاله طريقة تعامله مع القضايا الفكرية المختلفة.

المنهل: شعرة فارقة بين الجهاد وبين العنف!! وبين مقاومة العدو وبين فوضى عنف التدمير!! ما الأسباب الدافعة لفوضى العنف وما علاجها وما هو المخرج وما هي مقومات الجهاد والمجاهدة؟!

■ هذه قضية مركبة.. والحديث عن المأزق الذي تعيش فيه الأمة الإسلامية، وعن حركات العنف التي تضطرب بها كثير من المجتمعات الإسلامية، وعن أسباب ذلك، وعن المخرج من هذه الحالة: أتصور أن هذه قضية شديدة التركيب والتعقيد

الوسطية الإسلامية.. تعني وضوح الرؤية

★★★★★★

لكن إذا أردنا إشارات موجزة لهذه الحالة وهذه القضية: أتصور أننا أمة تعيش في مخاض، بمعنى: هناك جوانب سلبية كثيرة وإيجابية كثيرة في حالة الأمة في الوقت الذي نعيش فيه على مستوى الأمة الإسلامية.. في النظم والحكومات كثير من السلبيات ومنها سلبية كبرى هي خضوع وتبعية كثير من الحكومات للهيمنة الغربية.. وهذا الموقف يُحْدِث كثيراً من ردود الفعل لدى قطاعات من الأمة.. هذا يشبه رب الأسرة الذي عجز عن حماية بيته، فبعض أبنائه يبلغ بهم الغضب إلى درجة العنف.. الأمة إذا نظرت إلى كثير من مَوَاطنها خصوصاً المواطن الساخنة مثل فلسطين والعراق وأفغانستان- الشيشان إلى آخره، تجد حرماتها قد انتهكت وعجزت نُظُمها وحكوماتها عن حماية هذه الحرمات.. ومن هنا تُطرح حلول في الساحة مختلفة، منها: حلول عاقلة تدعوا إلى فكر جهادي ضد العدو، ومنها حلول غير عاقلة وغير محسوبة تستخدم العنف ضد جسد الأمة ومجتمعات الأمة فتهز الاستقرار، وتخدم العدو بدلاً من أن تخدم قضية الأمة..

أنا دائما أقول إن الهيمنة الغربية تصنع أمراضنا أو تحرس أمراضنا.. إذاً يجب أن يكون لدينا وعي يوجِّه القتال والجهاد إلى العدو.. مثلاً على أرض فلسطين الاقتتال الفلسطيني الفلسطيني خطأ وجريمة أما توحيد الصف لقتال المحتل الصهيوني هذا هو الموقف السليم.. ونفس الشيء نقوله على نطاق العالم الإسلامي، مهما كانت لدينا من

نحن أمة ليس لديها عنصرية (كلكم لآدم وآدم من تراب)..

★★★★★★

ملاحظات ومطالب للإصلاح ودعوة لإزالة الفساد وكل هذا مطلوب ينبغي أن يتم بالاسلوب السلمي والتغيير الصبور وبالتضحيات.. هذا هو الطريق للإصلاح وللتغيير.. وحال الأمة رغم ما يبدو عليه من العوامل التي تبعث على اليأس والقنوط فإن هناك جوانب إيجابية كثيرة.. الأمة الآن تعود إلى دينها وهذه ظاهرة صحية يندر أن توجد في أي أمة من الأمم الأخرى غير الأمة الإسلامية، حتى حركة الفكر الجهادي والاستشهادي هذه ظاهرة، بمعنى أن ما يصنعه الشعب الفلسطيني من صمود وفداء لا نظير له في التاريخ وهو شعب مستضعف ومعزول – ومن حوله لا يغيثونه وهو يواجه أعتى قوة في العالم – هذه ظاهرة صحية.. ونفس قوة الدفاع والمقاومة، ومغالبة العدو نجدها في الحالة العراقية والافغانية.. برغم قوة العدو وشراسته.

ولا يقتصر أمر التغيير الإيجابي على حركة المقاومة في ميدان القتال، بل تعداه إلى ميدان الفكر والثقافة.. فقد رفض المجتمع كل الضغوط التي تحاول التدخل في هوية الأمة وفي ثقافة الأمة وفي التعليم الديني.. عليه نحن أمام حركة ممانعة ومقاومة تدل على أن مناعة الأمة لم تصل إلى درجة الصفر كما يحسب البعض بل إنها في قدر من النمو لا بأس به برغم الضغوط الكثيرة.

وأمام هذه الرؤية علينا تحديد الاتجاه وترتيب البيت العربي الإسلامي .. هذه الأمة لديها طاقات غير منظورة سواء على المستوى الاقتصادي والثقافي والحضاري والديني والبشري والجغرافي لكن التشرذم القطرى المغالى يجزِّئ الأمة ويجعلها مفتقدة إلى الحد الأدنى من التضامن.

– التشرذم الحادث الآن كارثة، تجعلنا مثل السفهاء الذين ورثوا كنوزاً لا يعرفون قيمتها– وبرغم هذا الحادث الآن فأنا لست متشائماً.. والظواهر المتمثلة في حركات العنف لا تعتبر جديدة، ننصح هؤلاء الشباب ونقول لهم أنتم تأتون بفكر قديم سواء كان فكر الخوارج حول قضية الحاكمية أو بعض فتاوى ابن تيمية في قضية التتار.. هذا الكلام نشرته في سنة ١٩٨٢م في مناقشة كتاب الفريضة الغائبة.. وبعد هذا الذي صنعوه عادوا فاعترفوا بالأخطاء وقالوا لقد أخطأنا.

– والتجربة في مصر تؤكد أن الشباب عندما دخلوا السجون وأتيحت لهم فرصة القراءة والحوار راجعوا أنفسهم وكانوا يرسلون لنا من داخل السجون ويطلبون الكتب وبعضهم عمل دراسات عليا – ماجستير ودكتوراه – وأتيحت لهم فرصة للنضج الفكري والحوار الفكري.

ما كنا نقوله لهم قبل خمسة وعشرين عاماً ولا يسمعونه بدأوا يفكرون فيه وبدأوا يراجعون أنفسهم مراجعات دقيقة، إذاً الحوار الفكري يكون مفيداً إذا جاء من علماء ليست عليهم شبهات، ولا يكونون صوت سيدهم، لأن هؤلاء دونهم القلوب مغلقة وكلامهم ليس فيه التوازن الذي يُقْنِع، إذاً

القضية شديدة التعقيد ولكن الخارج منها سوف يكون مرتاحاً إن شاء الله.

المنهل: هل توجد نقاط واضحة وتصور مدروس نستطيع بها حل مشاكلنا مثلاً (١، ٢، ٣) أم أننا أصبحنا مرهونين للخارج في حل مشاكلنا؟!

■نحن أمامنا مشاريع كثيرة مدروسة، فالعالم العربي عنده مشاريع للتكامل الاقتصادي وللوحدة الاقتصادية منذ الخميسنيات في القرن العشرين- قبل الوحدة الأوروبية.. نحن لسنا في حاجة إلى عبقرية تقول لنا أننا نستطيع أن نزرع أكلنا في السودان وأن نستثمر أموالنا في داخل بلادنا، وأن نُفَعِّل منظمة قائمة وهي الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي وأن تكون السياحة داخل العالم العربي وداخل العالم الإسلامي، وأن نهتم باستهلاك السلع المصنعة في العالم الإسلامي قبل السلع المصنعة خارجه.. إننا مثلاً عندما نشتري سلعة تركية أو مصرية أو ماليزية أو أندونسية هذه لاتحتاج إلى معجزات وعبقرية.. وكنت قد اقترحت في إحدى الفضائيات ألا تدخل مكة المكرمة والمدينة المنورة إلا السلع المصنعة داخل الدول الإسلامية فيشتري الحاج البضائع المصنعة في بلاد مسلمة.. هذه بداية للتحرر الاقتصادي..

بدلاً من أن نأتي بسجادة الصلاة من الصين أو اليابان نأتي بها من سوريا مثلاً وتركيا.. وهناك حلول موجودة وقائمة لكن تحتاج إلى كلمتين إرادة وإدارة – إرادة الخروج من هذا المأزق بقرار سياسي وإدارة منظمة فاعلة.. عندنا منظمة للوحدة الاقتصادية وعندنا الكثير من المخلصين الذين يستطيعون أن ينفذوا ذلك.. نحن ندرك أن لغتنا العربية وديننا الإسلامي وتاريخنا، هذه عناصر

وفود الغرب طلبوا منا الاعتراف ب (حرية الشذوذ - البهائية - القاديانية - وشهود ياهوه)

★★★★★★

تمثل هويتنا وشخصيتنا الحضارية وهي بصمة الأمة وعلينا الحفاظ عليها في مناهج التعليم والثقافة والمجلات والإذاعات والفضائيات، والحفاظ على هذه العناصر يبعث العزة في الأمة، يجعل المحكوم يقف مع الحاكم للحفاظ على هذه المقومات وهذا فيه قوة للحاكم وعزة للمحكوم وجمع لشمل الأمة، وأنا أتصور أن الحلول ليست مجهولة وهي موجودة في درج المكتب، لكنها تحتاج إلى إرادة تُخرجها إلى قرار سياسي قابل للتنفيذ.

المنهل: يتحدث البعض عن موت الأمة الإسلامية، ترى، ما مفهوم الأمة.. ومامقومات وجودها؟

■هناك مدخل منهجي في غاية من الأهمية ونحن نحدد مفهوم الأمة لأن الثقافة أو الثقافات العالمية فيها مدارس فكرية فيما يتعلق بمفهوم الأمة، هناك المدرسة الألمانية تركز على اللغة والتاريخ، والفرنسية تركز على الإرادة والمشيئة، والمدرسة المادية والماركسية وهي تحدد أن الأمة شروطها ومكوناتها الأرض المشتركة واللغة المشتركة والحياة الاقتصادية المشتركة والتكوين النفسي المشترك.

أما المنهج الذي نُزكيه وهو منهج علمائنا وسلفنا إننا ونحن نطرح مفهوم مصطلح من المصطلحات وهو مصطلح الأمة في حالتنا الراهنة لابد أن نعود إلى القرآن الكريم، لابد أن نعود إلى اللغة العربية.

في لغة القرآن الكريم: المسلمون أمة بمعنى جماعة، القرآن الكريم يحدد أن المسلمين أمة {وإنَّ

هذه أمتكم أمة واحدة}، {كنتم خير أمة أخرجت للناس} نأتي إلى مكونات الأمــة، مظاهر الأمــة، عناصر الأمة: أقول هناك الجماعة أي الأمة تربطها وتجمع بينها وتوحدها عقيدة واحدة، شريعة واحدة، حضارة واحدة والحضارة تشمل الثقافة والمدنية، الثقافة هي عمران النفس الإنسانية والمدنية هي عمران الواقع المادي، وهناك عنصر آخر هو دار الإســـلام أو الوطن، هذه ثلاثة جوامع على أساسها تكونت أمة إسلامية وأمة منذ أن كونها الإسلام إلى الآن موجودة بكل مكوناتها ومظاهرها.

وفي واقعنا الحالي ترى مظاهر الأمة ماثلة في الشارع.. ترى الثقافة الإسلامية، والانتفاضة للمقاومة على أرض فلسطين، على أرض العراق، في السودان، في الصومال، في الشيشان، في كشمير، في أفغانستان ترى هذه الوحدة.. الناس تجاهد، الناس تسعى إلى هذه الميادين.. ميادين التوتر والجهاد ومن لا يستطع : يدعو، يبكي، يتضرع.. إذاً وحدة الأمة حقيقة في كيان الأمة - دعك من النظم والحكومات هذه قصة أخرى - إنما الأمة التي واجهت التتار، الأمة التي واجهت الصليبيين، الأمة التي واجهت الغزوات الاستعمارية الحديثة، هي هذه الأمة المتوحدة في مشاعرها ووجدانها.. الدور الذي أدته أقطار الأمة مثل مصر على سبيل المثال في تصفية الاستعمار الفرنسي، وفي تصفية الاستعمار الإنجليزي، وفي مساعدة حركات التحرر الوطني، كل هذه مظاهر لحيوية الأمة، للروابط التي تجمع هذه الأمة.

نحن أمة تعيش مع كل الحضارات والثقافات والديانات

★★★★★★

المنهل: في وسط هذه الأجواء هل توجد قضية معينة تستحوذ على فكركم وجهدكم هذه الأيام؟

■ الهيمنة الغربية والأمريكية تحديداً منذ تغير النظام الدولي من الثنائية القطبية إلى أحادية الهيمنة الأمريكية أصبحت قضية الهيمنة الغربية والعدوان على العالم الإسلامي والحرب المعلنة على الإسلام في وسائل الإعلام الغربية هذه أمور ليست جديدة، لكن حدث لها صعود وحدث لها مد وأصبحت حادة وشديدة الاستفزاز وهذا بعث قدراً من اليأس والقنوط لدى شرائح في العالم الإسلامي، تلك هي القضايا التي تشغلني..

عادة الفكر لابد أن يستجيب للتحديات، وفكرة التحدي فكرة أساسية عند الإنسان.. عادةً الكاتب لا يكتب كتاباً إلا إذا كان هناك تحدٍ يستفزه للاستجابة وقد يكون لدى الإنسان أفكار كثيرة ومشاريع فكرية كثيرة لكن التحديات هي التي ترتب الأولويات وتجعلك تختار هذا الموضوع قبل هذا.

التحدي الغربي هو الذي يحدد أولويات الفكر في هذه المرحلة التي نعيش فيها، ومن هنا ستجد أن الكثير من الكتابات التي يقدمها الإنسان متعلقة بهذه القضية.. الهجوم على الإسلام.. يدفع للكتابة عن سماحة الإسلام وللمقارنة نكتب عن العنصرية عند الآخرين.. قضية الغلو في الداخل.. دفعتني

لكتابة مقالات عن الغلو الديني واللاديني -كتبت كتاب (الغرب والإسلام) أين الخطأ وأين الصواب كتبت كتاب (الإسلام والآخر) من يعترف بمن ومن ينكر من..؟ وهذه العناوين ليست دفاعاً، وإنما دفاع وهجوم في نفس الوقت لأن التحدي الحضاري والسياسي والعسكري يفرض علينا أن نواجه هذا وإلا سوف نكون ممن يغرد خارج السرب ولا يعيش عصره والمشكلات التي تواجهنا.

المنهل: كيف نحافظ على الهوية الثقافية والحضارية العربية في ظل العولمة والهيمنة التي تبسط نفوذها على عالمنا العربي؟

■ هذا يتم بأمرين بكشف مخططات العدوان على الهوية بمعنى أنه عندما تكون اللغة العربية تتعرض لهجمة وعندما تكون هناك محاولات لسيادة العاميات واللهجات العامية بدلاً من العربية علينا أن نكشف جذور التحديات والمخاطر ونفضح مقاصدها التي تريد تفتيت الأمة وعزل اللغة عن القرآن الكريم والتراث .. وعندما يكون هناك هجوم على المناهج الإسلامية والعقائد الإسلامية والخطاب الإسلامي نفضح جذور هذا العدوان لأن هذا ليس جديداً لكنه وكما قلت هذه أمور تتصاعد في وقتها.

- وأنا لست قلقاً من هذه الحملة الشرسة على الإسلام والدول الإسلامية لأن هذه ليست جديدة فقد مورست عندما كان الغرب له قدر من السمعة الطيبة أكثر وكان الخبث مغطى إنما الآن الغرب أصبح مفضوحاً والحرب على المكشوف وكما يقولون الهجوم على الإسلام أصبح ظاهراً والمفروض أن نقلق من ردود الفعل العنيفة ضد هذا التوجه.

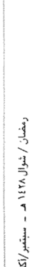
الإيمان الإسلامي.. يجمع بين الإيمان بعالم الغيب والإيمان بعالم الشهادة

★★★★★★

وهناك كتابات تجعلنا على وعي بالتاريخ.. والوعي بالتاريخ، مرتبة أعلى من مرتبة قراءة التاريخ فهذا أيضاً يجعل التاريخ سلاحاً في أيدينا وليس منطقة هزيمة في تاريخنا.. وهو يُعد بعثاً للعزة والكرامة وما اسميه بالكبرياء.. المشروع لدى الأمة هو عنصر أساسي في الحفاظ على هوية الأمة وعلى عزم الأمة وصمود الأمة والدراسات المقارنة تكون عونا كبيراً لنا.

- عندما ظهر الإسلام كان الشرق قلب العالم المسيحي ثم تحول إلى قلب العالم الإسلامي وأصبحت أوروبا هي قلب العالم المسيحي والعلمانية قتلت المسيحية في أوروبا لم تعد أوروبا مسيحية.. الذين يؤمنون بالإله في أوروبا ١٤٪ والذين يذهبون إلى الكنيسة ١٠٪ ويذهبون إليها كما يذهب أحدهم إلى مباراة كرة القدم.. أي لا علاقة له بالتدين فأصبحت أوروبا تعيش فراغاً دينياً.. عقلاء أوروبا من رجال الدين وغيرهم يقولون هذا الكلام .. والإسلام يتمدد في أوروبا.. عندما ترى الأمة الإسلامية تعود إلى دينها.. ترى الأمم الأخرى تتحلل من دينها. هذه حقائق تثبت أقدامنا.. علينا ألا نيأس لأن اليأس أخطر تحد يواجه أي أمة من الأمم، لأن اليائس لو امتلك الإنسان فإنّ كل طاقات الدنيا تصبح عنده صفراً لا قيمة لها لأنه لاتوجد عنده إرادة لاستخدام هذه الطاقات.

- ولذلك دائما أتحدث وأنبه على المبشّرات، نحن أمة ليس لديها عنصرية فنحن نعيش مع كل



الحضارات والثقافات والديانات وتعيش في بلادنا الأقليات بأمان، كما كان يقول الشيخ الغزالي عن الأقلية القبطية في مصر هي أسعد أقلية في العالم.. نحن أهل سماحة والأقباط في مصر أقل من ٦٪ من عدد السكان ويملكون ٤٠٪ من ثروة مصر ونضع هذه الحقائق أمام الناس وكتبت كتاباً عن (المسألة القبطية حقائق وأوهام) حتى يعرفوا سماحة الإسلام والمسلمين.. كانت عندنا لجنة الحريات الدينية الأمريكية جاؤا ليطلبوا منا حرية الشذوذ وحرية البهائية والقديانية وشهود ياهوه هذه هي المطالب لماذا؟.. لتفكيك وحدة الأمة.

البهائية لأن عاصمتها وقبلتها وقاعدتها إسرائيل وحركة من هذا القبيل القصد منها هو تفكيك الأمة.. وشهود ياهوه مذهب مسيحي، الكنيسة المصرية ترفضه لأنه أقرب إلى اليهودية منه إلى المسيحية - الاتحاد الأوروبي يريد فرض هذه البلاءات.. اثنا عشر سفيراً أوروبياً يجتمعون بالدكتور كمال أبو المجد وكيل مجلس حقوق الإنسان ليطلبوا منه هذه المطالب (حرية الشذوذ - البهائية- القديانية- شهود ياهوه) لأن مفاهيم الحرية عندهم ليس لها سقف.. نحن أمة، حقوق الإنسان فيها مرتبطة بحقوق الله سبحانه وتعالى والإنسان خليفة وليس سيد الكون.. إذاً نريد أن نعي هذه الحقائق لندرك أننا عندنا خير كثير.. عندما ننظر إلى تحلل الأسرة في المجتمعات الغربية والحركات الإثنية التي تتحدث عن الزواج باعتباره عبودية، والأسرة عبودية، وأن حرية المرأة تعنى حرية جسدها، أن تتصرف فيه كما يحلو لها وكما تشاء.. إذا نظرنا إلى أولئك نجد حال الأسرة

حقوق الإنسان مرعية في الإسلام من غير تجاوز أو تعدٍ..

★★★★★

عندنا هو الأفضل دائماً أقول إنه علينا كي نصمد أن ندرك ما لدينا من طاقات وإمكانات ومن إيجابيات بخاصة عندما نقارن أنفسنا بالآخرين.

المنهل: لو تحدثنا عن مسألة وحدة الأمة ومسألة الأقليات والتعددية، نجدها تطفو بين الحين والآخر.

أين تقع مسألة الأقليات عندما نتحدث عن وحدة الأمة؟

■عندما تقرأ التراث الإسلامي لن تجد فيه مصطلح الأقلية، الإسلام يقول أمة فيها تنوع، تنوع ديني.. شرائع ومِلل، تنوع قومي.. ألسنة ولغات وقوميات، تنوع ثقافي.. مناهج.. إذاً التنوع سنة من سنن الله في إطار الأمة الواحدة، أما قضية الأقليات والطائفية فهي من لون الاختراق الغربي.

وهذه مجموعة من رهاناتهم على تفتت مجتمعاتنا.. منها على سبيل المثال نابليون عندما جاء إلينا في ١٧٩٨م راهن على أقلية من الأقباط وعمل على ايجاد مشروع طائفي وفشلوا، الإنجليز راهنوا على الأقليات، الفرنسيون في الشام راهنوا على الأقليات، وراهنوا على بعض الأمازيغ في شمال إفريقيا، الصهاينة والأميركان راهنوا على القطاع العلماني من الأكراد وراهنوا على قطاع من الشيعة وليس كل الشيعة في قضية العراق، وفشلت كل هذه الرهانات وذلك بسبب وعي الأمة..

من الممكن أن تكون هناك مظالم كثيرة، ليس فقط عند بعض الأقليات وإنما عند الأغلبيات، علينا أن نناقش كل هذه المظالم ونحل هذه المشاكل في إطار الأمة.. في إطار مؤسسات الأمة السياسية والاجتماعية، وعلى سبيل المثال كان مكرم عبيد يقول أنا مسيحي ديناً ومسلم وطناً، لقد ظل الأقباط والكنائس الشرقية عبر التاريخ جزء من تراث الأمة ونحن وهم في خندق واحد، أما التغريب والانحياز للغرب فهذا هو الذي يولد الطائفية.

المنهل: نرى في كتابات البعض أن مفهوم الأمة الإسلامية الآن ربما أصبح وهماً، لماذا يُهاجم مفهوم الأمة الإسلامية الآن؟

■إما أن يكون هذا انطلاقاً من القطرية والتجزيئية والتشظي، فقد أصبح لدينا مثقفون ارتبطوا بهذه التجزئة وبهذا التمزق الذي أصاب العالم الإسلامي.. وإما بسبب بعض المثقفين الذين لا علاقة لهم بالإسلام ولا يريدون أن يكون هناك رابط إسلامي.. نحن منذ عقود مضت نصيح ليل نهار أن هناك حرباً على الإسلام، وهم يقولون إن هذا وهم.. لماذا؟ لأنهم في مواقع الذين يحاربون الإسلام.

المنهل: الأمة موجودة ولكن مشكلتها أنها مريضة؟

■أمراضنا ذات جناحين: تخلف موروث من عصور التراجع الحضاري، وهيمنة من الغرب.. أمتنا مرت بمرحلة تراجع حضاري في العصر المملوكي وفي العصر العثماني، هذه حقيقة ممثلة في ضيق الأفق.. وهناك الجمود وهناك التخلف.. تخلف في

الثقافة.. هي عنوان النفس الإنسانية.. والمدنية.. عنوان الواقع المادي

★★★★★★

التقنيات وفي العلوم المدنية وفي تطوير الواقع الذي نعيش فيه.. وهناك هيمنة غربية تحرس أمراضنا وتحرس تخلفنا، إذاً نحن عندنا أمراض ذات جناحين؛ تخلف ذاتي موروث وهيمنة حضارية من الغرب.

أذكر القراء بحال الدولة العثمانية، كانت دولة مريضة لكن من الذي كان يحرس أمراضها إلى أن تحين لحظة اقتسام الأسلاب والتركات؟!! هذا الحارس لأمراضنا، الحريص على استدامتها هو الغرب.. لأن مصلحته في ضعفنا.. ولذلك الجهاد ضد الهيمنة الغربية هو الذي يتيح لنا أن ننهض من التخلف الموروث.

خذ على سبيل المثال، في الوقت الراهن تتحدث أوروبا وأمريكا عن ضرورة الإصلاح ونحن نعلم أن الغرب هو أعدى أعداء الإصلاح، وأميركا هي أعدى أعداء الديمقراطية.. لماذا؟ هي تحرس الاستبداد لأن الاستبداد مرض من أمراضنا.. أمراض التخلف الذاتي، فالغرب والهيمنة الغربية تحرس أمراض الأمة.. حتى لا تكون هناك نهضة ولذلك فالتحرر الوطني في اللحظة الراهنة هو القضية الأساسية، والحديث عن الديمقراطية والإصلاح والتقدم في ظل الاحتلال والقواعد العسكرية والهيمنة الغربية وَهْمٌ على العقل العربي والمسلم أن يبرأ منه.

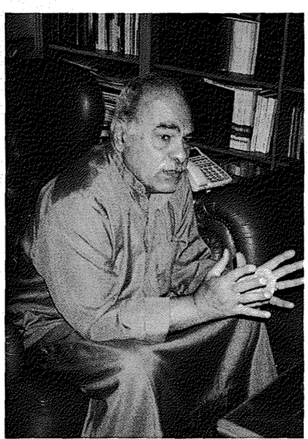
المنهل: هل هناك تصور ما لإدارة خلافاتنا الداخلية أثناء الأزمات؟

■الحوار بين تيارات الفكر في الأمة ليس مجرد

حوار وإنما هو فريضة، نحن نتحدث كثيراً عن حوار عربي أوروبي.. حوار شمال وجنوب.. حوار ديني.. حوار حضاري.. وكل هذه الشعارات لم تحقق شيئاً وبرغم كل هذا لا نتحدث عن حوار إسلامي إسلامي.. لماذا لا تجتمع هيئات ومدارس ومؤسسات العالم الإسلامي فتطرح قضايا الأمة وتتحاور حول هذه القضايا ونحدد حداً أدنى للاتفاق؟! نحن لا نطمع أن نتفق على كل شيء لأن الاختلاف سنة من سنن الله سبحانه وتعالى ولذلك أقول علينا أن نتحاور بين تيارات الفكر المختلفة والمذاهب المختلفة سنة وشيعة وغير سنة وغير شيعة وبذلك نصل إلى قواسم مشتركة في مواجهة هذا الاجتياح الصليبي الصهيوني الذي نواجهه الآن.

المنهل: المرأة في المنظور الإسلامي إنسان له مكانته وله كيانه وله حقه هل عولمة الأسرة تصادم الفطرة وتخالف الإسلام؟

■ المواثيق التي تصاغ من لجنة المرأة في الأمم المتحدة يريدونها أن تكون ديناً جديداً ومرجعية بديلة للدين.. هذه مواثيق مخالفة للفطرة عندما يتحدثون عن أن النشاط الجنسي حق من حقوق الجسد حتى للمراهقين والمراهقات وأن من حقهم تنظيم النسل والإجهاض الآمن، وعندما يتحدثون عن الجنس المسؤول وليس الجنس المشروع وعندما يتحدثون عن ضرورة تغيير هياكل الأسرة بدلاً من أن تكون الأسرة عقداً شرعياً بين ذكر وأنثى يريدون أن يكون التقاء بين اثنين رجلين أو امرأتين. نحن أمام مدٍّ شيطاني يُفرض على العالم والناس.. يجب أن تدرك أن هذا أحدث في الغرب بلاءاً لا حدود له.. عندما تقول الإحصاءات أن أكبر منظمة



لكي نصمد لابد أن ندرك مالدينا من طاقات وإمكانات

★★★★★★

نسائية في أمريكا ٦٠٪ من عضواتها سحاقيات.. وأن لجنة المرأة في الأمم المتحدة تسيطر عليها سحاقيات.. وأن أكثر من ٨٠٪ من الفتيات في أمريكا لا يعرفن معنى البكاره.. وأن ٥٣٪ من النساء في فرنسا يكون المولود الأول لهن قبل الزواج.. وأحد أصدقائي يقول إنه شهد زفافاً لسيدة أطفالها التي انجبتهم قبل الزواج يرفعون لها ثوب الزفاف.. وأن ٤٠٪ من الطفولة غير شرعية.. وهذه المجتمعات تنظم مهرجانات سنوية للشذوذ والشواذ ويمارس فيها الجنس على قارعة الطريق وفي الحدائق العامة.. عقلاء أوروبا منزعجون.. وعقلاء العالم منزعجون من هذا البلاء

الذي دخلت فيه الحضارة الأوروبية.. هم يريدون أن يفرضوا علينا هذا البلاء.

– وهذه هي الحداثة عندهم وما بعد الحداثة، وهذا هو التقدم عندهم.. عندما قرأت اتفاقية إلغاء كل أشكال التميز ضد المرأة الصادرة عام ١٩٨٠م، عندما قرأتها قراءة الدارس والباحث وجدت أربع كلمات لم ترد في هذه الاتفاقية (الدين– الله– القيم– الأخلاق) وهي أساس الحياة، لا وجود لها في هذه الاتفاقية ولا في وثيقة مؤتمر السكان، مؤتمر بكين وما بعد بكين إلى آخر كل هذا البلاء.. نحن نخوض حرباً عقدية وثقافية وفكرية ضد هذه المنظومة الشيطانية.. وإن كنت أؤمن بأن هناك مؤامرات لكن لا أبالغ في تعميم نظرية المؤامرة، لكن أقول إن الصهيونية واليهودية العالمية تلعبان دوراً تاريخياً في تفكيك منظومات القيم بالنسبة للأمم والشعوب.. نحن نريد تحرير المرأة بالإسلام وليس تحرير المرأة من الإسلام.

– والتحرير الإسلامي للمرأة وهذا عنوان أحد كتبي يجعل المرأة حتى في الغرب عندما تدخل المرأة الغربية في الإسلام تجد حريتها، تجد ذاتها، تجد كرامتها. المرأة هناك تحولت إلى سلعة.. الناس لا يدركون أن أول تجارة في العالم هي تجارة السلاح وثاني تجارة هي تجارة المخدرات وثالث تجارة هي تجارة الدعارة (٥٧).. مليار دولار هي حجم تجارة الجنس في الغرب.. نحن أمام بلاء طاحن!!

★★★★★★

تحرير المرأة بالإسلام وليس تحريرها من الإسلام

حالتنا الإسلامية رغم ما فيها من سلبيات ونواقص لكن فيها خيراً كثيراً.. وهذا الخير أساسه الإسلام والتمسك بالإسلام.. إن تحديات الغرب ومحاولاته الشرسة لن تصل إلى مقاصدها طالما أن الأمة تعي خيرها وما لديها وتعي أيضاً البلاء الموجود على الضفة الأخرى عند الغربيين.

المنهل: تطرقت إلى الغرب ونحن نوهم أنفسنا كثيراً جداً بموضوع المؤامرة هل الغرب له علاقة مباشرة أو غير مباشرة بتدني مستوى البحث العلمي لدى شعوبنا العربية والإسلامية هل هو يسعى لهذا فعلاً؟

■القرآن الكريم يعلمنا منهج التخاطب مع الآخر، عندما يتكلم عن اليهود يقول إنهم: ليسوا سواءاً، وعند الكلام عن أهل الكتاب لا يعمم الكلام عن أهل الكتاب يقول طائفة من أهل الكتاب، كثير من أهل الكتاب.. الغرب فيه الإنسان الغربي وهذا لا مشكلة لنا معه وعندما نعرض عليه قضايانا يتعاطف معنا.. العلم الغربي نتتلمذ عليه وخاصة في العلوم الطبيعية والدقيقة والمحايدة.. هذا مشترك إنساني عام، ولكن الاختلاف مع مشروع الهيمنة الغربية المشروع السياسي وهو ما نواجهه منذ ظهور الإسلام.. الإسلام حرر الشرق من الهيمنة الغربية والرومانية والبيزنطية وجاءت الحروب الصليبية واستمرت قرنين من الزمان لإعادة اختطاف الشرق من الإسلام.. حررنا البلاد الإسلامية من الغزو الصليبي ثم جاءت الغزوة الاستعمارية منذ سقوط غرناطة ١٤٩٢م للالتفاف حول العالم الإسلامي تمهيداً لضرب قلب العالم الإسلامي.

تغريب العالم الإسلامي هذا مشروع مدبر.. وبالطبع هو يحرمنا من الغذاء الذي يدعم

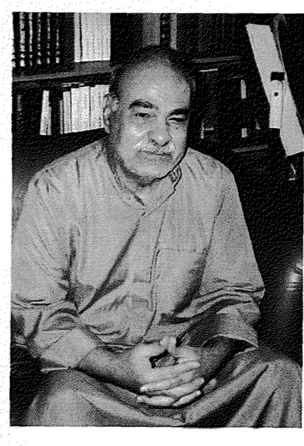
استقلالنا.. يحرمنا من العلوم النافعة ويفرض علينا المواد الإعلامية التي تشوه ثقافتنا..
مشكلتنا المشروع الأمريكي، مشروع الهيمنة على العالم.. مشروع الأمبراطورية الأمريكية والامبرياليه الأمريكية.. ليست مشكلتنا مع العلم ولا مع الإنسان.. ولكن الحديث عن المؤامرة أو التآمر.. هذه هي حقيقة الذين ينكرون المؤامرة والقرآن الكريم يقول {وإذ يمكر بك الذين كفروا}.
والمكر التدبير الخفي.. الآن تجاوزنا مرحلة المؤامرة.. أصبحت المعركة معلنة وأصبح العداء للإسلام ليس مؤامرة خفية وإنما أصبح أمراً معلناً.. لذلك أتصور أن الغرب ليس شيئاً واحداً ولذلك يجب ألا يوضع في سلة واحدة.

المنهل: المثقفون والعلماء بين الموالاة للوطن.. والعمالة للآخر مارؤية الدكتور عمارة؟

■ العلماء والمثقفون ليسوا شيئاً واحداً.. هناك مثقفون متغربون وبالتالي يظل مجال عملهم الدفاع عن مشروع الهيمنة الغربية.. وهناك مثقفون يدافعون عن هوية أمتهم وعندما يكون المستشارون والمشيرون والقريبون من صانع القرار من هذه الفئة أو من تلك تكون هناك فروق في القرارات التي تتخذ.

المنهل: أطفالنا يواجهون الفضائيات والكمبيوتر والشبكة العالمية للمعلومات كيف سنواجه هذه التحديات بالنسبة لأطفالنا الذين هم رجال المستقبل؟

■نحن نحتاج إلى من يهتم بالكتابة للأطفال وعمل أفلام ومسلسلات خاصة بالأطفال وكل وسائل



الفقه الإسلامي وسطي يجمع بين الشرعية الثابتة والواقع المتغير

★★★★★★

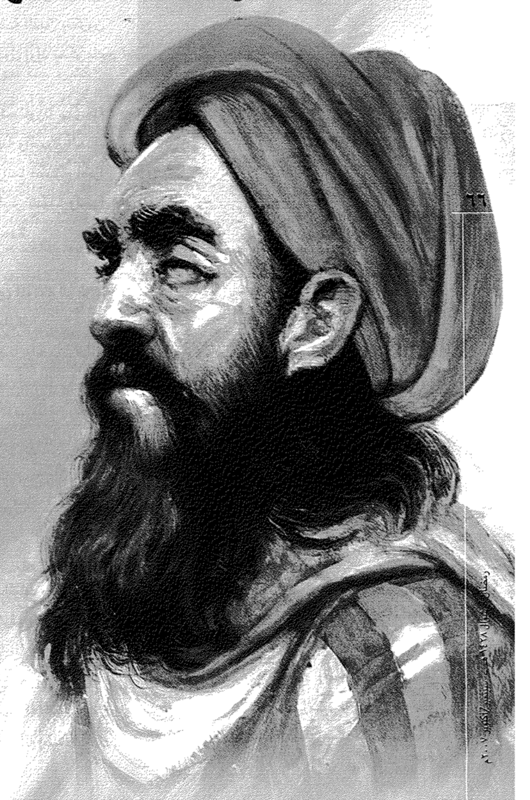
التوصيل الخاصة بالأطفال انطلاقاً من هوية الطفل.. فكل شخصية حضارية لها هوية لها بصمة لها سمات فكما أننا نحتاج أن تعكس ثقافة الكبار هوية الأمة.. أيضاً نحتاج أن تعكس ثقافة الأطفال هوية الأمة.. ولذلك مثلاً عندما يكون لدينا قصص عن المعارك في التاريخ الإسلامي تحمل قيم وأخلاقيات الأمة ينبغي أن تعرض هذه على الأطفال وينبغي أن تراعي مختلف مراحل الطفل العمرية لأن ثقافة الأطفال ثقافة أساسية في تكوين مستقبل الأمة وهذا القطاع أيضاً ينطبق عليه ما ينطبق على القطاعات الأخرى من المراحل والشرائح في الثقافة.

٢ - ٢

مقارنة وموازنة بين رسالتي "الغفـران" و "التوابع والزوابع"

د. خلـيل أبو ذيـاب - الرياض

تتناول هذه الدراسة أهم رسالتين أدبيـتين خـيـاليـتين في الأدب العـربي.. أنشأ إحـداهمـا وهي "رسـالة التـوابع والزوابع" أديب مـغـربي أندلسي هو أبو عـامـر أحـمـد بن عـبـدالملك بن شـهـيـد (٣٨٢-٤٢٦هـ) حـول سنـة ٤٢٠، مصوراً فيها رحلة خيالية قام بها إلى وادي الجن/ عـبـقـر، ليلتـقي توابع نفر من مشاهير الشعراء العـرب الجاهليين والعبـاسـيين، ونفـر من الكتـاب الذين عـارضهم في بعض إبداعـاتهم ليـعـرض عليـهم تلك المعارضات مستـدراً شهـاداتهم له بتـفـوقـه وإجازته شاعراً وخطيباً لغاية في نفسه! وفي الجـزء الأول الذي نشـر في عدد المنهل (٦٠٧) تحدث الكاتب عن رسـالة الغـفـران في الدرس المقارن .. ويواصل الكاتب حديثه عن الخيـال العبـقري في رسالة الغفران.. - المنـهل-



وقد امتازت "الغفران" بالخيال العبقري الخصيب الذي كاد يتجلى في كل مشهد من مشاهدها، سواء في ذلك المحشر والجنة والجحيم؛ وقد برع أبو العلاء في تصوير كثير من تلك المشاهد التي تدخل خياله الخصب بقوة وعمق في رسمها وإبراز معالمها، وحقق لها شيئا كثيراً من الروعة والإبداع؛ ويجب ألا يغب عن أذهاننا أن أبا العلاء وهو يرسم الجنة والجحيم والمحشر لا يقصد مضاهاة التصور الإسلامي لعالم الآخرة، فضلا عن أن يقر أن هذا التصور هو الذي سيكون عليه ذلك العالم أو آنذاك، وإنما يرسمها من خلال أوهام وخطرات شاعر وأحلام نائم لا يمكن أن ترقى بحال إلى درجة من درجات اليقين والحقيقة، وهذا ما جعله يعقد كل مشاهداته وشطحاته وخيالاته بمشيئة الله سبحانه وتعالى، وإن لم يبعد عن التصور الإسلامي لتلك المظاهر بطبيعة الحال؛ ومن ذلك مثلا تصوير النعيم الذي أعده الله للمتقين من عباده في الجنة، وتصوير المآدب التي كان ابن القارح يقيمها لندامى الفردوس، وكذلك وصف القيان والحور، ومن ذلك قوله على لسان ابن القارح: "ويمر ملك من الملائكة فيقول: يا عبدالله، أخبرني عن الحور العين أليس في الكتاب الكريم: {إنا أنشأناهن إنشاءاً* فجعلناهن أبكاراً * عربا أترابا * لأصحاب اليمين*}(٤٧)؟ فيقول الملك: هن على ضربين: ضرب خلقه الله سبحانه في الجنة لم يعرف غيرها، وضرب نقله الله من الدار العاجلة لما عمل من الأعمال الصالحة؛ فيقول وقد هكر مما سمع، أي عجب، فأين اللواتي لم يكنَّ في الدار الفانية؟ وكيف يتميزن عن غيرهن؟ فيقول الملك: اقف أثرى لترى البديء من قدرة الله؛ فيتبعه فيجيء به إلى حدائق لا يعرف كنهها إلا الله، فيقول الملك: خذ ثمرة من هذا الثمر فاكسرها، فإن هذا الشجر يعرف بشجر الحور، فيأخذ سفرجلة أو رمانة أو تفاحة أو ما شاء الله من الثمار فيكسرها، فتخرج منها جارية حوراء عيناء تبرق لحسنها حوريات الجنان، فتقول: من أنت يا عبدالله؟ فيقول: أنا فلان بن فلان، فتقول: إني أُمَنَّى بلقائك قبل أن يخلق الله الدنيا بأربعة آلاف سنة؛ فعند ذلك يسجد إعظاماً لله القدير ويقول: هذا كما جاء في الحديث: أعددت لعبادي المؤمنين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، بله ما أطلعتهم عليه.. ويخطر في نفسه وهو ساجد أن تلك الجارية على حسنها ضاوية، فيرفع رأسه من السجود وقد صار من ورائها ردف يضاهي كثبان عالج وأنقاء الدهناء وأرملة يبرين وبني سعد؛ فيهال من قدرة الله اللطيف الخبير ويقول: يا رازق المشرقة سناها، ومبلغ السائلة مناها، والذي فعل ما أعجز وهال، ودعا إلى الحلم الجهال، أسألك أن تقصر بوص هذه الحورية على ميل في ميل، فقد جاز بها قدرك حد التأميل؛ فيقال له: أنت مخير في تكوين هذه الجارية كما تشاء، فيقتصر من ذلك على الإرادة"(٤٨)!

الخيال في (رسالة الغفران) جاء ثريا ورائعاً ومبدعاً..

★★★★★★

ويلمح قارئ "الغفران" عبقرية الخيال عند أبي العلاء في كل حوار يديره بين ابن القارح وغيره من ندامى الفردوس ونزلاء الجحيم وما أنطقهم به أبو العلاء من آرائه، وأوحى إليهم من أفكاره، بل إننا نجد ذلك في سكوته وعدم إبداء بعض الآراء؛ وكذلك في وصف طرف من أهوال القيامة التي لقيها ابن القارح في المحشر والتي تعد من أروع صور الخيال العلائي العبقري في الرسالة وما يتصل بها من حوارياته مع رضوان وزفر وحمزة وعلي بن أبي طالب، وضياع صك توبته عند محاولته فض النزاع الذي نشب بين أستاذه أبي علي الفارسي ونفر من الشعراء الذين تمرسوا به لتأوله بعض أقوالهم في الدار العاجلة، ثم وروده الحوض ومحاولة الكفار وروده وضرب الزبانية إياهم بعصي من نار تحرق وجوههم وأيديهم؛ وكذلك حواره مع بعض وحش الجنة "أسد القاصرة" وذئب الأسلمي، وحية ذات الصفا، والحية القارئة، وثور وحمار من

حمر الوحش عندما هم أن يصرعهما!! وكذلك ما نجده في حديثه مع أبي هدرش الخيتعور أحد بني الشيصبان الذي أنذر الجن بمبعث الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وكذلك وصف جنتهم وصفاً يمتاز بالخيال كما رأينا؛ ومن تلك الصور الخيالية الطريفة التي تلقانا في "الغفران" أيضاً صورته التي رسمها للحطيئة ونصيبه من نعيم الجنة التي مرت بنا آنفا؛ وربما كان ما يلفت في هذه الصورة رد الحطيئة على ابن القارح وهو يقول له: لقد رضيت بحقير شقن؛ فيقول له: والله ما وصلت إليه إلا بعد هياط ومياط، وشفاعة من قريش وددت أنها لم تكن"(٤٩)!

وهي كما نلاحظ صورة طريفة من صور الخيال العبقري حاول أبو العلاء فيها أن يحدد طرفاً من أبعاد وملامح صورة الحطيئة الذي اشتهر بالبذاءة والقبح والشر، ولم يسلم من لسانه أحد، فرأى أنه لا يستحق من نعيم الجنة أكثر من هذا الكفل؛ بل إنه جعله لا يصل إلى هذا النصيب ولا يبلغه إلا بعد عناء شديد وجهد جهيد وعبر صدقه في هجاء نفسه في بيته المشهور: (٥٠)

أرى لي وجهـا شـوه الله خلقـه

فـقـبـح من وجـه وقـبـح حـامله

وغني عن البيان أن هذا الوصف الذي انتهى إليه أبو العلاء في صورة الحطيئة وحظه من نعيم الجنة. مخالف لما هو معروف ومقرر في أخبار الجنة وأحاديثها وما فيها من نعيم مقيم لا يخطر في أوهام أحد، ومنها قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها"(٥١)؛ كما أن الجنة ليس فيها ما يشبه حفش الأمة الراعية، وليس فيها شجر قميء ثمره ليس بزاك؛ بل إن كل ما فيها مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر!!

كما أن الموعود بالجنة ما أن يلج أي باب من أبوابها حتى يغرق في النعيم الذي أعده الله له؛ وصدق الله العظيم إذ يقول: {فمن زُحْزِح عن النار وأُدْخِل الجنة فقد فاز}(٥٢)!

ومن مظاهر الخيال العبقري في "الغفران" ما نجده في وصفه لجنة الرجز التي حشر فيها الرُجّاز، وقد جاء وصفاً طريفاً استوحاه أو كوّنه أبو العلاء من تلافيف رأيه في الرجز بأنه أحط درجة من الشعر، وأبياته أضعف من أبيات القصيد، وأنه من سفساف القريض، ولذلك فأبيات الرجاز في جنة ينبغي أن تكون أقل شأنا من بيوت أو قصور الشعراء، وألا يكون لها سموقها وجلالها وبهاؤها؛ والله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها؛ ومن أجل ذلك استحق الرجاز هذه المرتبة المتأخرة عن مرتبة الشعراء، واستحقوا أن يقول لهم شامتا ومقرعاً: "قصرتم أيها النفر فقُصِّر بكم"(٥٣)!

ووراء هذه المشاهد الطريفة الماتعة مشاهد أخرى كثيرة نسج خيوطها بروعة فائقة خيال أبي العلاء العبقري المحلق تنتشر في أرجاء "الغفران" لتضفي عليها مسحة ظاهرة من الجمال والفن والروعة والإبداع؛ وهي أوسع وأكثر من أن يُشار إليها في هذا الموضع!

والذي نود أن نقرره هنا هو التفاوت الهائل والاختلاف البالغ ما بين خيال "الغفران" و"التوابع والزوابع": فقد جاء خيال "الغفران" عجيباً ورائعاً وثرياً وواسعاً وعميقاً، في حين جاء خيال "التوابع والزوابع" بسيطاً ساذجاً ضحلاً ومحدوداً جداً؛ ولعل أطرف جوانب الخيال في رسالة ابن شهيد ما يتصل بالحيوان حيث صوّر مجموعة حشد فيها طائفة من حيوان الجن: حمُرهم وبغالهم وقد ثارت زوبعة هائلة وخصومة حادة بينهم حول شعر نظمه حمار وبغل عاشقان، وقد انتدب ابن شهيد للفصل بينهما والحكومة في شعرهما، وكذلك لقاؤه ببغلة أبي عيسى وحديثه معها، ولقاء الإوزة الأديبة التي اتخذها رمزا لأبي القاسم الإفليلي وحواره معها!!

وعلى الرغم من أن هذا المشهد هو من أطرف، أو قل أطرف مشاهد الخيال في "التوابع والزوابع" التي حظيت بشيء من عناية ابن شهيد وإبداعه، إلا أنها لا ترقى إلى مستوى الخيال العلائي العبقري المحلق الذي يلقانا في "الغفران"، أو في "الصاهل

والشاحج" التي بناها على شخوص حيوانية متعددة "الحصان والبغل والضبع والثعلب والجمل والفاختة وغيرها"(٥٤)؛ وإذا كان ابن شهيد قد رسم للإوزة الأدبية صورة ساخرة تجسد حمقها وغفلتها، فقد جاءت صورة محدودة مسطحة، ولا تكاد تنتزع منا الضحك كما تنتزعه مثلاً صورة "الضبع" في رسالة "الصاهل والشاحج"(٥٥)؛ وقد امتاز هذا المشهد الذي صور فيه الضبع بكل عناصر الخيال والسخرية اللاذعة والحوار الطريف الذي امتازت به الرسالة كلها، كما امتازت به "الغفران" ورسالة "الملائكة"، حتى غدت من الخصائص الفنية للأدب العلائي اجمع؛ ولن تجد مثل هذا المشهد ولا حتى مثل غيره من المشاهد التي وفّر لها أبو العلاء الخيال والسخرية والحوار في رسالة "التوابع والزوابع" مهما نقبت ونقرت، وذلك لما يتصف به خيال ابن شهيد من بساطة وسذاجة وسطحية وضحالة، وكذلك سخريته وحوارياته مع حيوان الجن وما تمخض عنه من نظم مقطوعتين من الشعر على لسان الحمار والبغل العاشقين، لا تبلغ ولا ترقى إلى مستوى ما نجده في "الغفران" مثلا في حوار ابن القارح لأبي هدرش وما تمخض عنه من إنشاء قصيدتيه الرائية والسينية ذات الصبغة اللغوية المتميزة التي رأيناها آنفا، والتي توحي بانتمائها إلى عالم الجن الغريب ولغتهم!

كما تتجلى هذه السخرية في موقف أبي العلاء من ابن القارح وشكه في صحة توبته وعدم قناعته بها لما عُرف عنه من انغمار في الشهوات، وإمراج نفسه في الملذات؛ مما جعله يتهكم حياته اللاهية وسلوكه الماجن العابث، وعزمه الخائر، المشكوك فيه، على التوبة، فجعله يفقد صك توبته في المحشر وما ترتب عليه من عنت وعناء وشقاء وبلاء قبل أن يلج أبواب الجنة!

كل هذا وكثير غيره يجسد بوضوح عبقرية أبي العلاء في إبراز الجوانب الساخرة والطريفة من حيوات الناس إبرازاً يتفوق فيه لا على ابن شهيد وحده، بل على كثير من أدباء العرب؛

الخيال في (الزوابع والتوابع) كان بسيطاً وساذجاً..

★★★★★★

وقد درب أبو العلاء على هذا النمط الخيالي الحواري البديع من قبل "الغفران" و"رسالة الملائكة" في رسالة "الصاهل والشاحج" خاصة التي أنشأها حول سنة ٤١١ هـ (الرسالة ٢٧)

وثمة جانب آخر نود أن نقف عنده تجسد فيه الخيال بقوة ووضوح وعمق في "الغفران" و"التوابع والزوابع" لنتبين بُعد ما بينهما، وتفوق إحداهما على الأخرى فيه، ونعني به "التمثيل الخيالي للشخوص فيهما"؛

ومن التأمل الدقيق لهاتين الرسالتين تبين لنا أن أبا العلاء قد أبدع إبداعاً بعيداً في رسم شخوصه الذين التقاهم ابن القارح في رحلته الأخروية من خلال ما وعى من أخبارهم وأقوالهم، وكأنه كان معنياً بتجسيد وتمثيل تلك الشخوص والأقوال والأخبار تجسيداً لا يخلو من طرافة وروعة وإبداع؛ نجد ذلك واضحاً في صورة الحطيئة وحظه من نعيم الجنة الذي جعله متماثلاً مع نصيبه من الإيمان؛ بل إنه جعله يحصل عليه بوصفه الصادق لنفسه ووجهه وليس ببعض أقواله الحكيمة الصادقة كما في قوله: لايذهب العرف بين الله والناس.

كما نجده واضحاً في صورة جنة الرجاز وبيوتهم القميئة التي تتناسب ومكانتهم الإبداعية في الأدب، ولأنهم قصروا في الإبداع قصر بهم في الثواب!

وكما نجد ذلك في الصورة الخُلُقية التي رسمها للنابغة الجعدي والأعشى؛ كما نجده بوضوح في الصورة التي تمثلها لأبي ذؤيب الهذلي وهو يحتلب إحدى نوق الجنة العوذ المطافيل مازجا حليبها بالعسل المُصَفَّى برغم ما ينتشر من حوله من أنهار العسل واللبن والخمر والماء استحضاراً لما كان يمارسه في الدار الخادعة حيث يقول: (٥٦)

وإنَّ حـديثـاً منكِ لو تعلمـينه
جنى النحل في ألبان عُوذٍ مطافل
مطافيل أبكارٍ حديث نتاجها
تُشابُ بماءٍ مثل ماء المفاصل

وكما نجد ذلك في حرص عدي بن زيد العبادي على الصيد والطرد تأكيداً لما كان عليه في الحياة الدنيا، حيث كان صاحب قنص وصيد؛

ووراء هاتيك النماذج تلقانا شواهد كثيرة وفيرة في "الغفران" تجسد هذا الجانب التمثيلي لشخوصه تجسيداً واضحاً يكشف عن مهارة أبي العلاء وإبداعه في هذا الجانب!!

وهذه الظاهرة نفسها نجدها بوضوح في "التوابع والزوابع"، وكأنها توحي بتأثر ما بين الرسالتين نجد ذلك في صورة امرئ القيس وفي صورة طرفة وصورة قيس بن الخطيم وصورة أبي تمام وصورة البحتري وصورة الجاحظ وصورة أبي القاسم الإفليلي وغيرهم.. ولعل أبرع وأطرف تلك الصور قاطبة التي تجسد هذه الظاهرة عند ابن شهيد، صورة أبي نواس وصورة المتنبي، وربما كان ذلك بسبب الالتحام الروحي والنفسي والاجتماعي والخلقي الذي كان ابن شهيد يحسه بعمق وقوة مع هاتين الشخصيتين: أما أبو نواس فقد كان ابن شهيد صورة متأخرة منه في سلوكه وإغراقه في الشهوات وتهالكه على شرب الخمر مما ورثه عن أبيه، وإن حاول في أخريات أيامه أن يصرفه عن هذا السلوك ويوجهه وجهة زاهدة تركت أثراً حاداً في نفسه وحياته وشعره؛ وأما المتنبي، فيبدو أن أسلوبه ومنهجه المتميز في الفخر كان وراء إعجابه البالغ به وتقديره وتفضيله على سائر الشعراء؛ وربما كانت فخرياته أثراً من آثار نفسية المتنبي وشاعريته!!

على أية حال فقد أبدع ابن شهيد في رسم معالم هاتين الشخصيتين أو تشخيصهما إبداعاً رائعاً وإن لم يبلغ ما انتهى إليه أبو العلاء في كثير من جوانب "الغفران" فيما يتصل بتشخيص الشخوص وتمثيلهم!!

ومن الخصائص الفنية والفكرية في الرسالتين "ظاهرة الاستشهاد" المتنوع من مختلف الثقافات والمعارف التي وعاها الأديبان؛ وهي ظاهرة تميز الأدب العلائي تمييزاً خاصاً في جميع مصنفاته ومن بينها "الغفران"، حيث نجده يفرط ويتوسع في الاستشهاد بكثير من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، كما استشهد بكثير جداً من أبيات الشعر والأمثال.. حتى غدت تلك المصنفات أشبه بالموسوعات العلمية أو دوائر المعارف؛ وقلّ أن تجد صحيفة من تلك الكتب تخلو من نوع أو أكثر من تلك الأنماط الأدبية والفكرية التي يستشهد بها؛

ومما يتصل بهذا الجانب الثقافي الموسوعي "الروايات الشعرية" وما يشوبها في بعض الأحيان من نحل ووضع مما يفرض المناقشة الحصيفة والنقد الدقيق لتحديد الوجوه المناسبة لتلك الروايات وفي هذا الجانب نجد أبا العلاء يناقش العلماء والرواة مشيراً إلى ما في بعض الروايات من انتحال أو شك أو اختلاف مبديا رأيه كلما وجد إلى ذلك سبيلاً!

ومما يتصل بهذا الجانب ظاهرة "الاستطراد" الذي يُعد أثراً من آثار التنوع الثقافي والتعدد المعلوماتي، ونتيجة مباشرة للاستشهاد الذي يمتاز به الأدب العلائي أجمع؛ وهذه ميزة لا نكاد نجد لها أثراً يذكر في "التوابع والزوابع"، ولا تظن أن هذه الفكرة تتطلب منا دليلاً لإثباتها، إذ إن مجرد النظرة العجلى في كلتا الرسالتين تؤكد عمق الثقافات وتنوعها وتعدد أنماطها وغزارتها في "الغفران"، في حين لا تقع على شيء من ذلك في الرسالة الأخرى؛ وبحسبنا أن نذكر أن ابن شهيد التقى في سياحته ثلاثة شعراء جاهليين وأربعة عباسيين، والتقى من الكتاب بالجاحظ وعبدالحميد وبديع الزمان وواحداً من معاصريه هو "الإفليلي"؛ وعلى الرغم من أن موضوع الرسالة ومنهجها وغايتها كان وراء تحديد هذه الشخوص وعدم تجاوزهم، إلا أن ذلك كان وراء تأكيد حظ ابن

شـهـيـد من الثـقـافـات والقـراءات في كـتب الأدب والعلوم والمعارف المتنوعة كما قرر ذلك معاصروه، وحصره نفسـه في إطار ضـيق مـحـدود هو الذي جعله يُغفل كثيرا من الشعراء والأدباء ولم يعرض لهم في رسالته من أمثال شعراء صدر الإسلام وبني أمـيـة على شـهـرتهم لا لشيء إلا لأنه لم يعارضـهم في شيء من إبداعاتهم وهو المنهج الذي فرضه على رسالته حيث اقتصر على من عارضهم من الشعراء والكتاب سواء أعجب بهم أو لم يُعجب!

وهكذا لم يكن ابن شهيد صاحب ثقافات متنوعة خلافا لأبي العلاء الذي كان موسوعي الثقافات كما تجسد ذلك مصنفاته العديدة؛ ومن هنا، فإن ما نجده من هذه الثقافات في "التوابع والزوابع" لا يعدو أن يكون قطرة تائهة في محيط "الغفران" الزاخر الهائل!

ومن كل ما أسلفنا يمكننا أن نقول إن كل ما في "الغفران" مبتكر ومنشأ إنشاء جديداً خاصاً بالمناسبة التي دفعت إليها، وإن كل ما في "التوابع والزوابع" وخصوصاً الشعر كان قديم النشأة نظمه ابن شـهـيد في فترات متباعدة قبل ميلادها أو تلفيقها، لأنها كانت قصائد أو مقطوعات من قصائد عارض بها نفرا من مشاهير الشعراء، وراقت له وأعجب بها واستخرجها من حرزها الحريز ليفاخر بها منافسيه وناقديه، متجشما بالغ العناء والمشاق في رحلته إلى وادي الجن مستنجداً بتوابع الأدباء وشياطين الشعراء، مستدراً تأييدهم له ومناصرته عبر شهادات التفوق وإجازات الإبدا ع التي منحوه إياها، وعاد لينثرها من كنانته في وجوه المنافسين!

وفي الحق إن ابن شهيد لو كان موفقا في إبداعه هذه الرحلة الخيالية بصورة أكبر لأتحفنا بمجموعة أكثر من روائع قصائده التي كان عليه أن يبدعها وينشئها خصيصاً لهذه الرحلة لا أن يجتر أمجاده القديمة من روائع شعره ونثره على نحو ما صنع أبو العلاء في قصيدتيه الجنيتين "الرائية والسينية" اللذين فرضتهما المناسبة ولم تستدعهما استدعاء

التمثيل الخيالي للشخوص أكثر وضوحاً في (الغفران)..

★★★★★★

قصائد صاحبنا الأندلسي، وحتى لو كانت مقطوعتاه الحيوانيتان على لسان حمار وبغل من عشاق حيوان الجن من إبداعه الخاص بـ"التوابع والزوابع"، على روعتهما ورشاقتهما وجمالهما، فإنهما محدودتان جداً ولا يمكن أن تبلغا مبلغ تينك القصيدتين الجنيتين إبداعاً وخيالاً ولغة وفكرا!!

وهكذا أينما يممت وجهك، وقلبت نظرك في عالم "الغفران"، وجدت جديداً ورأيت طريفاً ابتكره خيال أبي العلاء الجامح، وأبدعته عبقريته الفذة، وأثرته ذاكرته العجيبة، وأغنته حافظته النادرة، وجدت ذلك في ابتكار مشاهد النعيم والعذاب، كما تجده في وصف بعض جنبات الجنة وعرصات الجحيم، كما تجده في محاورات الأدباء ومجالس العلماء، كما تجده في المشاهد الساخرة الفكهة وما كان يسيطر عليها من طرافة وملاحة ورشاقة!! كل هذا وغيره كثير يموج به عالم "الغفران"، في حين لا تكاد تجد شيئاً ذا بال أو غناء من ذلك في "التوابع والزوابع".

وفي "الغفران" تتعدد المشاهد وتتنوع المناظر، ولا تكاد تقع عينك على مشهد من مشاهدها أو منظر من مناظرها دون أن يكون للخيال أو للسخرية أو للطرافة والجدة أو للغنى الثقافي والفكري أثر بالغ ودور ظاهر في إبداعه وتكوينه وتنسيقه؛ أما في "التوابع والزوابع" فلا نكاد نجد غير ذات المنظر مع قليل جداً من التغيير في حواشيه وأطرافه وشخوصه، أو قل لمحات فنية ساذجة داخل المنظر العام الدائم فيها؛

هذا إلى جانب التفاعل العميق مع عناصر الثقافة في "الغفران" خاصة، وفي سائر المصنفات التي وضعها شيخ المعرة عامة، وتنوع تلك العناصر وازدحامها وغزارتها فيها، وقلتها ونضوبها وسذاجتها في "التوابع والزوابع"، حتى ليمكن

أن يقال إن الفارق الأكبر بين أبي العلاء وابن شهيد يتمثل في وفرة الثقافات وتنوعها ومبلغ التفاعل معها؛

على أن هذا كله لا ينبغي مطلقاً أن يعني التقليل من شأن رسالة ابن شهيد والتهوين من أمرها وذلك لأن لها بلا شك شأنا عظيماً ومكانة رفيعة، ولها كذلك قيمتها الفنية والفكرية المؤكدة، ولابن شهيد كذلك دوره البارز غير المنكور في إبداعها، ولكن ليس بالقياس إلى "الغفران"، إذ إن ثمة فرقاً كبيراً، وبونا شاسعاً بين الرسالتين، هو باختصار الفرق بين الأديبين من حيث عمق الفكر وغزارة الثقافة وتنوع المعارف وعمق التفاعل معها؛ وأبو العلاء لا يتفوق في كل ذلك على ابن شهيد وحده بل على سائر أدباء العربية قاطبة، ولا يدانيه منهم أحد، فهو نسيج وحده، وهو أمة وحده في هذا المضمار!!

ومن الجوانب المشتركة بين الرسالتين "فكرة التعويض" عن عقدة النقص التي كان يعاني منها ويحسها كل منهما؛ وقد سبق أن أشرنا إلى أن ابن شهيد كان يعاني من عقدة نقص كان لها تأثير بالغ على حياته نجمت عن ثقل في سمعه كما يقول، أو صممه كما يزعم مؤرخوه؛ كما كان أبو العلاء يعاني من عاهة العمى! وطبيعي أن يكون لكل من هاتين العاهتين أثرها البالغ في تشكيل حياة كل منهما وتكوين أخلاقه وتلوين علاقاته بالناس، كما حددت تلكما العاهتان اتجاههما الأدبي والثقافي والفكري وفقاً للبيئة التي عاش فيها كل منهما، وهي بيئة مثقفة دفعتهما إلى الانكباب على العلم والأدب والدرس والنهل من موارد الثقافة ومشارعها الثرة على اختلاف ظاهر بينهما في هذا الجانب كما مر بنا، وإذا كانت عاهة أبي العلاء في مرحلة من مراحل حياته قد وقفت في وجهه وحالت دون اختلاطه وفرضت عزلته عن الناس وكونت له فلسفة خاصة وموقفا فكرياً متميزاً تمثل في مذهبه الزهدي وما يتصل به من عزوف عن الزواج بله النسل وتزهيد الناس في ذلك وتنفيرهم من المرأة ودعوتهم إلى الزهد في حطام الدنيا على نحو ما جسدت ذلك لزومياته بعمق، فإن عاهة ابن شهيد لم تستطع أن تحول بينه وبين الناس، كما لم تكن ذات بُعد فكري أو فلسفي خاص، ولكنها كانت ذات تأثير أدبي ظاهر وهو ما سنقف عنده فيما يأتي باعتباره موضوع أو مجال المقارنة/ الموازنة بين هاتين الرسالتين؛

وأول ما يمكن أن نقرره هنا أن الرسالتين اختلفتا اختلافاً شديداً في أثر العاهة التي كانت وراء إنشاء كل منهما، وقد دفعتهما تانك الآفتان إلى طلب الشهرة وتأكيد التفوق والامتياز، ولكنهما اختلفتا في طريقة تحقيق ذلك: فبينما كانت عند أبي العلاء متسترة تصطنع الهدوء، وتتجنب الصخب متمثلة في نغمة التواضع المكرورة التي نشرها في جوانب كثيرة من مختلف مصنفاته والتي كانت تنتزع الإعجاب وتفرض الاحترام والتقدير وتحقق التفرد والتميز، كانت عند ابن شهيد متبرجة سافرة لا تكف عن الصياح والصراخ، وتعلن بقوة وعنف الطعن على معاصريه والحط من أقدارهم ومكانتهم، والحرص البالغ على انتزاع الاعتراف بتفوقه وامتيازه، لا من معاصريه، وإنما من توابع الكتاب وشياطين الشعراء المشاهير عبر إجازاتهم وشهاداتهم له شاعرا وخطيباً؛ ومن خلال هذا الموقف أو الفكرة يمكننا أن نقول إن ابن شهيد كان يعالج قضية الإبداع من خلال إثبات التفوق والامتياز على الأدباء في إخراج المعاني المشتركة بينه وبينهم، أو طريقة النظم والمعارضة، وهذا ما جعله يقصر الحديث واللقاء مع نفر من الشعراء والكتاب معرضا عن كثيرين غيرهم ممن لم يأخذ منهم شيئاً من معانيهم، أو يعارض شيئاً من شعرهم؛ وربما كان هذا الموقف يجسد عقدة الإحساس بالتفوق أو بالتخلف التي كان يعاني منها ابن شهيد إزاء أدباء عصره؛ أما أبو العلاء فقد كان يعالج قضية نقد وتقويم الإبداع من خلال طائفة من آراء العلماء في بعض أقوال الشعراء، مما جعله يعرض كما هائلاً من المسائل والقضايا والآراء العلمية في أثناء هذه اللقاءات المتنوعة التي

شهدها مسرح "الغفران"؛ وبينما كان ابن شهيد يحاصر نفسه ويحاصرها في حيز المعارضة الإبداعية، كان أبو العلاء يرسلها على سجيتها لتنشر هذا السيل الهائل من الثقافات والعلوم والمعارف التي كانت تفد إليها أرسالاً، وتنثال عليها انثيالاً؛

وبينما توحد إطار اللقاء في "التوابع والزوابع"، تنوع تنوعاً واسعاً وثريا في "الغفران"؛ حتى إذا تحول عن هذه القضايا والآراء العلمية جاءت حواراته مع شخوصه متنوعة ترصد أطرافاً من حيواتهم وما شاع من أخبارهم وبعض إبداعاتهم الشعرية، مما أثرى هذه الجوانب فيها!!

كما برزت فكرة التعويض في "الغفران" بوضوح في وصف نعيم الجنة، حيث وجدناه يرخي لنفسه العنان في تصوير ذلك المتاع والنعيم الذي أعده الله للمتقين من عباده، وفي تصور الحور العين المقصورات في الخيام اللاتي لم يطمثهن إنس ولا جان بعد أن أفرط في تزهيد الناس في النساء في الحياة الدنيا من خلال لزومياته وكذلك تصوير مجالس الخمر التي كانت محرمة عليهم في الدار الخادعة؛ وكل ذلك، وإن كان صدى عميقا لما جاء في القرآن والحديث من أوصاف الجنة ونعيمها، إلا أنه ربما كان ينظر إليه من زاوية الحرمان الذي فرضه على نفسه في حياته عندما حرمها من كل شيء، وكأنه يؤذن لها أن تنال كل ما حرمها منه وأن تتمتع به.

كما تظهر فكرة "التعويض" بوضوح في جانب مهم من جوانب "الغفران" يتمثل في إبدال كل مظاهر النقص التي كانت لاحقة بالبشر في الدار العاجلة وتعويضها بمظاهر كمال وجمال وجلال وبهاء، على نحو ما نجد في إبدال "عشى" الأعشى و"عور" عوران قيس الخمسة، عيونا جميلة مميزة، يقول على لسان ابن القارح مخاطباً إياهم: "ما رأيت أحسن من عيونكم في أهل الجنان"(٥٧)، وكذلك الأمر بالنسبة لحمدونة الحلبية وتوفيق السوداء اللتين يصورهما وقد غدتا من حور الجنة وأعدتا لابن القارح لينعم بهما ويرتشف من

أبو العلاء: تميز بموسوعية الثقافة، والتنوع المعرفي والأدبي.

★★★★★★

رضابهما ويتمتع بجمالهما العجيب، حتى إنه ليرى أن دقيقة واحدة معهما من دقائق ساعات الدنيا خير من تلك الدنيا لما يجد من جمالهما الذي يقصر عنه الوصف؛ فتقول له إحداهما: "أتدري من أنا يا علي بن منصور؟ فيقول: أنت من حور الجنان اللواتي خلقهن الله جزاء للمتقين، وقال فيكن (كأنهن الياقوت والمرجان). فتقول: أنا كذلك بإنعام الله العظيم، علي أني كنت في الدار العاجلة أعرف بحمدونة، وأسكن في باب العراق بحلب، وأبي صاحب رحى، وتزوجني رجل يبيع السقط، فطلقني لرائحة كرهها من فيّ، وكنت من أقبح نساء حلب، فلما عرفت ذلك زهدت في الدنيا الغرارة، وتوفرت على العبادة، وأكلت من مغزلي ومردني؛ فصيرني ذلك إلى ما ترى! وتقول الأخرى: أتدري من أنا يا عليُّ بن منصور؟ أنا توفيق السوداء التي كانت تخدم في دار العلم ببغداد على زمان أبي منصور محمد بن علي الخازن؛ وكنت أخرج الكتب للنساخ؛ فيقول: لا إله إلا الله، لقد كنت سوداء فصرت أنصع من الكافور– وإن شئت القافور؛ فتقول: أتعجب من هذا والشاعر يقول لبعض المخلوقين:

لو أنّ من نوره مثقال خردلة
في السود كلهم لابيضت السود(٥٨)

وهكذا حرص أبو العلاء على تبديل كل العاهات والعيوب الجسمانية والخلقية في "الغفران" بدافع "التعويض"؛ وإن كان هذا الأمر في الحقيقة تصوراً واقعياً حقيقياً لطبيعة الجنة وحالها وحال الموعودين بها من عباد الله المتقين، وما تمتاز به من كمال وجلال وجمال يتناسب مع الكمال والجلال والجمال الإلهي الذي صدرت عنه الجنة وما فيها من نعيم مقيم!!

ومن غير شك، فقد كان أبو العلاء يرصد هذا

الجانب من الجنة من خلال عاهة العمى التي عيف بها في سنيه الأولى وحرمته من رؤية كل شيء مدفوعاً بأشواقه إلي تعويضه بعينين مثل عيون الأعشى وعوران قيس الخمسة ليرى ما حرم منه في الدنيا!

ولعلنا نذكر في هذا المقام حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم): "لا تدخل الجنة عجوز" والخبر الذي ارتبط به؛ أما ابن شهيد، فقد كان تعويضه في "التوابع والزوابع" مختلفاً ومتخلفاً عن تعويض صنوه، إذ أنه انطوى على عقدته النفسية التي ترسبت في أغوار نفسه بسبب صممه وما نجم عنه من إقصائه عن الكتابة وحرمانه من الوزارة، في حين حظي بها من أدباء عصره من هو دونه إبداعاً وأقل شأنا منه، وما تركت من آثار على حياته وما أشاعت فيها من أحقاد وشحناء على منافسيه الذين طعنوا في أدبه واتهموا عبقريته وحطوا من قدر إبداعه الذي كان يقدسه تقديساً كبيراً: هذا ما جعل تعويضه يقتصر على تأكيد قدرته الإبداعية من خلال فكرة إثبات التفوق والامتياز لا على أولئك الخصوم المنافسين فحسب، بل على فحول الشعراء وأئمة الكتاب الذين طبقت شهرتهم الآفاق عبر معارضاته لنماذجهم الأدبية الرفيعة، وإجازات توابعهم وشياطينهم له شاعرا وخطيباً التي تلقانا في ختام لقاءاته بهم وما يسودها من إطراء وإعجاب!!

وواضح أن هذا كله من أثر العقدة النفسية التي كان ابن شهيد يعاني منها: ولكننا لا نجد وراء هذا الجانب شيئاً من مظاهر التعويض في "التوابع والزوابع"؛

وإذا ما قارنا بين مظاهر التعويض عند هذين الأديبين، فإننا نجد فرقا هائلا بين تعويض أبي العلاء وتعويض ابن شهيد، وإن كان تعويضه الصق بنفسيته من تعويض أبي العلاء الذي كان مرهوناً بما أعده الله للمتقين من عباده في الجنة من نعيم مقيم!!

وعلى هذه الشاكلة تبينت لنا أبعاد الاختلاف الواسع بين هاتين الرسالتين الرائعتين "الغفران" و"التوابع والزوابع"، وهو اختلاف يبيح لنا رفض مزاعم الباحثين الذين ذهبوا إلى إثبات التشابه بينهما كما في موقف الدكتور زكي مبارك الذي قرر التشابه التام بين الرسالتين في كثير من الجوانب حيث يقول: "والواقع أن التشابه تام بين الرسالتين، فالموضوع واحد وهو عرض المشاكل الأدبية والعقلية بطريقة قصصية، والخلاف في جوهر الموضوع يرجع إلى روح الكاتبين: فأبو العلاء يحرص على عرض المعضلات الدينية والفلسفية، وابن شهيد يحرص على عرض المشكلات الأدبية والبيانية، ويتفق كلا الرجلين على التعريض بمعاصريه وشرح ما أخذ على المتقدمين من أساطين العقل والبيان، والمسرح واحد تقريبا: فهو عند ابن شهيد وادي الجن في الدنيا، وهو عند أبي العلاء وادي الإنس في الآخرة(؟!): أي الفردوس والجحيم، فالممثلون عند ابن شهيد جن يسخرون، وعند أبي العلاء إنس تسخرهم الملائكة والشياطين، وكان لكل إنسان في عرفهم ملك وشيطان"!!(٥٩).

والحقيقة أن الرسالتين تختلفان في كل شيء: في الموضوع والمنهج والأسلوب والهدف ومسرح الأحداث ومختلف الخصائص الفنية على نحو ما تبين لنا في هذه الدراسة؛ وهذا يدل على أن الأستاذ الباحث الفاضل لم يطلع على الرسالتين ولم يقرأهما قراءة فاحصة متأنية وخاصة "الغفران" قراءة أو اطلاعا يسوغ مثل هذا الرأي ويؤكد هذا الزعم: والطريف في الأمر أنه نفسه يعترف بأنه لم يطلع على "الغفران" عند محاولته تحديد الزمن الذي كتبت فيه (٦٠)، برغم وجود نص صريح يحدد تاريخ كتابتها(٦١)، وإن استطاع أن يصل إلى تحديدها بحسبة خاصة.

ومن كل هذا يتبين لنا أن الباحثين الذين عرضوا لرسالتي "الغفران" و"التوابع والزوابع" كانوا أحد رجلين: متعصبا لأبي العلاء ينسب إليه كل فضيلة، أو متعصباً عليه لغيره؛ ومثل هذا التعصب قمين

بطمس الحقيقة وإخفائها كما أوضحت مختلف الآراء التي رأيناها؛ والحق الذي تكشفه الدراسة الفاحصة الواعية المحايدة لهاتين الرسالتين، أن الرسالة "الغفران" نسيج وحدها في الفكرة والأسلوب والموضوع والمضمون ومسرح الأحداث وطبيعة الشخوص الذين حشدهم فيها، ولا تمت إليها بصلة ما "*الكوميديا الإلهية*" لدانتي، ولا "الفردوس المفقود" لجون ملتون، كما أنها لا تمت بأدنى صلة إلى رسالة "التوابع والزوابع" لابن شهيد، حتى في إطار السياحة الخيالية فيما وراء عالم الحياة الدنيا، حيث إن تلك السياحات والرحلات الخيالية إلى العالم الآخر فكرة إنسانية عامة وقديمة، وقد غدت مما يمكن أن يطلق عليه مصطلح "تراث الإنسانية" فلم تعد وقفا على أحد، ولم يعد أحد أولى بها أو بادعائها من غيره لتوغلها في القدم، ولمعرفة كثير من الشعوب والحضارات لها(٦٢).

الهوامش والحواشي:

(٤٧) سورة الواقعة ٣٥-٣٨.

(٤٨) رسالة الغفران ٢٨٧-٢٨٩؛ البديء: البديع. برق: تحير ودهش فلم يبصر. ضاوية: نحيفة هزيلة.

(٤٩) السابق: ٢٨٩-٣٠٧؛ قميء: حقير تافه. شقن: قليل. الهياط: أشد السوق إلى الماء عند الورد، والمياط: أشد السوق إلى الصدر.

(٥٠) ديوان الحطيئة ٣٣٣، تحقيق نعمان أمين طه/ الخانجي.

(٥١) رواه *البخاري* وأحمد والترمذي.

(٥٢) آل عمران: ١٨٥.

(٥٣) رسالة الغفران ٢٧٣-٢٧٥؛ يجب أن يستقر في أذهاننا أن أبا العلاء لا يحاكي جنة القرآن ولا يحتذى أوصافها التي سردتها آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وإنما هو يرسم أو يتخيل جنة أخرى، أو يضع تصوراً ذاتياً للجنة من خلال أفكاره وخياله ونفسيته بعيداً عن التصور الإسلامي الحقيقي للجنة التي أعدها الله للمتقين من عباده، وإن اجتلب كثيراً من أوصافها فيها؛ ذلك أن أبا العلاء يعلم كما يعلم غيره من المسلمين أن الجنة الحقيقية/ جنة القرآن، لن يكون فيها بإذن الله مثل شجر الرجاز والحطيئة ولا مثل شجر الجن وبيوتهم التي صورها أبو العلاء على نحو ما رأينا؛ كما يعلم هو ويعلم غيره أنه لن يكون في تلك الجنة الأخروية شيء من المهاترات أو المنازعات والخصومات التي تصورها من خلال تمثيله المبدع لبعض شخوص الغفران كالنابغة الجعدي والأعشى مثلاً، لأن الله تعالى يقول:

{ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين} الحجر/ ٤٧. وإذن فالأمر لا يعدو أن يكون اندماج أبي العلاء في أفكاره وحرص على نقلها إلى "غفرانه" بعيداً عن واقع الجنة الإسلامية وحقيقتها بطبيعة الحال!!

(٥٤)، (٥٥) انظر الدراسة الخاصة برسالة الصاهل والشاحج المنشورة بمجلة كلية اللغة العربية والشريعة ع/٢.

(٥٦) رسالة الغفران ١٩٩، شرح أشعار الهذليين ١٤١/١ تحقيق عبدالستار أحمد فراج، ط/ دار العروبة.

(٥٧) رسالة الغفران ٢٣٧.

(٥٨) السابق ٢٨٦-٢٨٧.

(٥٩) النثر الفني في القرن الرابع ٢٦٠.

(٦٠) السابق ٢٥٩/١-٢٦٠.

(٦١) السابق ٤٥٠.

(٦٢) *الغفران (بنت الشاطئ)*: ٣١٧، ٣٢٣، محمد مندور: في الميزان الجديد ١٤٠ وما بعدها حيث ينقد رأي العقاد.

الثروة اللغوية الضخمة من ابرز وأظهر خصائص رسالته..

★★★★★★





جانب من الفكر المجهول والنقد الحديث

أ.د. يوسف عزالدين - لندن

هذه ذكريات بعيدة التاريخ لكنها قريبة حية لأنها ما زالت تنبض فيَّ بالحياة والحيوية. فقد كنتُ قابلت الشاعر الكبير الأخطل الصغير وأنا ما أزال طالباً في كلية الآداب، وكتبت عنه ثلاث مقالات نشرت في العراق في الجريدة التي كان يصدرها نور الدين داود وبينما كنت أقلب أوراقي وجدت الملاحظات التي سجلتها في دفتر صالحة لمقالة تجمع بين الجدة والطرافة والآراء الجديدة التي أدلى بها الشاعر الكبير عن الشعراء المعاصرين له ورأيه فيهم وفيها قد يكون جديداً لم يُسمع به من قبل.

إن آراء الأخطل الصغير وأفكاره قالها بعفوية دون تعمد وتحدث على سجيته فهي صفحة جديدة وصادقة، ترسم صورة من فكر شاعر كبير في زملائه الشعراء، أعدت صياغة هذه الملاحظات لأني نسيت ما كان في خاطري لما نشرت المقالات الموجودة في بغداد عندما قابلت الشاعر الكبير.

وفي حديثه تظهر عمق الصلات الأدبية التي كانت بين الشعراء وأصرة الود بينهم رغم بعد المسافات وصعوبة المواصلات، فقد كانوا يعرفون التيارات الأدبية والشعراء في العالم العربي أكثر من شعراء هذا العصر وكانت رابطتهم أمتن من رابطة الأدباء المعاصرين الذين تقوقع أكثرهم في شرنقة صغيرة من العصبية السياسية والفكرية والاقليمية.

عسى أن يجد الناقد والباحث والدارس فيها ما يفيده وأن يتعرف على جانب من الفكر العربي والإنتاج الشعري عند الجيل الرائد.

أول مرة:

ما كنا نعرف الحاكي (كرامفون) إلا في المقاهي يتصدر المكان فيها وعند بعض المترفين، وعندما كنت في الدراسة الابتدائية طُلِبَ مني الذهاب إلى أسرة موظف من أهل بغداد يملك هذا الجهاز لجلب أسطوانة كُتِبَ اسمها على غلافها واسم المغني، إذ كنت لا أفقه شيئاً من الترف الحضاري. إذ لم نكن نسمع الغناء إلا في الحفلات والأفراح والمناسبات المحدودة.

ذهبت إلى أسرة الموظف فوجدت عندهم (الحاكي) يعمل بالإبرة، وجلبت الأسطوانة المطلوبة وقد كتب عليها محمد عبدالوهاب وعلى الغلاف الورقي سجلت قصيدة شعرية مطلعها:

جـفنه علَّم الغـزل

ومـن الحب مـا قـتل

فلم أفهم معنى من الحب ما قتل غير أن البيت الثاني لفت المراهق المحافظ:

وحـرقنا نفـوسنا

بجـحـيم من القـبل

لفت نظري هذه القصيدة، إنها قصيدة جديدة حفظتها في الطريق فقد هز الشعر روحي بالموسيقى العذبة والجرس الجميل وبالرغم من أن المسافة لم تكن جد بعيدة إلا أن حلاوة الشعر أنعشت مشاعري، ومرت الأيام ودخلت دار المعلمين الابتدائية في الأعظمية وكان الصيف يقبل بنسمات عذبة من نهر دجلة وبساتين الأعظمية فينعش النفس ويرقق الحس، وفي الحديقة التف الطلاب حول المذياع فانساب منه صوت عذب جميل رقيق الألحان حلو الترانيم يردد:

كنتُ فرحاً سعيداً بلقاء الاخطل الصغير..

★★★★★★

اسـقنا بأبي أنت وأمي

لا لتـجلو الهم عني أنت همي

جو جميل ومراهقة حساسة وطبيعة هادئة فوجدت كل جارحة في قلبي ترقص طربا وتهتز فتنة وإعجابا وكان جميع الزملاء قد خدرهم هذا الصوت الذي أسمعه لأول مرة.. ولعلني أسمع لأول مرة غناء هذا الصوت، قال المذيع: أنتهت أسمهان أغنيتها ولم يقل اسم الشاعر، فسألت عن اسم الشاعر فقيل لي إنه الأخطل الصغير، ففتشت عن ديوانه في المكتبة ولم أجده ثم في مكتبات الأعظمية ولم أجد له ديواناً مطبوعاً.

وجاء إلى بغداد في تأبين الشاعر جميل صدقي



الزهاوي وألقى قصيدته التي يقول فيها:

بغـداد مـا حـمل السـرى مني
سـوى شـبح مـريب
جـفلت له الصـحـراء
والتـفت الكثـيب إلى الكثـيب
وتنافـرت زمـر الجنادب
من فـويهـات الثـقـوب

مما زاد إعجابي بالشعر والشاعر وتمنيت أن أراه أو أقرأ شعره، فقد كانت فيه حلاوة عجيبة وصور جميلة يرسمها بكل دقة، ويختلف أسلوبه عن الشعراء الذين كنا نحفظ شعرهم أسلوباً ورقة وصوراً. وتعلقت به لما علمت أن (جفنه على الغزل) من شعره.

كان أول سؤال سألته عندما وصلت إلى بيروت عن مكان الأخطل الصغير، وكان له مكتب في وسط بيروت فقيل لي إنه في الجبل، وتشاء الصدف أن أكون أنا في المصيف الذي يصطاف فيه واستأذنت في مقابلته بلهفة وحب وإعجاب.

قابلني الشاعر برقيق الخلق وجميل الشمائل. كان الرجل مهذباً متحضراً يعرف نفسه، بالرغم من فارق السن بيننا فقد أولاني من الاحترام كثيراً ورفع من مكانتي وكأني أستاذ كبير. أسعدني وأفرحني هذا اللقاء ولعله أحس بالعاطفة المتدفقة التي كانت تسابق لساني في مدحه، وشعر بالحب العميق الذي أكنه له.

كنت أريد أن أكتب عنه كتاباً وأنا طالب في كلية الآداب أو على الأقل مقالة ورجوته أن يزودني بالوثائق والقصائد التي تلقي الضوء على حياته فوعدني خيراً، لأن كل أوراقه كانت في مكتبه في بيروت وأخبرني بأن كل ما أريده معد ولن أتعب في تقصي الحقائق عن حياته. ولم يتحقق هذا الأمل فقد تركت (لبنان) مبكراً ولم أسعد بما وعدني به، ولكنني استفدت من المناقشات التي دارت معه، فقد سجلت ملاحظات متعددة من مختلف الآراء الأدبية التي كان يتحدث بها إليَّ، فكتبت ثلاثة مقالات نشرتها في بغداد.

ظهرت على الشاعر آثار المرض وكان ضعيف الجسم هزيل القوام مع أنه لم يكن قد تجاوز الخمسين من العمر.

كان يرتدي كامل حلته عند نظم قصيده..

★★★★★★

عادة غريبة

كنت أسجل بعض الحديث الذي دار بيننا وفيه آراؤه وأفكاره، ولما تحدث عن حياته ابتسم قائلاً: لكل إنسان عادة في الحديث الجاد ومن عادتي الغريبة أنني لا أتمكن من الحديث الكامل المطلق الجاد إلا إذا كنت مرتدياً ملابسي كاملة، وقد تعجب إن قلت لك أنني حينما أريد أن أنظم قصيدة أرتدي ملابسي كاملة ثم أبدأ بنظم القصيدة.

وليست عادة الأخطل الصغير فريدة، فكل فنان له عادة في الإبداع فأديب لا يكتب إلا بالحبر الأخضر، وأعرف أديباً كبيراً لا ينظم شعره إلا إذا نام على بطنه، وآخر لا ينظم إلا إذا نام على ظهره ورفع رجليه.

وقد حدثت الأخطل الصغير عن كتاب صدر عنه وعن محتوياته وما فيه من آراء حول شعره لأحثه على الكلام، ووجدته غير راض عن الكتاب ووصفه بالتفاهة وضعف الأسلوب وأردف بأن صاحبه (أمي) لأنه أراد أن يستغل اسمي تجارياً وأن أحكامه غير متزنة فهو مرة يرتفع بي إلى السماء وأخرى يهبط بي وبشعري إلى الأرض ولو كان المؤلف متزن الأحكام لما ترجرج في أحكامه.

كانت بغداد موئلاً للشعر والأدب والفكر والتجديد لذلك كثر فيها الشعر ودارت حول اسمها الأساطير وأوحت للشعراء على طول العصور بالكثير من جيده.

وفي العصر الحديث ذكر بغداد عدد من الشعراء مثل بدوي الجبل، وعلي الجارم، وزكي مبارك وغيرهم من الشعراء، وقد كانت تعقد حفلات متعددة فيها ويحضرها المفكرون والممثلون والكتاب من جميع أنحاء العالم العربي، فقد جاء إليها محمد عبدالوهاب، وأم كلثوم، ويوسف وهبي، وبشارة، وحاضر فيها أحمد حسن الزيات(١)، وعبدالرزاق السنهوري، وزكي مبارك، وأستاذنا محمد طه الحاجري - رحمهم الله- وغيرهم من قادة الفكر والفنون.

وعندما احتفل العراق في تأبين جميل صدقي الزهاوي كان الأخطل الصغير مِمَّنْ ساهموا في هذا الحفل بقصيدة أبرز فيها وصف الصحراء وقال الأخطل الصغير إن "الإفرنج لم يعرفوا هذا الوصف في الصحراء" وكان معجباً بهذا الوصف نفسه، ولا أدري كيف يصف الشاعر الغربي الصحراء وهو لم يرها، وليست له علاقة وجدانية معها ومن هذه القصيدة:

بغداد ما حمل السرى
مني سوى شبح مريب
جفلت له الصحراء
والتفت الكثيب إلى الكثيب
وتنافرت زمر الجنادب
من فويهات الثقوب
يتساءلون وقد رأوا
قيس الملوح في شحوبي
يتساءلون من الفتى
العربي في الزي الغريب
صحراء يا بنت السماء
البكر والوحي الخصيب
أنا لو ذكرت ذكرت
أحلامي وأنغامي وكروبي
إحدى الشموع النائبات
أمام هيكلك الرهيب

قصيدة فيصل الأول:

ودار الحديث عن شعره وما يحب من قصائده وأي قصيدة يفضل فذكر القصيدة التي نظمها في الملك فيصل الأول وقد اعتز الشاعر بها وعدها من الشعر العربي العالي ورأى أن يحتذي حذوها الشعراء وأن ينسجوا على منوالها مع أن الشاعر قد رثى كثيراً من الشعراء والقادة قبله وبعده مثل سعد زغلول، وإبراهيم هنانو، وشوقي، والمتنبي وبلغت قصائده في الرثاء حوالي عشرين قصيدة وقد ردد لي بعض أبياتها وقد سماها (مصرع النسر) والحق أن الملك فيصل الأول يستحق الرثاء، ففي حياته قاسى مقاساة كبيرة أميراً وقائداً وملكاً. ومن القصيدة:

لبست بعدك السواد العواصم
واستقلت لك الدموع المآتم

تغنى بشعر الغزل وكان مجيداً فيه..

★★★★★★

وإذا أنت لا ترى غير رأس
مطرق وارم المحاجر واجم

والحق أنها غرر شعره وكان أثر موت الملك فيصل في العرب كبيراً لأنهم يحلمون في دولة عربية حديثة، فأحيا هذه الآمال في النفوس عندما دخل دمشق باحتفال كبير أعاد ذكرى الأمجاد العربية. ومن القصيدة:

واكتسى مفرق الجهاد جمالا
بالأكاليل من ذؤابة هاشم
فيصل العرب ما هززناك إلا
بالجفون المقرحات السواجم
فهززنا، لما هززناك دنيا
من جمال وجنة من مراحم
اطلعت شمس فيصل منك للعرب
مصابيح من شقوق العمائم
فلمحنا في أفقها وجه هارون
وعصراً مخضباً بالعظائم

ومنها:

ذلك النسر كيف حلق وانقض
مهيض الجناح دامي القوائم
مدفوق الثرى جناحاً وألقى
شامخاً ما له من الموت عاصم

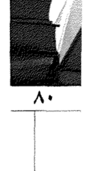
الرصافي الصدوق:

ثم جرى الحديث عن الشاعر الكبير معروف الرصافي، فهو الشاعر الذي تغنى بطموح العرب والعراق والإسلام، وكان شاعراً ومفكراً وسياسياً واجتماعياً أرخ حياة العراق وأحداثها، وقد ردد شعره العالم العربي لأنه كان جريئاً فضرب المثل به لأنه كان صادقاً مع نفسه ومجتمعه. وأثر في أسلوبه الجزل وتفكيره الواضح بصدق العبارة وقوة شخصيته ووقوفه أمام السلطة والاستعمار

في الأدب والنفوس، وزاد من إعجاب الناس بشعره تصويره لحياة العراق الاجتماعية ومآسيه في شعره، فقال عنه الشاعر: (إنه صديق صدوق وإنه يحبه ويعجب بشعره وصراحته وجرأته)، ونعى على الشاعر لأنه (لا يتورع من أن ينام في أسوأ البيوت، وسُرِقَتْ دراهمه ثم أعدناها له بواسطة الشرطة ثم أخرجناه من بعدها من هذا البيت).

والغريب أن الرصافي كان يتخذ مثل هذه البيوت مقراً له في بغداد، وكان يزوره كبار المسئولين فيها ويردد بأن أصحاب هذه البيوت أشرف من وزراء الدولة لأن أهلها أكثر وفاء له وحفاوة به من هؤلاء الوزراء الذين كانوا معه وزاملوه في الدولة العثمانية وبخاصة أولئك الضباط واعضاء مجلس النواب (المبعوثان) الذي كان هو عضوا فيه، وكان يرعى نشاطهم وأنه لم ينضم إلى مؤسساتهم القومية، وما كان الرصافي راضياً عن الملك فيصل الأول زميله في مجلس النواب العثماني الذي صار ملكاً، أما الرصافي فلم يجد عملاً يليق به إذ عين نائباً لرئيس لجنة لم يعيّن لها رئيس فلم يخف الرصافي كراهيته للملك لأنه: لم ينل حقه بما يتناسب ومكانته العلمية وشهرته الأدبية، وقد كان الأخطل الصغير يلوم على الرصافي التباعد الذي يبديه نحو الملك فيصل الأول، لأنه يرى في الملك فيصل غير ما يراه الرصافي، قال: (إنه أمل الأمة العربية ثم إنه أسبغ عليه فضله عندما عينه نائباً في مجلس الأمة). وقال: (إنه كان عنيفاً في أعماله ضد الملك فيصل وكان حريا به أن يلتزم الوفاء له وطيب الأخلاق معه). وقال إنها: (ليست المرة الأولى التي أساء للناس، فقد توسط له شخص لكي يعين الرصافي في استانبول في إحدى الوظائف، غير أن الرصافي لم ينل ما كان يريد فعاد من الآستانة إلى بيروت متألماً لأنه لم يحصل على الوظيفة التي كان يتمناها غير أن الوسيط الذي أخفق في وساطته نجح ثانية وكان الرصافي قد عاد من استانبول غاضباً، فأرسل الوسيط برقية يرجو أن يعود الرصافي ويتسلم الوظيفة التي أرادها).

لكن الرصافي لم يرد الجميل لهذا الوسيط إنما هاجمه



صلاته وعلاقاته الشخصية امتدت إلى كثير من طبقات المجتمع..

★★★★★★

بعد ذلك في جريدة العرب التي كانت تصدر في الآستانة، فتألم الوسيط من هجومه الذي لم يجد له مبرراً وكتب إلى الأخطل الصغير عاتباً عليه لأنه هو الذي عرفه بالرصافي ورجاه مساعدته، وكان جزاء الإحسان أن شتمه الرصافي مع أنه أحسن إليه).

لم أسمع عن الحادثة ولم أسأل عن اسم الوسيط لأني كنت أسمع منه فقط، ولعل الرصافي أصيب بإحباط كبير وحسب بأن الوظيفة جاءته لكفاءته أو أن هناك إنساناً آخر ساعده.

ومع مساوئ الرصافي التي تحدث عنها الأخطل فقد كان معجباً به وبشجاعته وقال: (كنا في عز الشباب عندما هاجم الرصافي السلطان عبدالحميد في شعره وكان السلطان في سطوته وقوته وحسبنا اسمه توقيعاً مستعاراً يذيل به شاعر عربي شعره)، (وكنا لا نصدق أن شاعراً اسمه الرصافي موجوداً حقاً في العراق ويملك هذه الشجاعة وكانت الدهشة تعترينا عندما نقرأ شعره). ويرى شاعرنا بأن تجديد الرصافي بدأ عندما سافر إلى الآستانة التي أثرت حياتها فيه وما رأى فيها من تطور بالقياس إلى العراق وحياته الأدبية الهادئة فأراد أن يجدد في شعره ولكنه هبط شعره بالمقارنة بشعره الذي كان ينظمه في العراق قبل سفره.

وأراني أخالف الأخطل الصغير في رأيه لأن الرصافي عندما سافر إلى الآستانة لم تساعده لغته القديمة في وصف هذا التطور الذي رآه، لأن لغته كانت محدودة بالمحيط الضيق الذي عاش فيه، وسفره إلى الآستانة هو الذي طور شعره وخرج به من العناية باللفظ إلى العناية بالمعنى دون أن يفقد جزالة شعره وجمال عبارته فهو جدد وبقي شعره جزلاً.

وكنت ألقيت محاضرة عن الشاعر محمد رضا الشبيبي في كلية الآداب وحدثته عن هذه المحاضرة فقال: (إن في

بعض شعره تطوراً هو أقرب إلى العصرية وأكثر تطوراً من معروف الرصافي، ولكن شعر الرصافي أجزل أسلوباً وأصدق عاطفة وفكرا من الشبيبي)، ما كنت أقدر أن أعلق على رأي الرجل للفارق الكبير بيني وبينه علماً وسناً وتجربة ولو قرأ ديوان الشبيبي لغير رأيه.

وعرجت معه على الجواهري فقال: (إن شعره لا بأس به) ولكن لم أقبل حكمه ولعله لم يقرأ له أو يصل شعره إليه.

قلت له: إنه قائد الشعر العربي في العراق بعد ذهاب الرصافي والزهاوي فهو في شهرته ومستواه الفني لا يقل عن عمر أبو ريشة والأخطل الصغير ولاشك قد أعجبه هذا الرأي وأنا مؤمن به دون مجاملة.

كان الشاعر صريحاً وواضحاً فما تبجح وادعى وفاخر أو باهى بنفسه فقد أعجبتني هذه الصراحة إذ قال: (بأنه لم يكمل الدراسة وتركها في السنة الرابعة) ومن استقراء تاريخ حياته نجد أنه درس في الكتاتيب ومدارس عديدة وعلم نفسه بنفسه بالدراسة المستمرة والقراءة الجادة، لأن الصحافة شهرته وكان شاعراً هاوياً للشعر والصحافة وكانت (الصحافة همه الوحيد لأنها كانت تمنحه الجاه والربح الوفير).

(وكان للصحافة وزنها وأثرها وقد استفاد منها معنوياً ومادياً بصفته من أرباب الصحف يتوسط عند المسئولين في مساعدة.. الأدباء والشعراء ويعينهم لأن جريدته كانت منتدى لجميع الشعراء العرب وصفحاتها ميداناً نشر فيها الأدباء من جميع الأقطار العربية).

كان للدستور العثماني أثر في ظهور عدد من الجرائد والمجلات في الوطن العربي وقد كان لبيروت مكانة خاصة زمن الدولة العثمانية وإعلان الدستور ساعد على كثرة انتشار الجرائد وقد كان لبيروت دورها في قيادة الأدب والشعر والتحقيق ومكانتها ساعدت على بروز آراء وأفكار لم تكن تظهر في الوطن العثماني كله.

ولعل أثر الحرية في مصر كانت عاملاً مساعداً في بروز أثر الصحافة لأنها أخذت تزاحم دور الشاعرالعربي في الرأي العربي العام، فأصدر الأخطل الصغير (البرق) أسوة بالجرائد العربية فكانت سبباً في فائدة مادية ومعنوية (وسعت مكانته وأعلت كلمته، التي أعانته على أن يتوسط للشعراء العرب والأدباء من جميع الأقطار العربية وهذه المكانة ساعدته على تعيين معروف الرصافي عندما توسط له مرة لدى أصدقاء جمال باشا فعين الرصافي في حلب، ثم إنه جند الصحف في تأييده في الرأي بذكر محاسن الرصافي وشعره وترجم ما كتب عنه في الجرائد حتى نال الرصافي المنصب الذي يريده).

كانت للأخطل الصغير صلة كبيرة بالزهاوي قد رثاه في شعره رثاء مؤثراً وكان يُكن له التقدير والحب والإعجاب وقال عنه: (إن أخلاق الزهاوي تمتاز بالهدوء والوقار لأنه من أسرة عريقة، وعراقة الأصل تولد الأخلاق المتينة لأنه يحافظ على سمعة أسرته ويخشى على اسمها).

ولما أعيد الحديث عن الرصافي أخبرته بصدور كتابين أحدهما كتبه بدوي طبانة والآخر كتبه مصطفى علي وقد كان يتوقع أن يرسل إليه مصطفى علي نسخة منه لأن الرصافي كان قد عرفه به(١).

والطريف أن المنازعات التي كانت تدور في العراق عن الرصافي والزهاوي قد وصلته فقال: (أعرف أن للرصافي أنصاراً يؤيدونه ومنهم مصطفى علي وأن جماعة الزهاوي من أهمهم أحمد حامد الصراف).

الشعر الخالد:

ودار الحديث عن الشعر الخالد والشعراء الذين يخلدهم التاريخ الأدبي فقال: (إن الشعراء لا تخلدهم إلا أبيات معدودة فالمتنبي خلدته أشعاره في الحكمة، وأحمد شوقي له بعض الأبيات السائرة التي نظمها في البلاد العربية).

وسألته عن الجديد الذي جاء به شوقي في الشعر العربي في المسرحيات فقال: (لم يعلق في ذهني من المسرحيات سوى بيتين من مسرحية مجنون ليلى هما:

لنا قبلة الشمس عند البزوغ

وللحضر القبلة الثانية

ونحن الرياحين ملء الفـــضـــاء

وهـن الرياحين في الآنيـــــة

وترنم بهما وقال: (إن هذين البيتين وفيهما تجديد وفيهما معاني جديدة وأصيلة وراقية وتركت الرواية ولم أطل في المناقشة فهو رأيه ويجب احترامه، ولعله لم يقرأ كل الروايات لأن المعاصرة حجاب.

السياسة في مصر:

كانت السياسة في مصر شغل العرب الشاغل، فتجدهم يتتبعون أخبارهم وأعمال الساسة والأحزاب وقد تحزب العرب لأحزابها، فهذا وفدي وهذا سعدي، وكان مكرم عبيد قد انشق عن الوفد وأصدر كتابه الأسود الذي هاجم فيه حزب الوفد: فلم يرض الشاعر عن مكرم عبيد واستذكر منه التقلب السياسي وخروجه على الوفد. وفاته أن السياسة والساسة من طبعهم عدم الوفاء والتقلب حتى أصبحت السياسة معناها عدم الوفاء، فقال: (إن الوفاء عدم الخروج على الوفد وإغضاب النقراشي وعبدالهادي، وإن الوفد لو دخل الانتخابات الحرة دون أي تدخل للحكومة في مجراها لفاز بأكثرية ٧٠٪ إن لم يقترب من ٩٠٪ لأن للوفد أغلبية شعبية) وللأسف برهنت الأحداث أن أغلبيته الشعبية سرعان ما ضاعت أمام القوة والسيطرة العسكرية.

الطريف أنه تحدث عن نفسه فقال: (أنه ملول وأنه كسول) والواقع أن الملل صفة من صفات الإبداع والتجديد، أما الكسل فلعله جاء من مرضه، أو أنه آفة الإنسان أو البشر كلهم وأضيف بأن الشاعر كان سريع الأحكام فقد قال: (إن العراق بلد متأخر في الطباعة والنشر، وبرهن على قوله بكتاب وصله من أديبة حسناء يكتب لها الرجال وعرض الكتاب عليّ وكانت صورة المتأدبة من الباطن مثيرة جداً وأنا أعرفها ولما عرض الكتاب قلت: يا سيدي هذا الكتاب طبع في أرقى المطابع في بيروت ولم يطبع في العراق مع أني معك بأن الطباعة في العراق لم تصل إلى ما وصلت إليه في مصر ولبنان.

وقال عن مؤلف كتاب الأخطل الصغير: (أنه جعل مكان ولادتي في مكان لم ألد فيه وأن الكاتب استشهد بشعر كنت نظمته وأنا صغير ولست أذكر بأنه شعري وكان حرياً به أن يحسن الاختيار، كما استشهد بشعر نظمته قبل عشر سنوات).

واستطرد في قوله: (كل إنسان يقدر أن يقول شعراً، والشعراء كثيرون ولكن الميزة الأولى، هي الإبداع الشعري وسعة الخيال فليس كل الشعراء مثل المتنبي وشوقي الذي خلدته معانيه في البيتين السالفين).

وقال مستمراً: (إن شوقي صديق والرصافي صديق ولكن الرصافي هو الصديق الذي أعرفه وأقربه إلى نفسي ولا سيما أن الرصافي جريء ومغامر ولم أره إنما عرفته أولاً على البعد من شعره)، وتطرق إلى الخصومة القائمة بين الرصافي والزهاوي فقال: (كلاهما مذنب وإلا ما حدثت بينهم الشحناء ولو كان احدهما طيباً لما حدث الخصام بينهما)، وهاجم الرصافي بعد أن أصدر حكمه السالف وقال: بأنه ذو خلق رديء)

استغربت هذا من الشاعر الكبير الذي يقول: عن الرصافي بأنه صديقه الصدوق، فقلت للشاعر الأخطل الصغير: إن الأستاذ محمود شكري الآلوسي أستاذه أخبره بأن أصله كردي من جذور عربية من عشيرة الجبارية التي سكنت مع الأكراد ثم إن الأكراد والعرب في العراق لم يختلفوا في يوم من الأيام وهم متصاهرون فهم لحمة واحدة وسدى واحد وليس بينهم حساسية. قال: (إن كان كردياً لا يضره أن يكون شاعراً ملأ الدنيا بالشعر العربي).

وأردفت وقد كان أشد حرصاً على العرب وعلى وحدتهم من العرب أنفسهم وكان إحساسه بالعروبة عميقاً حتى قال عن نفسه:

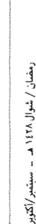
عـهـدتك شـاعـر العـرب المجـيـدا

لماذا لا تطارحني النشـــيـــدا

وبعد هذا اللقاء ودعته فودعني حتى الباب تواضعاً وكرماً.

شعر الغزل عنده هو شعر العاطفة الرقـيـقـة الجـيـاشـة..

★★★★★★



وفي اليوم الثاني بادرت إلى زيارته بعد أن وجدت الرجل يرحب بي ويحس بالرضا في لقائي، والحق أنه يمتاز بالخلق الرضي والسجايا الحميدة وقد كان مريضاً قبل زيارتي له وهو في دور النقاهة، وهو دور يتعب النفس لأنه انتقال من حالة جسمية مرهقة إلى حالة جسمية تتشافى وتتعافى الأطراف كلها.

ويحس زائره وضيفه برقته وبوده وله قابلية في اكتساب الأصدقاء وكأنه صديق قديم عزيز بلطف عبارته ودماثة أخلاقه، وإحساس الناس به يتكلم دون تكلف في المشاعر، ولا تعمل في المعاملة الحلوة الجميلة. وأحسست بأن الأصدقاء والزوار يذكرون شمائله العالية وسجاياه السامية، فإذا كانت هذه أخلاقه العالية وهو مريض فكيف يعامل الاخوان والأصدقاء وهو صحيح الجسم؟؟ كان يلح في إكرامي مع فارق السن بيننا ويوصلني حتى السلم الخارجي وكنت أرجوه بالإلحاح ألا يغرقني بهذا العطف ويحافظ على صحته؟؟...

الشعر عاطفة وخيال

قابلت إبراهيم المنذر عند الشاعر الأخطل الصغير وتفضل وقدمني إليه بلطف، وهو من أعلام الأدب في لبنان وحدثني عن العراق وصلته به بوجود ولده يعمل سكرتيرا في القنصلية اللبنانية في العراق وله ولد آخر، ووجدت الأخطل شديد الاحترام والإعجاب بالشيخ المنذر وقال: إنه كان نائباً في البرلمان اللبناني وإنه حجة في اللغة العربية وقد قضى فترة طويلة من عمره في التعليم وأحسست بأن الشاعر يستفيد من علم الأستاذ المنذر لغة ونحواً، وحسنا يفعل إنه أسلوب الأديب الذي يغار على أدبه من نقد النقاد.

كان الشيخ المنذر قبلي في المجلس ثم بعد ذلك استأذن في الانصراف، وبذلك خلا المكان فاستأنف الشاعر القول: (الشعر عاطفة وخيال وقد خلا شوقي منهما كما خلا شعر المتنبي منهما ولكنهما مع ذلك شاعران عبقريان خلدا على مر الأيام).

لم أكن قادراً على مناقشة الرأي أو الاعتراض على شاعر كبير معروف؛ لأني جئت لأتعلم واستفيد من الرأي وليس

الشعراء كثيرون، لكن الميزة في الإبداع وسعة الخيال..

★★★★★★

المقام مقام اختلاف في الرأي ومناقشة الأحكام، ثم قال: (وقد اشتهر شوقي بعد الحرب العالمية بعد أن نظم في مشكلات الشرق والبلاد العربية ولكن شعره فيه الرفيع الجيد، وفيه بعض الشعر الذي يهبط للحضيض).

وقال: (إن حافظ إبراهيم برغم أنه ينحو نحو غيره في الشعر لكنه فرض نفسه على الأدب، ولكنه لا يضاهي شوقياً مهما حاول). وهو رأي ردده النقاد.

كانت فرصة أن أعرف أن الشاعر من المعجبين كثيراً بالمتنبي بوجود مختارات من الأدب العباسي معه مما يدرس في المدارس اللبنانية، فانتقد الكتاب لأنه لم يكن على مستوى أدبي رفيع الاختيار، وانتقد اللجنة لأنها من وزارة المعارف وليست من الأساتذة المتخصصين وأصحاب الدراية، وأخذ يقلب صفحات الكتاب ويسخر من سوء الاختيار وقال: (أنا من المعجبين بالمتنبي وقد درسته دراسة تمعن ولا زلت أدرسه) ثم جاء على صفحة فيها مختارات من أبي تمام فوقف عند بيت فيه، قذارته من بعضه فقال:

لا يقبض الموت نفسا من نفوسهم
إلا وفي يده من نتنها عود

وجاء ذكر الشاعر عبدالمحسن الكاظمي، وكان العراق قد طبع له مجموعة من شعره، وبنى قبره في مصر، فقال إنه نظم فيه قصيدة منها:

أحين يمسي ترابا
لقد أتيتم عجابا
يا أمة لا أراها
تخطو إلى الحق قابا
الموت أكرم نفسا
والقبر أرحب بابا
قل للعراق أيقضي
شيخ العراق اغترابا(٢)

لا يكرم الله شـعـبـا لا يـكـرم الآدابـا

ولما جاء ذكر الشاعر عزيز أباظة قال إنه قرأ العباسة وقد أعجبه دفاعه المجيد عن العباسة، أخت الرشيد وردد الأسطورة التي ذكرها بعض المؤرخين عن علاقتها بجعفر البرمكي، وما قيل عن زواجها منه سراً، والتاريخ كذب هذه الأسطورة لأنها كانت متزوجة ولها أولاد. وهو متأثر برأي جرجي زيدان، وقد تحدث الأخطل الصغير عن أباظة فقال: (إنه شاعر يستقبل الناس كثيراً وبخاصة الأدباء، وأنا أحبه كثيراً، وقد أرسل ديوانيه عن المرأة ولكن الكسل والخمول حالا دون شكره والكتابة إليه).

ولا يمكن أن يتحدث أديب عن الأدب والأدباء، ولا يجري الحديث عن مصر مركز الإشعاع الأدبي والفكري، قال: (إنه زارها بعد أن دعته الدولة وتكلفت بجميع المصاريف، وكانت سيارات الأدباء والاخوان تسهل لي الاتصال بخاصة الأستاذ الجميل، ولكن مصر وما فيها من مغريات دعتني اصرف ٢٠٠ جنيه التي أخذتها معي ولم أعد منها غير عشرة جنيهات). وقال: (أنه سكن الكونتيننتال) ولم اعلق على الناحية المالية والفندق مشهور في وقته ولعله أعلى الفنادق، فلقد كان ينزل فيه علية القوم.

غنى الموسيقار عبدالوهاب شعر الأخطل الصغير وكان يحبه ويثني عليه وذكر بانه (عندما يأتي إلى بيروت كان يعرج علي، وما زار لبنان إلا سعدت برؤيته)، ولم يكن عبدالوهاب وحده يزوره، وقال: (إن كثيراً من رجال السياسة من المصرين يزورونه وذكر منهم صدقي باشا، وإبراهيم عبدالهادي باشا).

ملحة وطرفة

كان إبراهيم المنذر معه وجرت بينهما بعض المداعبات والطرائف، فقد قال المنذر مداعباً: (أنه أكبر سناً مني) فضحك الشاعر وقال: (لا تصدقه في القول إننا من سنة واحدة).

واستغربت هذه المداعبة بين الأستاذين الكبيرين وزال

كان يفيد من علماء اللغة غيرة على شعره

★★★★★★

استغرابي عندما وجدت أم عبدالله موجودة فضحكت وقالت بظرف واضح: (طلقني من بشارة ما دام كبير السن). قال لها: (حاضر). قالت: (على شرط أن تتزوجني)، فأحرج المنذر بالرغم من أنها دعابة وسكت لا يرد، فاستأنفت ضاحكة وقالت: (إن طلقني بشارة كيف أعيش وحدي). وامتلأ الجو بالضحك على دعابة أم عبدالله المرحة اللطيفة التي أحرجت المنذر.

رسالة من العراق

يتطفل على الأدب في كل وقت دعاة ليس لهم فيه أدنى نصيب من خلال أدباء كبار يكتبون لهم وبخاصة الجنس اللطيف. وفي العراق ممرضة يهودية جميلة بكل معنى الجمال بل فتنت كثيراً من الأدباء والتفوا حولها وأخذوا يكتبون لها حتى توهمت أنها كاتبة، وطبع لها كتاب غاية في الجمال ورقا وإخراجا، ووضعت صورتها التي تحاكي أجمل الممثلات في الصفحة الأولى وبصورة غير محتشمة، ففي الصورة إغراء واضح، وأخذت ترسل بهذا الكتاب إلى كبار الأدباء والشعراء، فكانت الصورة مدعاة للإثارة، وقد رأيت الأخطل الصغير يردد إعجابه بالصورة دون أن يذكر المحتوى، ولما دخل الأستاذ المنذر أخفى الكتاب، وحاولت أم عبدالله أخذ الكتاب لتعرضه على الأستاذ المنذر ولكنها لم تقدر على ذلك ولما خرج الأستاذ المنذر ناولني رسالتها والكتاب، وهو يردد كلمات الإعجاب بالصورة غير المحتشمة، وساوره خيال الشعراء فقال: (اظنني أعرفها وقد شاهدتها في الجامعة الأمريكية)، وبدأ يسألني عنها فقد أثارت هذه الصورة كوامن روح الفنان الرقيق فسألني:

قال: أتعرفها؟

قلت: لم أقابلها.

قال: هل هي كاتبة معروفة؟

قلت: لم أسمع بأنها كاتبة أبداً.

ولكنه لم يقنع بجوابي وبقيت في نفسه رغبة عميقة لمعرفتها لم أقدر على إروائها.

الرجل لم يتعلم في الجامعة بل لم يهتم بالأدب العلمي وتاريخ النقد ولم يلتفت إلا إلى قراءة الشعر وحفظه عند كبار الشعراء، ولما دار الحديث بيننا عن الأدباء والنقاد وأثرهم في الأدب قلت له: إن ابن سلاّم أول من وضع للشعراء طبقات كالشعر الجاهلي والشعر الإسلامي ثم شعر المخضرمين وذكر اختلاف الآراء واقتصر على أربعين شاعراً وهم الفحول وصنفهم في عشر طبقات وهو أول من تحدث عن الشعر المنحول والموضوع قبل طه حسين وكانت القبائل تتزيد في مفاخرها لقلّة ما نظم فيها، واحترف بعض الرواة وضع الشعر مثل حماد الراوية فنحل الشعر ليكتسب عند علماء اللغة ومثل داود بن متمم بن نويره ليكسب بعض المال.

استغرب الشاعر الكبير هذا الرأي وكأنه لم يسمع شيئاً عما أقول وكان جل حديثه عن كبار الشعراء الذين تركوا آثرهم في الشعر العربي كالمتنبي والبحتري والأخطل والنابغة، والأخطل الصغير كان شديد الإعجاب بشعر البهاء زهير وكان يردد الشيء الكثير من شعره.

والحق أن شعر البهاء زهير من جميل الشعر وحلوه، فهو سلس اللفظ قريب المأخذ رقيق الجرس وقال بصراحة إنه يحفظ شعره، وقال: (كنت في شبابي حفظت شعره وتتبعت أخباره ولكنني اليوم أقول: إن شعره ليس فيه التجديد الكبير الذي نريده في الوقت الحاضر وحسبه أنه من أرق شعراء عصره). وأكد الأخطل الصغير على أن الشعر الحقيقي هو شعر الغزل، وقال: (أنا معجب بشعراء الغزل لأن الغزل هو العاطفة الصادقة). وقد بدأت هذا الإعجاب في أول حياتي الأدبية. ولاشك بالمراهق المرهف الحس إذا كان شاعراً سوف يأسره شعر الغزل، وأكثر الشعراء الكبار بدأوا شعرهم بالغزل.

وكان الأخطل الصغير يحفظ شعر المتنبي في الغزل على قلة غزل المتنبي، ولا عجب فإن الشاعر الكبير برز في الشعر الغزلي وغناه كبار المغنين ومن جميل شعره:

الهوى والشباب والأمل المنشود
توحي فتبعث الشعر حيا
والهوى والشباب والأمل المنشود
ضاعت جميعها من يديا
يشرب الكأس ذو الحجا ويبقي
لغد في قرارة الكأس شيئاً
لم يكن لي غد فأفرغت كأسي
ثم حطمتها على شفتيا

ومن جميل صوره:

قتل الورد نفسه حسدا منك
وألقى دماه في وجنتيك
والفراشات ملت الزهر لما
حدثتها الانسام عن شفتيك

وقوله:

أيلقي على قدم الغريب بنفسه
ويشيح عن أبنائه الأمجاد

وقوله:

أبلغ الشعر دمعة تتلظى
فوق خد لا صفحة من كتاب

وقوله في شوقي:

هذا الذي رفع الأهرام من أدب
وكان من تاجها أغلى الجواهر
هذا الذي لمس الآلام فابتسمت
جراحها ثم ذابت في المحاجر

والحقيقة أن شعر الأخطل كما قال عن نفسه: كان شعري الغناء في فرح الشرق وكان العزاء في أحزانه. وقد انتهت الخواطر والمذكرات التي كتبتها عن الشاعر الأخطل الصغير. وعسى أن أجد المقالات التي كتبتها عنه ففيها أشياء لم أذكرها.

الهوامش:

١- أصدرت كتاباً عن الرصافي بعنوان/ الرصافي يروي سيرة حياته.

٢- ما سبقك للشاعر وها نحن نقضي غربة؟

القـول الممـتاز في مثـالب التلـفاز!



د. أحمد عطية السعوديّ
- الأردن -

- حدثنا أبو الفتح عثمان بن جني(١) قال:

صحبتُ أستاذي أبا علي الفارسي(٢) أربعين سنة أتعلم منه النحو والأدب ولغة العرب، أدور حيث دار، وأسير حيث سار، حتى اشتعل رأسي شيباً من كان وأخواتها، وإن وخالاتها، وظن وجاراتها، ولكنها كانت تقع في نفسي مواقع الماء الزلال في الحلق الظامئ!

وكان أستاذي أبو علي غاية في الجد، ما مازحه أحد، وما مازحني قط، إلا يوم أتاني مهرولاً نحو داري، وهو يصيح: يا بن جنّي، يا جنّي، اخرج إليّ..! فخرجت مسرعاً ملبياً فإذا شيخي أبو علي. فقلت: أهلاً وسهلاً بشيخي المبجل، لأنتَ أحقُّ أن تُؤتى، وما إخال إلا أمراً ذا بال قد جاء بك في الحال، فمُرني فأمرك على العينين والرأس!

فدلف إلى صحن داري، وهو يبتسم، فأغراني ابتسامه بالاسترسال فقلت: فلو أردت يا شيخي، أن أحفرَ لك الأرضَ بيديَّ هاتين العاريتين، واستخرج منها بئر نفط تقتات منها أنت وأهل بيتك ونحاة البصرة والكوفة، وتنضم بها إلى منظمة "الأوبيك" لفعلت (٣)!

ولو أردتَ أن أنبش لك سور الصين العظيم حجراً حجراً وبرجاً برجاً، وأبني لك بحجارته قصراً على قمة "إفرست" يضارع "تاج محل" لفعلت(٤)!

ولو أردتَ أن أضرب لك في الأرض حتى أجتاز بحر الظلمات، وأبلغ ما بلغ السندباد، وأخطب لك من بنات الروم ما ينسيك بنات نَعْش وبنات أفكارك لفعلت!

فقاطعني ضاحكاً: على رسلك يا بن جني، ما جئتك باحثاً عن نفط، ولا طامعاً في قصر، ولا راغباً في ذات منصب وجمال! إنما جئتك في أمر أيسر على لسانك من قول الأعرابي: "تركتُ ناقتي ترعى الهُعْخُع"(٥)!

قلت: عجباً، فما ذاك يا شيخي، وأنت صاحب "الحُجّة" الدامغة، و"الإيضاح" الساحر(٦)؟!

قال: رؤيا رأيتُها، فبينا أنا منهمك في التأليف والتصنيف إذ أخذتني سِنَةٌ من النوم، فرأيت فيما يرى النائم كأنما انشق



الجدار عن كُوَّة من لُجَين ونُضَار، فأنعمتُ النظر، فإذا أشباح تتراءى فيها، تحكي بلساننا، وتعزف بمعازفنا، فانتبهت من نومي، فإذا فريضة الفجر قد صلِّيت، وإذا الشمس قد طلعت، وإذا نفسي تتلمظ تود لو كانت رؤياها حقيقة! فما تقول يا أبا الفتح يا بن جني في تأويل رؤياي، وأنت أبصر الناس بعالم الجن، أبوك جني، وأنت ابن جني، وأنت ابن بَجْدَتها؟!

قلت: أبشر يا أبا علي، وبشِّر نفسك المتلمِّظة، فرؤياك حق قد جاءت كفلق الصبح، وهي الآن تدب على الأرض، ولو انتظرت ساعة لجئتُ أبشرك بما بهر الناس في هذا العهد الميمون عهد بني العباس، فهل سمعت بما جرى للأدباء في دار ابن الجهم(٧)؟

قال: (وهو يُحَملْق إليّ): والله ما سمعتُ شيئاً..!

قلت: سبحان الله يا أبا علي، قد شغلك النحو والتصريف عن استطلاع الأحوال والاستكثار من الأموال، إنهم في دار ابن الجهم يشاهدون ما رأيت في المنام، يشاهدون "التليفزيون"!

قال: ويحك ماذا تقول؟!

قلت: ما سمعتَ، يشاهدون "التليفزيون".. قُلها يا أبا علي، قلها!

قال: والله لا أقولها! عجباً لك ولهم، قد التوت ألسنتكم برطانة العجم، ففسدت قرائحكم كما فسدت أبصاركم، يا حسرة على الميزان الصرفي والمشتقات، يا حسرة على المرفوعات والمنصوبات.

قلت: اطمئن يا أبا علي، ولا تتحسر فالعربية بخير، إنهم يسمونه التلفاز!

قال: أما هذه فنعم، تلفاز على وزن فعلال من الرباعي تَلْفَزَ، ومصدره تَلفزةً! واسم فاعله مُتلفِز بكسر الفاء، واسم مفعوله متلفَز بفتح الفاء! ولكن ما التلفاز يا أبا الفتح؟

قلت: إنه آلة كالصندوق، ينقل أخبار السوق، ويحكي عن الخيل والنوق، والطبل والبوق!

قال: بخٍ بخٍ، صندوق له فم وأسنان، وشفتان ولسان، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، إن هذا إلا سحر مبين! فمن رآه من أصحابنا أهل اللغة الذين لا يجري عليهم السحر؟

قلت: رآه صديقك الحميم ابن فارس(٨)!

قال ابن جني: فما أتممت قولي حتى حمل عصاه، وانطلق كميش الإزار خارجاً نصف ساقه يجتاز الزُّقاق فالزُّقاق، وأنا أجري خلفه جري جُباة الضرائب وراء الكادحين ذوي النوائب، حتى دخلنا على ابن فارس فألفيناه غارقاً في التأليف، وقد تخضبت ملابسه بالمداد، وبين يديه أوراق كأنَّما يدون فيها ما رأى من أعاجيب التلفاز!

فقال له أبو علي: لقد رزقت يا بن فارس التصنيف، وأمنتَ من التصحيف، فقل لنا في التلفاز قولا بليغاً مرسلاً مفصلاً!

قال ابن فارس: التلفاز يا أبا علي، من الفعل الماضي الرباعي تلفز يُتلفز تلفزة، ويقال له: التليفزيون، وعند الطنطاوي علي(٩): الرَّائي! وفي ضبطه روايات متواترة، وهو وأسلاكه وصفائحه ووصلاته ومشتقاته في صندوق محكم! يبهر من يراه يا أبا علي،

فينكتُ في القلب نُكتَةَ هُيام وغَرام ربما لا تَمّحي أبدَ الدهر! ولست أكتِّمُ حُبّاً قد برى جسدي!

قا أبو علي: حنانيك يا بن فارس، لا تهيج دفائن الصبا، وحدثنا عمن اخترعه؟

قال: اخترعه رجل إفرنجي ذكي يقال له "جون بيرد"(١٠) قد أعمل فكره، وشحذ ذهنه، حتى أتحفنا بهذا الجهاز الباهر بينا بنو يعرب يتلاسنون أيهم يرضي بني قريظة وبني يغرب، ويتراكضون إلى أحضانهم تراكض الثيران في ملاعب الإسبان!

قال أبو علي: تباً لمن تخدعه الثعالب، ويغدو مغلوباً غير غالب، ويعطي الجزية عن يد وهو صاغر، يا بُني يا بن جني، هيا حلِّق عبر الأثير، وقل لبني يعرب: مخطئ من ظن يوماً أن للثعلب ديناً. ولكن يا بن فارس قد اشتغل فكري فيما قلتَ، فلنعد إلى جهاز

الفرنج، أهو آية؟
قال: نعم، هو أُعجوبة العصر، وآية كبرى تشهدُ على قدرة الله الذي علَّم الإنسان ما لم يعلم.
قال أبو علي: شوقتني وأثرتني، فما لونُه؟
قال: هو كالطاووس ألواناً وجمالاً، وله شاشة كاللجين فيها صورٌ ملونة تضر الناظرين!
قال: كأنما كلامك ضرب من اللف والنشر المشوّش، فقد تشوَّش الأمر علي، فما الشاشة؟
قال: لوح زجاجي مستطيل الشكل تُعرض بوساطته الصور.
قال: وكيف حصل ابن الجهم على هذا الشيء الغريب، والصندوق العجيب؟
قال: لما قدم الشاعر ابن الجهم على الخليفة المتوكل أنشده أبياتاً جافية لا تليق كمثل قوله:
أنت كالكلب في حفاظك للودّ
وكالتيس في قراع الخُطوب!
فعرف المتوكل قدرته وحسن مقصده وخشونة لفظه، فأمر له بدار على دجلة قرب الجسر فيها من ترف بغداد ومناظر الطبيعة ما يغذي الروح والفؤاد، وأهدى إليه هذا التلفاز، وجعل الأدباء يتعاهدون مجلسه، ويشاهدون مالا عهد لهم به! ثم بعد نحو شهر استدعاه الخليفة فأنشأ يقول:
عيون المها بين الرُّصافة والجسْر
جلبنَ الهوى من حيث أدري ولا أدري!
فقال المتوكل لمن حوله متعجباً من فعل التلفاز في طبع ابن الجهم: لقد رققت يا بن الجهم حتى خشيت عليك أن تذوب "كالبوظة"!
قال أبو علي: وقد تغشاه العجب، وتداخله الطرب: فما أعجب ما رأيتم فيه؟
قال: مناظرة بين ثعلب والمبرّد، غلبَ فيها المبرد وأبدع (١١)!
قال أبو علي: إذن هو خير كله.
قال: لا يا أبا علي، إن فيه مشاهد منكرة، ومفاسد كثيرة، ومثالب متكررة!
قال: فهل إفساده من جهة اختراعه أم من جهة ضنّاعه؟
قال: بل من جهة ضنّاعه الذين خلطوا فيه عملاً صالحاً قليلاً وآخر سيئاً كثيراً!

قال ابن جني: فقلت يا بن فارس، إن ابن الرومي (١٢) مدح التلفاز لما مر به في سوق بغداد، فقال متعجباً:
إن أنس لا أنس "تلفازاً" مررتُ به
يلقي "البرامج" وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها في "شاشة" بَرَقَتْ
وبين رؤيتها مجلوة الصور
إلا بمقدار ما تنداح دائرةٌ
في صفحة الماء يُرمى فيه بالحجر!
قال: يا بُني، هداك الله، إن ابن الرومي رجل محزون مفتون كثير التطيّر، فما عجب من شيء، وكان حسناً، ولولا قصيدته واسطة العقد ما احتفلت بشعره!
قال أبو علي: دعنا من "توخَّى حِمامُ الموت"، وأخبرني عن الأدباء الأحياء الذين شاهدوا التلفاز، ما كان حالهم ومآلهم؟
قال: أمَّا والبةُ بن الحُباب (١٣) فكان يطيل المكث عند التلفاز فساء خُلُقُه، وفسد طبعُه، وعمَّ فجوره، فاتَّخذ له في الخلاعة مذهباً، وعلى قمم الرذيلة منصباً!
وأما ابن خالويه فشغله التلفاز عن إتمام إعراب القرآن فأعرب ثلاثين سورة فقط! وأما الخوارزمي وهو ابن أخت الطبري فقد نسي عشرين ألف بيت كان قد دخل بها على الصاحب بن عباد الذي أمر غلامه بألا يُدخلَ عليه أحداً لا يحفظ عشرين ألف بيت! وأما الجوهري صاحب الصحاح فقد اعترته وسوسة، فصَعِد إلى سطح الجامع في نيسابور، وزعم أنه يطير فألقى نفسه فمات!
وأما أبو نواس فقد رأيته في السوق ذات مرة فقلت له: هيا أبا نواس لنتفكر في إصلاح الناس (١٤). فزمَّ شفتيه، ونظر إليَّ شزراً: ويحك يا بن فارس، ما لي وما للناس، والله لمسلسل الأسرة، ولفيلم السهرة أحبُّ إليَّ مما تدعوني إليه، ولعمري ما نصحتني!
قال أبو علي: فما المسلسل وما الفيلم، يا بن فارس؟
قال: المسلسل يا أبا علي، حكاية تافهة تجعل في حلقات ليلية قد تبلغ ثلاثين وربما خمسين، وربما لا تنتهي حلقات المسلسل حتى يحبو الطفل الذي ولد في ابتداء الحلقة الأولى! أما الفيلم فقصة خلاعية تعرض على الملأ، تحكي عن الغرام، وتثير في المراهقين الضرام، وإن شئت فهو رواية مرعبة

تفـــسد الأحلام، وتعلّم الإجرام.
قال أبو علي: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. (ربنا لا تُزِغْ قلوبَنا بعد إذ هديتنا)..!
قال ابن جني: فـامتُقع وجه أبي علي وتمعَّر، واستاء مما عـرف من شـغف الناس بالتلفـاز، ومـيلهم إلى الكسل والخمول، وحرصهم على الغناء والطبول.. ثم ربَتَ على كتفي وقال: يا بن جني، ارجع فاكتب بياناً للناس لعلهم يتـذكـرون، وأرسله إلى الأمـصــار مع الحمـام الزاجل، واجـعل منه نسـخـة في أحد كـتبك ليكون شاهداً على العصر!
قـال ابن جني: فـعـملتُ بنصيـحـة أسـتـاذي أبي علي الفـارسي فكتبتُ البيـان، وأفردت له باباً واسـعـاً في كتابي "الخصـائص" وجعلت عنوانَه: القول الممتاز في مثالب التلفاز!

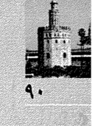
الهـوامــش:

(١) ابن جني: أبو الفـتح عثـمـان بن جني، عـالم في النحـو والتـصريف، التـحق ببلاط سـيف الدولة، ولزم المتنبي، وهـو تلمـيـذ أبي علي الفـارسي، وله كـتـاب الخصائص. ت٣٩٢هـ.
(٢) أبو علي الفـارسي: الحـسن بن علي، إمـام في النحو واللغة، له "الحجة" في القراءات و"الإيضـاح" في النحو. ت٣٧٧هـ.
(٣) الأوبيك: منظمة دولية تجمع الدول المنتجة للنفط.
(٤) قـمـة إفرست: أعلى قـمة في العـالم فـوق جـبـال الهيـمالايا يبلغ ارتفاعها نحو (٨٨٨٢) متراً نُسبت لأول من تمكّن من رسمها وتحديد موقعها وهو جورج إفـرست، وقـد صـعـد عليـهـا ثلاثة إنجليـز: تنسـينغ وهيـلاري وهونت سنة ١٩٥٣م. "تاج مـحل: ضـريح عـجيب الصنع، أنيق الهندسـة، أقامه بمدينة "آكرا" الهندية الملك "شاه جهان" ليضم رفات زوجته "ممتاز مـحل" التي توفيت سنة ١٦٣١م ليخلد حبه لها على وجه الدهر.
(٥) الهعخع: العشب.
(٦) إشـارة إلى كـتـابي أبي علي الفـارسي "الحـجـة" و"الإيضـاح".
(٧) ابن الجـهم: أبو الحـسن، شـاعـر رقـيق من أهل بغـداد، مـدح الخليـفـة العـبـاسـي المتـوكل بـالأبيـات المذكورة، وكان معاصراً لأبي تمام. ت٢٤٩هـ.
(٨) ابن فـارس: أبو الحسين أحـمد بن فـارس، إمـام في اللغة، له معجم مقاييس اللغة، والمجمل والصاحبي في فقه اللغة. من تلاميذه بديع الزمـان والصاحب بن عباد. ت ٣٩٥هـ.
(٩) علي الطنطاوي: أديب سوري مبدع وعلامة كبير، له كتب كثيرة منها رجال من التاريخ، وقصص من التاريخ، وذكريات علي الطنطاوي. ت سنة ١٩٩٩م بجدة.
(١٠) جون بيرد: جون لوجي بيرد مهندس اسكتلندي، يعد أول من أنتج صورة تلفازية ناجحة سنة ١٩٢٥م. توفي سنة ١٩٤٦م.
(١١) ثعلب: أبو العـبـاس أحـمـد بن يحـيى إمـام الكوفـيـين في النحـو واللغـة والحـديث له المجـالس والفصيح ت ٢٩١هـ. المبرد: أبو العبـاس مـحمد بن يزيد، إمـام المذهب البـصـري في النحـو واللغـة، له المقتضب في النحو، وكانت بينه وبين ثعلب مناظرات. ت٢٨٥هـ.
(١٢) ابن الرومي: هو أبو الحسن علي بن العـبـاس، شــاعـر عبـاسي متشـائم متطـير مات مسموماً ســنة ٢٨٣هـ. أصل كلمات الأبيــات: إن أنـس لا أنســ خبازاً/ يدحو الرقـاقة/ ما بين رؤيتـها في كفه كرة.
(١٣) والبـة بن الحـبـاب شـاعـر غزل مـاجن وصّـاف للشـراب، وهـو أسـتـاذ أبي نواس، هاجى بشـاراً وأبا العتاهية وغلباه. ت١٧٠هـ.
(١٤) ابن خـالويه: أبو عبدالله، الحسين بن أحمد بن خـالويه، من كبـار اللغويين والنحـاة، لزم بلاط سـيف الدولة ت ٣٧٠هـ .. الخـوارزمي: أبو بكر مـحـمد بن العباس من أئمة الكتاب وأحد الشعراء العلماء، كانت له صلة بالصاحب بن عباد، ت ٣٨٣هـ. وهو ابن أخت الطبري (محمد بن جرير). .. الصاحب بن عباد: أبو القاسم إسماعيل بن عباد، وزير أديب، كان من نوادر الدهر علماً وفضلاً وتدبيراً وجودة رأي. ت ٣٨٥هـ .. سالجوهري: إسـمـاعيل بن حمـاد إمام في اللغة، له معجم الصحـاح ت ٤٠٠هـ .. أبو نواس: الحسن بن هانئ، شاعر عباسي، له قصائد سماها "الخمريات". تزهد في آخر حياته، ت١٩٥هـ.

رحلة مع العلامة أبي بكر المعافري الأشبيلي

٤٦٨ - ٥٤٣هـ / ١٠٧٦ - ١١٤٨م

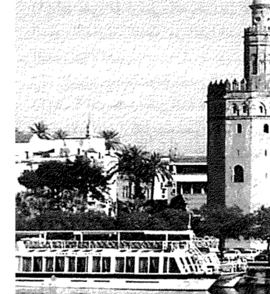
عبدالله بن حمد الحقيل - الرياض



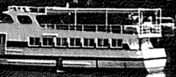
إن تاريخنا العربي الإسلامي لزاخر بفيض زاهر وآثار علمية متنوعة، وتراث ثقافي جليل يحق لنا أن نفاخر به وأن نضاهي الأمم بوجوده، فقد وهب أسلافنا "رحمهم الله" أنفسهم للعلم ووقفوا عليه حياتهم وبذلوا في خدمة العلم والمعرفة جهداً عظيماً.

ولعل من المفيد أن نرحل في عقل هذا المؤلف وفي صفحات كتبه فهو من العلماء الأعلام الذين تعددت مواهبهم وتنوعت شخصيتهم.

أبو بكر بن العربي: محمد بن عبدالله بن محمد المعافري الإشبيلي، المفسر والمحدث والمؤرخ والحافظ واللغوي.. ولد في أشبيلية سنة ٤٦٨هـ ملأ ذكره







الآفاق وأبدع في شتى العلوم والآداب مجسداً قيماً علمية متميزة، فهو صاحب فكر فذ وباع طويل في البحث والتأليف.. ضرب بسهم وافر في الإنتاج الفكري والتأليف العلمي.. أخذ يتدرج في مراتب العلم إلى أن وصل إلى أسمى الغايات، وقام في سبيل ذلك برحلات إلى عدد من البلدان.

فلقد كان لرحلته الأثر البارز في تكوين شخصيته حيث أخذ ينتقل في الأمصار ويطوف بالبلدان من أجل اللقاء بالعلماء والفقهاء والمحدثين يتلقى عنهم ويفيد من علمهم.

ثم يمم شطر بغداد وسمع بها من كبار علمائها وفقهائها، وكان ذا مقدرة فائقة في التحصيل والإدراك والاستيعاب.

حج في موسم سنة تسع وثمانين وأربع مئة حيث التقى بعلمائها وأدبائها وسمع بمكة من أبي علي الحسين بن علي الطبري وغيره من مشاهير العلماء، فدرس عندهم الفقه والأصول والحديث واتسع في الرواية وأتقن مسائل الخلاف والأصول والأحكام وكان حريصاً على نشر العلم والمعرفة.. وواصل المسيرة العلمية فأقام في الإسكندرية فترة من الزمن وعاد إلى بلده اشبيلية والتفت إلى التأليف والتصنيف وانقطع للعلم وعكف على البحث والمعرفة.. وكان يجمع إلى ذلك آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة وكرم النفس وثبات الود والصبر واستقر في موطنه يدرس العلوم وجلس للوعظ والتوجيه والإرشاد.

ويكاد يُجمع أكثر من ترجم له على الإشادة بعلمه وقدرته في التأليف ومن يتبع مسيرته العلمية يحس بدور هذا العالم وعلو مكانته ويتضح مدى ماكان يتمتع به من منزلة سامقة ومكانة عالية في ضروب العلوم وفنون الآداب.

وكتابه "أحكام القرآن" يعتبر من أهم مصنفاته التي دونت في التفسير الفقهي حيث يستعرض أكثر سور القرآن الكريم وما فيها من آيات الأحكام ويعتبر مرجعاً للتفسير الفقهي في آيات الأحكام وله تصانيف كثيرة منها:

١- كتاب المسالك في شرح موطأ مالك.
٢- القبس على موطأ مالك.
٣- عارضة الأحوذي على كتاب الترمذي.
٤- القواسم والعواصم.
٥- المحصول في أصول الفقه.
٦- سراج المريدين وسراج المهتدين.

ابن العربي واحد من مشاهير علماء المذهب المالكي



٧- كتاب المتوسط.
٨- كتاب المشكلين.
٩- تأليف في حديث أم زرع.
١٠- الناسخ والمنسوخ.
١١- القانون في تفسير القرآن.
١٢- أنوار الفجر في تفسير القرآن، قال هو نفسه عنه إنه ألفه في عشرين سنة وثمانين ألف ورقة في نحو ثمانين ألف مجلد وقد تفرقت بأيدي الناس.

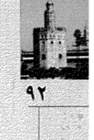
ولقد أضحى بهذه الخلفية العلمية الرائعة نسيج وحده فهو عالم ثبت وفقيه متمكن ولغوي ضليع، وهذه المؤلفات رصيد حافل تدل على شخصية فذة

وجهود بارزة نهل من فكرها وعطائها الكثيرون وانتفعوا بها، وأن أعماله ومؤلفاته ستظل منهلاً فياضاً مفيداً، والآن نسأل أين ذهبت تلك الكتب والمؤلفات وفي أي موضع طوح بها الزمان، ولقد ضربت الأيام على كثير من تلك النفائس وهدمت الصروح العلمية ومهما أحزننا فقد الكثير من آثاره، فإن مما يجلب إلينا العزاء أن هناك قدراً باقياً من تلك المصنفات والأمل كبير - إن شاء الله - في تناول العلماء والباحثين شخصية ومعالم حياته ومواقفه الإصلاحية والعلمية وإلقاء الضوء على جوانبه اللغوية والأدبية والعلمية وإثرائها لتبقى مشعلاً وهاجاً للباحثين والدارسين وتبقى في المكتبة العربية من الذخائر العلمية الحضارية مشاعل معرفة في أوطان شتى من الأرض لما تستحق من عناية واهتمام ويتعطش لها الوسط العلمي.

لقد اعتبره مؤرخو الأندلس أحد أركان ثقافتها وعلمائها وحفاظها، وكان أديباً بارعاً فاضلاً مطلعاً على أقسام الكلام من النظم والنثر وراوياً لوثائقها، بارعاً في العربية وضروبها.

وهذا يدل على اتساع ثقافته التي اكتسبها من بيئته الثقافية في الأندلس، ومن تطوافه بحواضر العالم الإسلامي فهو يحتل مكانة متميزة في تراثنا العربي الإسلامي.

وكان حفياً باللغة العربية وحريصاً عليها، وكانت لديه الملكات والاستعدادات اللغوية مما جعله عالماً بها، بل ونحوياً من أساتذة النحو، وقد وضعه المؤرخون للحركة الأدبية في الأندلس في منظومة اللغويين، وأخذ على كاهله تدريس اللغة العربية لأدباء الأندلس، وكانت مجالسه الأدبية تحفل بالأشعار والأخبار الأدبية وعلوم النحو والصرف والبلاغة، واستعرض في دروسه أساتذة النحو وأئمة البيان من أمثال: سيبويه والخليل بن أحمد ويونس بن حبيب، ومدرسة الكوفة والبصرة والكسائي والأخفش والفراء والأصمعي، وكتب



كان موسوعياً، متمكناً ثبتاً

★★★★★★

سيبويه والكسائي وغير ذلك من الكتب والأبحاث النحوية، وفي عصره بلغت الدراسات اللغوية مستوى رفيعاً ونشطت حركة التأليف في هذا الميدان وصدرت له كتب لغوية مثل "ملجئة المتفقهين إلى معرفة غوامض النحويين واللغويين".

وتعرض لأمور لغوية ومسائل نحوية في كتابه: "أحكام القرآن"، وكذلك شرح غريب الرسالة حيث شرح فيها المفردات والألفاظ التي وردت في رسالة أبي زيد القيرواني كما ذكر له حاجي خليفة والمقري في نفح الطيب رسائل في مسائل النحو وقضايا اللغة، ولقد تتلمذ عليه عدد من العلماء والأدباء واللغويين، حيث ورد في كتب الطبقات أن عدداً من علماء اللغة والأدب قد أخذ عنه مسائل النحو وعلوم اللغة العربية.. لقد كان علماً من أعلام الأندلس في حقول علمية متعددة أوردها من كتبوا عنه وترجموا له، وكانت له آراء وأفكار ذات دلالة ومضمون، وفي مستوى علماء اللغة في عصره، ولقد أسهب الرواة في هذا الجانب وفي الحديث عن عمقه اللغوي والأدبي، وقالوا أنه درس كتاب سيبويه في الأندلس قبل أن يذهب إلى المشرق، وفي بغداد اهتم بآثار مدرسة الكوفة والبصرة، وما كان يحدث بينهما من خلال، واهتم بمؤلفات علماء اللغة في بغداد والبصرة كابن جني والشجري وابن فارس، وله آراء نحوية في مسائل كثيرة ونراه يرجح آراء سيبويه في بعض المسائل وينتقده بعض الأحيان، ولا أريد أن أطيل في الحديث وإيراد آرائه وهي مبسوطة في كتب الدراسات اللغوية في الأندلس.

حقاً لقد ارتفع بمستوى اللغة العربية وإحياء تراثها الفكري ومقوماتها التاريخية وفاض شعره بالغزل والوصف والشوق للأماكن والبقاع الأندلسية، فكان تصويراً دقيقاً بليغاً، ووصفاً صادقاً.. وامتاز شعره بجزالة اللفظ ومتانة الأسلوب وبراعة



التصوير، وحفل بالمعطيات اللغوية السامية، وابتعد عن الضعف والركاكة، وأعرض عن الأغراض الشعرية التافهة، ووظف اللغة والأدب في أمور علمية كثيرة، وترك آثاراً واضحة وثروة أدبية ولغوية تشكل امتداداً فكرياً ذا خصائص وسمات أدبية متميزة لا تغيب على من احتك بتراثه ووقف على عطائه الفكري والمتمثل في أسلوبه العميق خلال مناظراته للعلماء ولأستاذه الغزالي حيث يتجلى الأسلوب البلاغي الرصين والبراعة اللغوية والمهارة الأدبية والإبداع الفكري، وله رسائل لغوية وأدبية منها: الرد على ابن السيد البطليوسي، حيث نقد شرحه لديوان المعري "لزوم مالايلزم"، وهذه الرسالة كغيرها من رسائله الأدبية واللغوية المفقودة، وقد أشار لها صاحب الفهرست، وكما ورد ذكر رسالته شرح غريب الرسالة التي شرح فيها المفردات التي جاءت في رسالة أبي زيد القيرواني، وقد نسبها إليه صاحب كتاب "نفح الطيب للمقري" كما أن ديوانه الشعري تتجسد فيه

رحل إلى العلماء مشرقاً ومغرباً أخذ عنهم وجالسهم

★★★★★★

الرؤية الفكرية الحافلة بروائع القصائد والأشعار والحكم البالغة، وكانت مجالسه ممتعة بالعلم والأدب وصدق الحس والأصالة وحسن التذوق لهما مما يدل على مقدرة أدبية واطلاع واسع، والواقع أن البحث عن ابن العربي في كل جوانب حياته العلمية والأدبية يتطلب الإطالة بدرجة كبيرة، وحسبنا أن نعتمد في ذلك على التلميح دون التصريح، والخلاصة أنه أدى رسالته في الحياة على أكمل وجه، ورحل مخلفاً إنتاجاً علمياً ثراً مما جعله من مفاخر الثقافة الإسلامية، ومن أشهر علمائها، وتوفي في مراكش سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، وحمل إلى مدينة "فاس" ودفن فيها، رحمه الله وأكرم مثواه.

عزف منفرد

د. إخلاص فخري عمارة - مصر

كنا زميلين في الجامعة، وبعد سنوات من التخرج تقابلنا صدفة فسألني.. كنت شاعرة، هل مازلت تكتبين؟ وصغت سؤاله وإجابتي عليه في الأبيات التالية:



قــد كنت شــاعــرة فــهل أبقــيت في القــيــثــار لحنا

أســمــعــتِنا عــذب الغناء وأرفع الأشــعــار مــعنى

وســمــوت بالكلمــات فــاتخــذت من النجــمــات سكنى

مــا كــان شــعــرك صنعــة.. مــا كــان قــافــيــة ووزنا

بل صــيغ من ذوب الشــعــور، وخــفــقــة القلب المعنَّى

ورؤى خــيــال مــشــرق ترقى النفــوس به وتغنى

★★★★★★

ضــمــخت حـرفك بالعــبــيــر.. نشـرته ضـوءاً وســحــراً

فــإذا تغنيت الجــمــال على السطور.. نشــرت درا

وعـــزفت ألحـــان الهـــيـــام.. فكلنا بالحب يغــرى

تتــحـــدثين عن الهناء.. فــتـــملئين الكون بشـــراً

وتصــورين لنا الشــقــاء فــتــفــعــمين القلب مــرا

ياروعــة الصــدق الصــدوق.. إذا غــدا فناً وشــعــرا

★★★★★★

واليـــوم مـــالك تصـــمـــتين وتمسكين عن الغناء

هل جف نبع الشـــعـــر؟ هل كـــفت يداه عن العطاء

أم شــاخ في القلب الحنين، خــلا الشــعــور من الصــفــاء

هل كــان شــعــرك جــمــرة.. صــارت لبــرد وانطفــاء؟

أو كـــان تسليـــة ولهـــواً.. مـــثل تطريز الرداء؟

أبدلتــه فناً جــديداً.. حـــسب توجــيـــه الذكـــاء؟

★★★★★★

لا ياصـــديقي.. مــا صــمت ولا كــفــفت عن الغناء

مــازال نبع الشــعــر فــيــاضــاً ويتــرع بالســخــاء

لكن لحني قــد كـــســاه الحـــزن.. غُلف بالبكاء

لما رأيت جــمــيع أحــلامي غــدت.. بعض الهــبــاء

فــسرى الأسى في أحـرفي، ومــلأت شــعــري بالشــقــاء

أمـــتـــاح من قلب حـــزين كـــيف.. أشـــدو للهناء؟

******

كــيف الغناء؟ عــروبتي صـــارت أســاطيــراً قــديمة

ومــفــاخــري صــارت مــخــازي.. وانتــصــاراتي هزيمة

والشــعب من شط المحـيط إلى الخليج، غــدا وليــمــه

"فــالأمــريكان" بغــربه، قــالوا جَنَتْ "ليــبــيــا" جــريمه

وهمــــو بشط خليــجنا صـــادوا لآلئـــه الكريمه

وبشــرقــه.. وجــد الصــهــاينة اللئام لهم غنيــمــه

******

كــيف الغناء؟.. وقــدسنا داســتــه أقــدام العــفن

هــذي فـــتـــاة في الخليل تمزقت بيـــد المحن

لعـــبت بهــا ريح الشــتــاء.. ونار أعــداء الوطن

والأب مـــسلوب الحــيــاة.. على الطريق بلا كـــفن

طلبت صـــغــيــرته الطعــام.. وعــمــره بعض الثــمن

فــأوامــر الســجــان كــانت.. لا خــروج من السكن

******

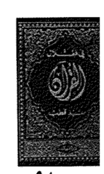
أنات سكان الخيام تمد شعري بالنغم
ودموع أرملة وأيتام.. مداد للقلم
وجراح طعن الغدر ليلاً في الظلام من ابن عم
لبنان صار خرابة وحرائقاً مُزجتْ بدم
وعراقنا.. جوع وإذلال وصرخات الألم

******

لا أستطيع تنكراً للصدق، أو تزييف شعري
لا أستطيع تكلفاً للفرح.. لا يحيا بصدري
لا أستطيع العزف إن لم تحتوِ الألحان فكري
طال العناء وطال حزني، والأسى قد فل صبري
إن لم أذق طعم الهناء، فكيف أمنحه لغيري
وإذا عُذرت بمرة، فإلى متى ترضون عذري؟

******

وحدي عزفت ولي شدوت وكنتُ ناظمة النشيد
وأنا الذي يصغى ويعجب سائلاً هل من مزيد؟
ولربما شَعَرَ الملال.. فكف عن عزف جديد
أهملت في الأدراج أوراقي.. وملت إلى الجمود
وزعمت: كانت نزوة، ذهبت مع الماضي البعيد
أنا قد برئت من الغناء.. من الكتابة والقصيد



سيد قطب



أ.د. محمد رجب بيومي
عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - مصر

كان نتاج الشهيد سيد قطب رحمه الله إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية أدبياً خالصاً فهو يعالج شئون الشعر والنقد الأدبي بجسارة فائقة، وكان الأستاذ عباس محمود العقاد مثله الأعلى في اتجاهه الأدبي إذ ألمّ بآثاره المتنوعة إلمام الدارس المتعمق، وقام بكتابة عدة مقالات عن نتاجه الفكري رفعه فيها إلى ما يستحقه من توقير وإكبار، لأن الكاتب العملاق كان ذا اتجاهات فريدة في ميدانه الفكري الرحيب، وقد أدّى إخلاصه الجم لمذهب العقاد إلى أن يقف مع خصومه وقفات ضارية.

فشنّ حملات قاسية على الكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعي وقسا في تناول أدب الرافعي قسوة مفرطة، ما كان له أن ينتحيها، ومعركته بالرسالة عقب رحيل الرافعي إلى جوار ربه من أعنف المعارك، إذ أنه لم يتناول سيرة الرافعي وأدبه بالتي هي أحسن، بل كاد أن يكون متجنّياً، فدفع ذلك فريقاً من أنصار الرافعي إلى مهاجمته بمثل ما صنع، وقد وجِّه النقد إلى مجلة الرسالة من طائفة كبيرة من القراء، حيث سمحت للأستاذ سيد قطب بهذا التجني، وقد ردَّ الأستاذ الزيات صاحب المجلة بأن صحيفته سجلٌ أمين للاتجاهات الأدبية المختلفة في العالم العربي، وأنّه -الزيات - رافعيّ الهوى، وقد كان الرافعي شريكه في نهضة مجلته، وذيوعها هذا الذيوع الحميد، ولكن النقد لا يهدم بناءه الأدبي بل يعبّر عن اتجاهات متقابلة يتم بها التلاقح الفكري المفيد.

نقلة فجائية

ومن منطلق الأدب وحده، اتجه الأستاذ سيد قطب إلى دراسة التصوير الفني للقرآن، ثم ألف عن مشاهد القيامة في القرآن، فانكشفت له معاني الذكر الخالد عن رسالة إنسانية رفيعة هي سبيل النهوض في الحياة شرقاً وغرباً، وشيئاً فشيئاً ودّع الأستاذ سيد قطب دنيا النقد الأدبي، واتجه إلى الفكر الإسلامي شارحاً وموجها، وأعداء الإسلام أكثر من أن يُحصوا، فتناولوه بالنقد، وله قلمه الباتر، وسلاحه الذي لا يفلّ، فواجه الطوفان بإعصار يفوقه قوة وعصفا،وأصبح من معالم الفكر الإسلامي الرفيع.

وحين كتب مؤلفه الرائع عن العدالة الاجتماعية في الإسلام، تعرّض إلى من شوهوا تعاليم الإسلام من الخلفاء الأمويين، وكتب ما سجّله التاريخ الصادق عن انتقال الخلافة إلى الملك ثم عن اصطفاء الأقارب والأصهار، واصطناع المخالفين بالرّشى والمناصب والأموال كي يكونوا أعواناً لغير المنحى الإسلامي في المساواة والحرية والإخاء، وما كتبه الأستاذ قطب في هذا المضمار واقع ملموس، ولكن ارتفاع نبرته الناقدة، قد دفع كثيراً من الناقدين إلى مهاجمته، وأبرز من تصدى لكتاب العدالة الاجتماعية في الإسلام هو الكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ محمود محمد شاكر، وهذا من أعجب المفارقات! إذ نشر الأستاذ شاكر عدة مقالات ترمي الأستاذ سيد قطب بالهوى والغرض،



سيد قطب بدأ أديباً وانتهى باحثاً في الدراسات الإسلامية

★★★★★★

وتصمه بالسطحية والتسرع والشطط ولم يشأ الأستاذ سيد قطب أن يرد، لأنه - كما قال - لم يجد رائحة الإخلاص للحقيقة فيما كتب الأستاذ شاكر، ولكني وكنت حديث التخرج من الكلية رأيت أن أدلي بدلوي في الدلاء، لأن للحق أنصاره المخلصين، فكتبتُ مقالا هادئاً بمجلة الرسالة العدد (٩٧٣) ١٩٥٢/٢/٢٥م قلت في مطلعه "للأستاذ محمود محمد شاكر منزلة كبيرة لدي فأنا أعهده كاتبا قوي الأسلوب، رصين العبارة، وأعرفه أبيّاً مخلصاً يتدفق غيرة على الإسلام، وتعصباً لأفذاذه الأبطال، لذلك أُقبل على قراءة ما يدبجه يراعة المؤمن في شوق واهتمام، وقد طالعت ما كتبه بمجلة (المسلمون) تحت عنوان (لا تسبوا أصحابي) فوجدت المجال

واسعاً للخلاف بيني وبينه ولم أشأ أن أطويَ ما دار بخلدي عن القراء، فرأيتُ أن أناقش الكاتب الكبير فيما سطره راجياً أن يحق الله الحق بكلمته، فهو وحده هدف الكرام الكاتبين وفي طليعتهم الأستاذ الجليل".

ثم عرضتُ ما تهجم به الأستاذ شاكر عرضاً محايداً، وختمتُ حديثي بتحيته وتقديره، وكان المنتظر أن يترفق الأستاذ شاكر بمن يكْبر أدبه، ويعدّه مخلصاً يتدفق غيرةً على الإسلام، ولكن الرجل لطبيعة خاصة به، قد اندفع في هجوم ناري ثائر لا مبرر له فكتب تحت عنوان "ذو العقل يشقى" مقالاً رماني فيه بالجهل ودعاني إلى أن أطرح عبء القلم لأنه ثقيل على أمثالي، وذهب في هذا الاتجاه مذهب من يتجاهل حقوق المناقشة وأدب النقد، وعاود الهجوم على الأستاذ سيد قطب بمثل ما بدأ، ولم أشأ أن أسكت فكتبت مقالاً متواضعاً تحت عنوان (أجل، ذو العقل يشقى) وصارحت الرجل بأنه غير موضوعي، وأنه لم يمسّ حقيقة من الحقائق التاريخية التي أشرت إليها بأدنى نقد، وأنه اندفع في سباب أضن على نفسي بمجاراته فيه حفظاً لمكانتي، ورددت بعض الحقائق التاريخية الملموسة التي فر الأستاذ من مناقشتها، ثم فوجئت بالأستاذ شاكر يكتب مقالاً ذا وجهين تحت عنوان (اعتذر إليك) يعلن فيه انسحابه، ورجوعه عن النقاش معي!

(دور الأستاذ سيد قطب)

وحين انتهت المعركة على هذا الوجه السريع، رأى الأستاذ سيد قطب أن ينشر على صفحات الرسالة خطاباً تحت عنوان إلى أخي الأستاذ رجب البيومي، قال فيه (العدد / ٩٧٧) ١٩٥٢/٣/٢٤م:

"السلام عليكم ورحمة الله وبعد، فإني لم أشأ أن أدخل بينك وبين الأستاذ شاكر فيما شجر بينكما من خلاف، حتى ينتهي إلى غايته كما انتهى، ذلك أنّي كنت حريصاً على أن أدعك ورأيك وألا أبدأ تعارفي بك في زحمة الجدل، وإن ظن أخونا شاكر أن بيننا صحبة وثيقة هي التي تدفعك إلى رد تهجمه أو تقحمه، حتى لقد أنذرنا معاً عداوة يوم القيامة {الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو} لأن مألوف الناس قد جرى في هذا الزمن الصغير، على أن الحق وحده، أو الرأي وحده، لا يكفي لأن يدفع كاتباً فيكتب، دون هوى من صداقة أو علاقة، ولو كانت بيننا معرفة سابقة ولو استشرتني قبل أن تدخل مع صاحبنا في جدل حول ما أثاره من صخب، وما نفضه من غبار، لأشرت عليك ألا تتدخل، ولآثرت لك ما آثرته لنفسي من إغضاء وإغفال، لأني لم أستشعر في هذا الصخب أثراً

كان جدلاً، قويَّ الحجة، ناصع البيان

★★★★★★

من صفاء النية ولا رغبة في تجلية الحقيقة"، إلى آخر ما ذكر الشهيد في خطاب طويل، وقد سرني ما كتب الأستاذ قطب، لأنه أكد الحقائق التي أدافع عنها، ولم أكن أعرف عنوانه لأكاتبه، فآثرت السكوت.

(مع ناقد آخر)

وبعد فترة محدودة تعرض كتاب العدالة الاجتماعية في الإسلام لنقد ظالم، كتبه الدكتور عز الدين إسماعيل، وهو الآن ناقد لامع ذو آراء صائبة، وقد قرأتُ ما كتبَ عن هذا المؤلَّف الممتاز، فشاهدت شططاً ملموساً، لأن الناقد الفاضل جاوز *الكتاب إلى الكاتب*، فقال عنه "ويجدر بي قبل أن أطوف في أرجاء الكتاب بالقارئ أن أنبهه إلى خدعة كبّاره، وهالة باطلة نسجها الامحال في وقت من الأوقات حول شخصية المؤلف فأخذ مكانه بين الرعيل الثاني من المفكرين في مصر الحديثة، فإن أظهر ما تتسم به مؤلفات الأستاذ سيد قطب هو الضحالة الصحافية، وصياغة أفكار الآخرين من جديد".

هذا ما قاله الأستاذ عز الدين إسماعيل، وهو مردود غير مقبول، لأن كتَاب العدالة- أولاً- لم يظهر في وقت ممحل جديب، بل ظهر ليزاحم مؤلفات إسلامية رائعة كتبها أمثال الرافعي وفريد وجدي وعباس محمود العقاد ومحمد الغزالي وعبدالحليم الجندي ومن لا أستطيع حصر أسمائهم من ذوي الاتجاه الإسلامي البصير، فكيف يظهر كتاب العدالة في وقت جديب مع وجود عشرات من أمثال هؤلاء وتلامذتهم، فإذا كان الدكتور عز الدين لا يقصد ظهور الكتاب نفسه بل يقصد ظهور سيد قطب من قبل في مضمار الأدب، فتلك هي المغالطة السافرة لأن السيد قطب قد ظهر في أوائل الثلاثينيات وكتب في أشهر المجلات الأدبية كتابة ناقدة هادفة جوار ما كان يكتبه زعماء النقد والأدب كالمازني والعقاد وهيكل وشكرى وطه حسين وأحمد أمين، أفيكون هذا الوقت جديبا ممحلا، وأي وقت جاء بعده ليعلوه، إننا الآن نعيش في فراغ تام، وقد كان سيد قطب في الرعيل الثاني وهو شاب! أما بعد اكتهاله فهو الرعيل الأول وهذا ما عز على الناقد أن يراه رأي العين.

لقد شغل النقد ثلاث صفحات من مجلة الرسالة، وطالعه الأستاذ سيد قطب دون أن أراسله عنه، لأن

الأستاذ عباس خضر قابلني بعد شهور من نشره، فأخبرني أن الأستاذ سيد قطب تحدث معه عما كتبت، وهو يحب أن يراني.

(في مدينة أبي تيج)

عملت مدرساً بمدرسة أبي تيج الثانوية بالصعيد أمداً غير يسير، وقد فوجئت بمن قال لي ذات صباح إن الأستاذ سيد قطب سيحضر مع جماعة من زعماء الإخوان إلى المدينة هذا المساء، وسيقام سرادق لاستماع ما يقوله الوفد الزائر، وعليَّ أن أهيء كلمة الاستقبال، وكان القائل صديقاً أثيرا لا أستطيع مخالفته هو الحاج هاشم محمد خليل رحمه الله، فأذعنتُ راضيا، وقمت بما أراد، فانتبه الأستاذ قطب لوجودي، ووقف محييا، وقال لي: إنه لا ينام أكثر الليل، وعليّ أن أتحامل على نفسي هذه الليلة لأسمر معه! وهي رغبة صادفت فرحا وابتهاجاً في نفسي، فانتظرت سعيداً حتى انقضى الحفل، وذهبنا إلى منزل الحاج هاشم، ونام الزائرون، وتيقظ الشهيد رحمه الله، ليمتد معي حديثه العذب إلى أمد طويل.

(من نثار الحديث)

قلت للشهيد، إن عهدي بك أيام انهماكك في مسائل الأدب والنقد ألاّ تهمل رداً يوجه إليك، ولكنك منذ شرعت في بحوثك الإسلامية الرائعة لا تهتم بمن عارضوك، بل تصدر الكتاب إثر الكتاب دون اعتبار لما ووجهت به من مآخذ!

فضحك السيد قطب، وقال: هذا ما قاله غيرك، مما يدل على الإحساس المشترك بين القارئين، وأحب أن أقول إن أعداء التيار الإسلامي الذين يواجهون المكتبة الإسلامية ليسوا طلابَ حقيقة، فيرجعون إلى الصواب دون تردد متى لاحت لهم دلائله، ولكنهم فيما عرفتُ من تيارهم الملح ينفذون خططا مرسومة لا محيد عنها، والاشتغال بهؤلاء تعويق في مسيرة الفكرة الإنسانية، وقد علمتني التجربة أن هؤلاء لا يقتنعون بغير ما حفظوه من ساداتهم، ولهم قدرة عجيبة في تكرار ما يقولون صباح مساء دون ما سأم، وقد اعتقدوا أن تكرار القول دليل صحته، لذلك تجد لهم عبارات لا يرجعون عنها، وهم يحاولون تثبيتها حتّى تصبح من قبيل المسلمات، فمناقشة

******

إحقاقا للحق وإظهاراً له رددت عنه، ما سكت هو عن الرّد عليه

كتاباته الإسلامية جاءت فتحاً في مضمونها وأسلوبها..

******

هؤلاء عبث ضائع، أما الأدب فلا خطر من الاختلاف في قضاياه لأنها لا تثبت على وجه واحد، فقد ترسخ قاعدة أدبية مدى جيل أو جيلين، ثم يدركها التصحيح، لأمور تحدث ولا خير في هذا لذلك كنت أخوض المعارك الأدبية دون حذر، لأنها في النهاية مجرد آراء تجيء وتذهب!.

قلت وما دمنا نتحدث عن المعارك الأدبية، فإني عرفتك تلميذاً نابهاً في مدرسة العقاد إن لم تكن تلميذه الأول، وقد اتجه إلى الإسلاميات من قبلك، فهل كان اتجاهك الإسلامي من وحيه!

فنظر الأستاذ كمن يدهش لاستماع ما لا يتوقع! وقال: كل الناس يعلمون تأثري بالعقاد أدبياً، أما الفكرة الإسلامية فذات جذور عميقة تمتد في نفسي منذ حفظت القرآن في مكتب قريتي المتواضعة بالصعيد، وبمناسبة الحديث عن العقاد، فأنا قد انصرفت تماماً عن تحليل مؤلفاته، لتجربة مريرة مرّت بي وتجرعتها في ألم.

قلت: أيسعنى أن استمع إلى تصريح أوفى؟ فقال الأستاذ، ظللت أكثر من خمسة عشر عاماً أحلل كتب النبهاء من كتاب العصر، فلم أترك كاتباً أو شاعراً في الصفوف الأولى دون أن أحلل بعض آثاره، أما العقاد فقد تتبعت كل ما كتب ودافعت عن مذهبه الفني بما هو معروف مشتهر، ثم جاء دوري في نشر مؤلفاتي الأدبية، وكنت أنتظر من هؤلاء الذين سهرت في تحليل كتبهم أن يقولوا شيئاً فيما أنشر، نقدا أو تقريظا لأجد صدى لما أقول، ولكنهم باستثناء واحد فقط قد أصموا آذانهم، أما العقاد الذي خصصته بكل اهتمامي، فلم يكتب حرفاً واحداً عن مؤلفاتي! وقد رجعت عن بعض ما سطرته من شعره لظهور أقيسة جديدة بدت صحتها لديّ، فجاهرت بما أعتقد، ولم أر منه ما يدل على موافقة أو مخالفة؟ أيكون الصمت جزائي!

وانتقل الحديث إلى منهج الأستاذ في تفسير الظلال فأفاض فيما دفعه إلى ارتياد هذا الأفق الوضيء، وهو في مجموعه لا يخرج عما دونه الشهيد في مقدمة الظلال، وكانت ليلةً رائعة ممتازة، لم أسعد بغيرها مع الكاتب الشجاع حتى انتقل إلى رحمة الله شهيد الحق والإسلام.

قصيدة: بِطَيْبَةَ رسمٌ للرسول ومَعْهَدُ...

الشاعر: حسان بن ثابت

محمد عبدالواحد حجازي - مصر

جاء القرآن الكريم بالحق؛ قال تعالى: ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾..

والحق نذير؛ قال تعالى: ﴿تبارك الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾..

والحق نور؛ قال تعالى: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾..

حسان بن ثابت هو شاعر الأنصار في الجاهلية وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة

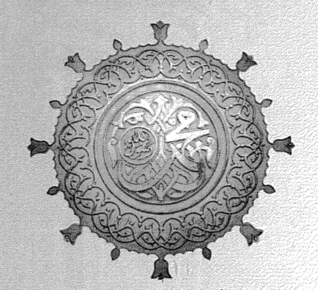
هكذا القرآن الكريم الذي أوحى به الله سبحانه إلى رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.. وكان أمراً طبيعياً أن تقوم قائمة الشرك ليدافع عن وجوده وكيانه.. وخاض النبي صلى الله عليه وسلم ومعه الذين هداهم الله إلى الإسلام ليدافعوا عن إيمانهم.. ليدافعوا عن إسلامهم.. أجل، ليدافعوا عن كلمة التوحيد. وكان من الأسلحة التي وجهها الكافرون والمشركون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.. سلاح الكلمة.. والكلمة هنا هي الشعر. فكان عليه صلى الله عليه وسلم أن يرد على افتراءاتهم وبهتانهم.. فكان حسان بن ثابت من الشعراء الذين دافعوا عن الإسلام وردوا كيد الكافرين إلى نحورهم..

فمن هو حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم؟

جد حسان رضي الله عنه هو المنذر بن حرام من بني تميم الله بن ثعلبة من الخزرج، وأمه الفُريعةُ بنت خالد بن قيس بن لوذان.. وكان حسان في شبيبته وقبل الإسلام يتجول في البلاد ويمدح ملوك لخم وغسان بالحيرة ودمشق طلبا للغنى والثراء.. ولقد كان حسان بن ثابت هو شاعر الأنصار في الجاهلية وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام.

وتذكر كتب السيرة أن كان هناك ثلاثة من قريش يهجون النبي هم: عبدالله بن الزِّبَعْري، وأبو سفيان بن الحرث بن عبدالمطلب، وعمرو بن العاص..

فقال قائل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أُهْجُ لنا القوم الذين هَجَوْنَا، فقال عليٌّ: إن أَذِن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلت.. فقال رجل: يا رسول الله أتأذن لعلي أن يهجو عنا القوم الذين قد هجونا. فقال: ليس هناك.. ثم قال للأنصار: ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان بن ثابت: أنا لها. وأخذ بطرف لسانه وقال:

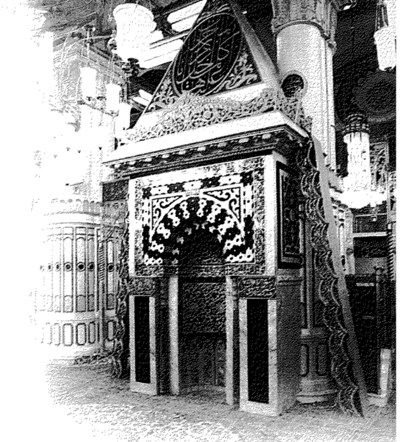


والله ما يَسُرُّني به مِقْولٌ بين بُصرى وصنعاء. فقال: كيف تهجوهم وأنا منهم؟ فقال: إني أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين. فكان يهجو قريش ثلاثة من الأنصار: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبدالله بن رواحة.. وكان حسان وكعب يعارضانهم بالوقائع والأيام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب.. وكان عبدالله بن رواحة يعيرهم بالكفر.. فكان في ذلك أشد القول عليهم قول حسان، وكعب، وأهون قول عليهم قول ابن رواحة.

وكان حسان بن ثابت من كبار الشعراء بغير شك ونسوق هنا أمثلة متنوعة من شعره فقد طرق الكثير من أغراضه وأجاد فيها. وكان في شعره لمحات من شعر الغزل وكانت في سذاجتها تحمل الطبيعة الجاهلية في فطرتها ورموزها التي تعبر عن حبها وعشقها، فها هو ذا يخاطب نفسه فيقول:

أهاجكَ بالبيداء رسمُ المنازل
نعم، قد عفاها كُلُّ أسحم هاطل
وجرَّت عليها الرَّامسات ذيولُها
فلم يبق منها غير أشعثَ مائل
ديارُ التي راق الفؤاد دلالها
وعزٌّ علينا أن تجود بنائل
لها عين كحلاء المدامع مُطفل
تُراعي نعاما يرتعي بالخمائل

وإذا كان قلب حسان بن ثابت عامراً بالحب: حب المال وحب الجمال وحب الفضيلة فقد كان حبه



الأكبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ملك حبه عليه حسه وشعوره واطمئنانه فكان أخشى ما يخشاه أن يوجه إليه رسول الله كلمة لوم أو أن يؤاخذه من أجل شيء. وذلك ما أحس به في يوم من الأيام فأرقه السهد وعذبه الهم فقال:

منع الرقاد بلابلٌ وهمومُ
والليل معتلجُ الرِّواق بهيمُ
مما أتاني أن أحمد لامني
فيه فبت كأنني محموم
يا خير من حملتْ على أوصالها
عَيْرانة سُرُح اليدين غشوم
إني لمعتذر إليك مِن التي
أسديتَ إذ أنا في الضلال أهيم
فاليومَ آمن بالنبي محمد
قلبي ومُخطئٌ هذه محرومُ

ولقد بلغ حسان بن ثابت الغاية في مدح جمال النبي صلى الله عليه وسلم حتى صار ذلك المدح قيما أخلاقية بل قيما مثالية في جماله عليه السلام، فقد قال:

وأحسن منك لم تَرَقَطُّ عيني
وأجمل منك لم تلد النساءُ
خُلقتَ مُبرءاً من كل عيبٍ
كأنك قد خُلقت كما تشاءُ

وهنا نصل إلى الغاية التي مهدنا لها بذلك التمهيد.. نصل إلى قصيدة: "بطيبة رسم للرسول ومعهد.." فمع القصيدة أولاً:

بطيبة رسم للرسول ومعهد
منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تنمحي الآيات من دار حرمة
بها منبر الهادي الذي كان يصعدُ
وواضح آيات وباقي معالم
وربع له فيه مصلى ومسجد
بها حجراتٌ كان ينزل وسْطَهَا
من الله نور يُستضاءُ ويوقد
معالم لم تُطمس على العهد أيها
أتاها البِلى فالآيُ منها تَجَدَّدُ
عرفتُ بها رسم الرسول وعهدَه
وقبراً به واراه في التُّربِ مُلحدُ
ظللتُ بها أبكى الرسولَ فأسعدتْ
عيون ومثلاها من الجفن تسعد
تذكَّر آلاء الرسول وما أرى
لها مُحصيا نفسي فنفسي تبلد
مفجعة قد شفها فقدُ أحمد
فظلت لآلاء الرسول تُعدد
وما بلغت من كل أمرٍ عشيره
ولكن نفسي بعض ما فيه تحمدُ
أطالت وقوفاً تذرفُ العين جُهدها
على طلل القبر الذي فيه أحمد
فبوركتَ يا قبر الرسول وبوركتْ
بلاد ثوى فيها الرشيد المسدَّدُ
وبورك لحدٌ منك ضُمِّنَ طيبا
عليه بناء من صفيح منضَّدُ
تهيل عليه الترب أيد وأعينٌ
عليه وقد غارت بذلك أسعُدُ
لقد غَيَّبُوا حلِما وعلما ورحمةً
عَشيَّة عَلَّوة الثَّرى لا يُوَسَّدُ
وراحُوا بحزنٍ ليس فيهم نبيُّهُم
وقد وهَنَتْ منهم ظهور وأعضد

يكون من تبكي السموات يومَه
ومن قد بكته الأرض فالناس أكمدُ

تقول المقطوعة الأولى من القصيدة

بطيبة رسمٌ للرسول ومعهد
منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تنمحي الآيات من دار حرمة
بها منبر الهادي الذي كان يصعدُ
وواضحُ آيات وباقي معالم
وربع له فيه مُصلًّى ومسجد

أنشأ حسان بن ثابت رضي الله عنه هذه القصيدة في رثاء النبي صلى الله عليه وسلم. ومن ثم فإنه لأمر بديهي أن يكون الشاعر قد شاهد الرسول صلى الله عليه وسلم وسعد بصحبته والحديث معه كما سعد بعطفه عليه وبره به.. وإنه لأمر بديهي أيضاً أن يكون الشاعر قد شاهد ما يؤمه الرسول من معاهد المدينة المنورة ومعالمها وأنحائها التي سعدت بخطاه فكأن قصيدتنا هذه تصوير واقعي محسوس وملموس لمعالم النبوة الشريفة.فالشاعر ليس يرثى على التصوير والتخيل فكأنه يقربنا نحن إلى معالم النبوة الشريفة فكأننا نشهدها بأعيننا ونلمسها بأيدينا ونعيها بأفئدتنا. ففي البيت الأول يقول الشاعر:

بطيبة رسم للرسول ومعهدٌ
منير وقد تعفو الرسومُ وتهمد

وطيبة هنا هي المدينة المنورة، وقد سماها رسول الله باسم طيبة بدل يثرب لأن الثَّرب فساد. وإن في تسمية الشاعر المدينة المنورة باسم طيبة ليجسد الخير والرضوان والرحمة التي نعمت بها المدينة فالاختيار هنا موفق غاية التوفيق كما أنه يحمل دلائل حب الشاعر للرسول صلى الله عليه وسلم.. فماذا شاهد الشاعر في طيبة أو المدينة المنورة؟

لقد شاهد رسما للرسول ومعهداً منيراً.. إذن فلم تتبدد الرسوم ولم يندرس البيت الذي كان منيراً برسول الله صلى الله عليه وسلم وتلك نفحة نبوية مباركة.. ويأتي البيت الثاني فيقول:

ولا تنمحي الآيات من دار حُرمة
بها منبر الهادي الذي كان يصعدُ

وهذا البيت يسجل المقدسات التي تركها رسول الله فداره لا تزال قائمة بآياتها التي ليست كآيات درست وذهب ريحها ولكنها آيات خالدات يعمر بها الوجود كله.. إنها آيات القرآن الكريم التي تُليت فيها ورتلت، وإنها آيات الأحاديث الشريفة التي جرت بينه صلوات الله عليه وبين من حوله من صحابته وأنصاره. وفضلاً عن تلك الآيات البينات فلن يُمحى من داره عليه السلام منبره الذي كان يُشرف بصعوده ليلقي منه آيات الهداية الربانية.. ثم يشهدنا الشاعر معالم نبوية أخرى فيقول في البيت الثالث:

وواضح آيات وباقي معالم
وَرَبْعٌ له فيه مصلى ومسجد

إن المدينة المنورة أو طيبة التي شَرفت بإقامة رسول الله بها كانت تزدان بحجرات ليست كسائر الحجرات، أجل، بها حجرات كان ينزل وسطها من الله نور يستضاء به ويوقد.. ولقد شرفت هذه الحجرات وتسامت على غيرها بالإجلال والتقديس بفضل آيات القرآن الكريم التي كانت تنزل على رسول الله. وكانت تلك الآيات البينات هي النور الذي يستضاء به فيعرف المسلمون طريقهم ويهتدوا بها في شؤون حياتهم.
كما كانت الآيات البينات هي النار التي توقد فتكون إزكاء لإرادة الجهاد والنضال، وإزكاء لحمية البناء والإعمار. وفي هذا يقول الشاعر:

بها حجراتٌ كان ينزل وَسْطها
من الله نور يستضاء ويوقد

وهنا يقول الشاعر بما يصور حركة الخلود الدائم المتجدد في آياته ومعالمه:

معالم لم تُطمس على العهد آيها
أتاها البِلى فالآي منها تجدد

فلفظه "معالم" هنا تعني الآثار التي خلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وتأتي جملة "لم تُطمس" لا لتؤكد البقاء فحسب بل ليظهر بقاءها من بهائها ورونقها.. وتأتي جملة: "على العهد" لتقول: إن المطر مهما هطل عليها فلن يأخذ منها شيئاً ولن تسحب عليها علامات البِلى والفناء ومن ثم فسوف تظل متجددة على مر الزمان.

بعد هذا يأتي الشاعر بمقطوعة من ثلاثة أبيات، فيقول:

عرفتُ بها رسم الرسول وعهده
وقبراً به واراه في التُّرب مُلحد
ظللت بها أبكى الرسول فأسْعِدَتْ
عيون ومثلاها من الجفن تسعد
تُذكر آلاء الرسول وما أرى
لها مُحصيا نفسي فنفسي تبلَّد

هذه الأبيات تمثل معاينة الشاعر لما ترك الرسول، فهو يقول في البيت الأول:

عرفت بها رسم الرسول وعهده
وقبراً به واراه في الترب ملحد

فهو بعد أن تفحصها عرف منها بيت الرسول وقد صوره الشاعر بقوله:

"رسم الرسول وعهده"، والرسم هو البيت وقد تهالك فهو أشبه ببقايا آثار.. والعهد هو المنزل الذي خف أهله عنه وغادروه.. فالكلمتان رسم وعهد تصوران ما صار إليه بيت الرسول بعد أن غادره إلى ربه فقد أصبح به قبره الذي واراه اللحد فيه.. وذلك مشهد في حد ذاته يعتصر العيون ويوجع الأفئدة فبكى شاعرنا على فراق الرسول أحر بكاء فهو يقول وقد وقف بين معالم النبوة:

ظللتُ بها أبكى الرسولَ فأُسعدت
عيون ومثلاها من الجفن تُسعد

فلئن كان الشاعر مجروح الفؤاد إلا أن عيونه سعدت بالبكاء حتى ولو تضاعفت الدموع التي تذرفها العيون وتبديها الجفون.. ولِمَ ذلك؟ لأن البكاء هنا يذكر بما هو عزيز على نفسه كريم على قلبه؛ فيقول:

تُذكر آلاء الرسول وما أرى
لها محصياً نفسي، فنفسي تَبَلَّدُ

ولم كل ذلك؟ هنا يكرر الشاعر بمعان جديدة وألفاظ جديدة وتركيب بياني له قوته وطرافته آلاء الرسالة المحمدية على البشرية ولكنه التكرار المستهام بنعمة الإسلام والتي لفيضها يعجز عن أن يحصيها لو فكر في الإحصاء.. ولا أدل على عجزه من أن نفسه تحيرت بما يشبه التبلد. وقد وُفِّق الشاعر في التعبير عن ذاته غاية التوفيق، وإن في قوله:

مُفجعة قد شفَّها فَقْدُ أحمد
فظلت لآلاء الرسول تُعَدِّدُ
وما بلغتْ من كل أمرٍ عشيره
ولكن نفسي بعض ما فيه تحمدُ

لما يؤكد قدرة الشاعر على التعديد وعجز عن الإحصاء.

ثم يأتي الشاعر بمقطوعة جديدة خص بها التعبير عن حالته النفسية وهو واقف

على قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم، فقد قال:

أطالتْ وقوفاً تذرف العين جُهدها
على طلل القبر الذي فيه أحمد
بوركت يا قبر الرسول وبوركت
بلاد ثوى فيها الرشيد المسدَّدُ
وبورك لحدٌ منك ضُمِّنَ طيِّبا
عليه بناء من صفيح منضَّدُ

فالشاعر هنا وقف على قبر الرسول ففاضت عيونه بالدموع الغزار على طلل القبر الذي فيه أحمد عليه السلام. ثم يرفع الشاعر بصره إلى السماء داعيا للرسول فيقول في قبره:

فبوركتَ يا قبر الرسول وبوركتْ
بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد

فالشاعر إذ يدعو ربه أن يبارك في قبر الرسول، فهو كذلك يدعو أن يبارك في البلاد التي ثوى فيها صاحب العقل الراجح والخلق القويم الذي عاش وهو مُحسَّد من أعدائه.. وأكثر من هذا فالشاعر يدعو للحد الرسول أن يبارك الله فيه لأنه يضم الطيب صاحب الآيات الدالة على خلقه الطيب الكريم.. وأي لحد هو؟ إنه لحد متواضع لا يزيد عن كونه بناءً من صفيح منضد أي معدٍ جيدا.
وإنها للحظة جليلة تلك التي كان فيها اللاحدون يضعون الرسول في قبره، فيقول الشاعر:

تهيل عليه الترب أيد وأعين
عليه وقد غارت بذلك أسْعُدُ

إذن فلم تكن الأيدي وحدها هي التي تهيل على اللحد الشريف التراب بل كانت كذلك الأعين المخضلة بالدموع حزنا على فراق الحبيب حتى نجوم السعد هي الأخرى اختفت من سمائها وغارت حزنا على الرسول فكأن الوجود كله قد حزن لوفاته عليه السلام.. ثم يصور الشاعر لحظات الفراق بصور مجللة بالألم والإشفاق، فيقول:

لقد غيَّبوا حِلما وعِلما ورَحْمة
عشية عَلَّوْه الثرى لا يُوَسَّدُ
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم
وقد وهنتْ منهُم ظهور وأعضُد
يبكون من تبكي السموات يومه
ومن قد بكتْه الأرضُ فالناس أكمدُ

لقد جاء البيت الأول بتصوير صادق لشخصية الرسول عليه السلام وذلك إذ يقول الشاعر:
لقد غيبوا حِلما وعلما ورحمةً.. فلقد تميزت تلك الخصائص في شخصية الرسول. وتلك من آيات الرسالة المحمدية.. ومن حسن تعبير الشاعر أن يقول: عن هذه الصفات: "لقد غيبوا"، ولم يقل: "قد دفنوا"، وهذا دلالة على أن الحلم المحمدي والعلم المحمدي والرحمة المحمدية لم تدفن ولكنها غُيبت فقد ذهب صاحبها إلى ربه، أما هي فباقية على مر الزمان.. ثم ماذا بعد أن غُيب الرسول في لحده؟ ثم كيف رجع صحابته رضوان الله عليهم؟ كيف كانت نفوسهم؟ ما الذي أصاب أفئدتهم؟ يقول الشاعر:

وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم
وقد وهنت منهم ظهور وأعضُدُ

لقد رجع الصحابة بعد أن غيبوا الرسول في لحده وما معهم سوى الحزن والأسى الوجيع.. وإنه رجوع يقصم الظهور ويدمي الأفئدة.. ويسلب القوة من صاحبها..
ثم يختم الشاعر قصيدته بما هو في منظوم الحكمة؛ فيقول:

يبكون من تبكي السموات يومه
ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد

مريم جبر - الأردن

لقد أحدث ظهور المتنبي دوياً في الحياة الأدبية في عصره؛ ذلك الدويّ الذي جعل من هذا الشاعر محوراً تعقد حوله المجالس، ويتنافر فيه الخصوم والمريدون، وعلى شعره تكتب الشروح، وإن شاعراً له مثل هذا الفعل، لابد أن يكون متميزاً في شخصه وفي أدبه، وقد تنبه النقاد إلى هذا الأمر؛ فمنهم من رأى أن فن المتنبي هو الذي أثار ذلك الدويّ، وخلف -بالتالي- تلك الحركة النقدية ومنهم "بلاشير"(١) مستنداً في ذلك إلى كثرة الشروح التي تناولت ديوانه، منهم من رأى أن شخصية المتنبي ذاتها هي السبب الأول في ذلك، ومنهم محمد مندور(٢) الذي يرى أن الخصومة حول المتنبي ابتدأت في شخصيته ثم تطورت وامتدت بعد ذلك أدبية.

أنام ملء جفوني عن شواردها

دفاع ابن جني عن المتنبي من خلال شروح "الفسر"

غير أن شخصية المتنبي ما كانت لتجعل الخصومة حوله مستمرة، لو لم يكن لفنه الأثر الأكبر، هذا إضافة إلى أن فن المتنبي وجرأته في القول، هي التي لفتت الانتباه إلى شخصه، وولدت الحسد والحقد تجاهه، خاصة وأن المتنبي كان واعياً على هذه الحقيقة، وكيف لنا أن نفصل بين فن المتنبي وشخصيته في مثل قوله:

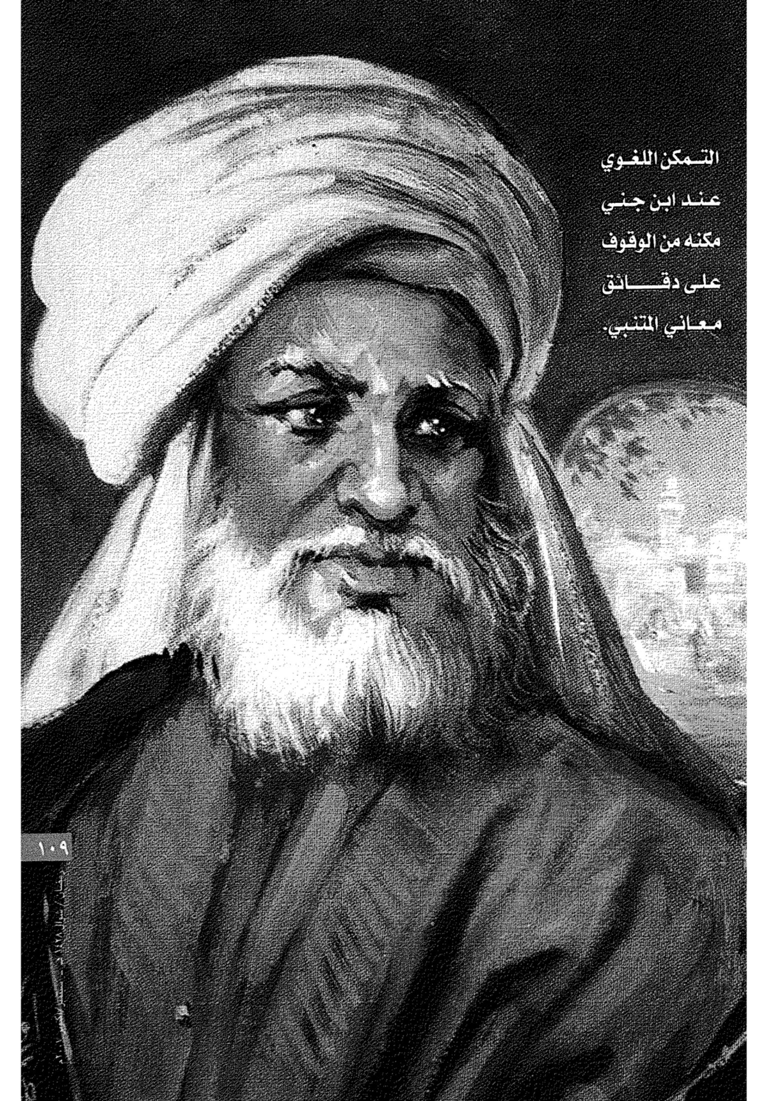
أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي
وأسمعت كلماتي من به صمم
أنام ملء جفوني عن شواردها
ويسهر الخلق جراها ويختصم

ولعل من أوائل النقاد الذين تصدوا للدفاع عن المتنبي هو ابن جني اللغوي والنحوي الفذ؛ وهو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، أحد أئمة النحو والعروض، ولد في الموصل حوالي سنة ٣٣٠هـ، وتوفي يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر ٣٩٢هـ ببغداد، قرأ على أبي علي الفارسي وصحبه أربعين عاماً، وصحب أبا الطيب زمناً طويلاً، وشرح شعره، ونبه على معانيه، وقد أتاح له أبو علي الفارسي التعرف على المتنبي في بلاط سيف الدولة، فكانت بينهما صداقة عميقة، فشرح ديوانه ورثاه بعد مقتله بقصيدة قال فيها:

غاض القريض وأنوت نضرة الأدب
وصوّحت بعد ريّ دوحة الكتب
سُلبت ثوب بهاء كنت تلبسه
كما تخطف بالخطية السَّلب

وكانت علاقته بأبي علي الفارسي سبب حظوته عند البويهيين أيضاً.

صنف ما لا يقل عن خمسين مصنفاً، وله أكثر من مصنف في شرح ديوان المتنبي ودفاعاً عنه، أحد مؤسسي المدرسة البغدادية في النحو؛ أخذ من المدرستين الكوفية والبصرية، مع انحيازه


التمكن اللغوي
عند ابن جني
مكنه من الوقوف
على دقائق
معاني المتنبي.

إلى الأخيرة أكثر من الأولى، وهو مذهب أستاذه أبي علي الفارسي.

من أبرز أعماله: تثبيته لقانوني الاشتقاق الأكبر والتضمين، ومن أشهر مؤلفاته: سر صناعة الإعراب، وشرح تعريف المازني، ومختصر القوافي، وكتاب العروض، واللمع في النحو، والمحتسب في إعراب الشواذ، ومخطوطي: البهج وعلل التشبيه، وأخيراً "الفسر" أو شرح ديوان المتنبي- موضع البحث.

لحظ ابن جني ما وقع على المتنبي من حاسديه، الذين انبروا لبيان مساوئه ومساوئ شعره مما وجده ".... كلام متعصب لقوم كانوا معاندين له..."(٣) فأراد إنصاف المتنبي ببيان صحة لغته وسلامتها من بعض الوجوه، متوخياً العدل، إذ أن "عناد مثله والطعن عليه في محله من الصناعة ظلم أيضاً، ولكننا سنترك تعصب هذا وعناد أولئك، ونأخذ في أمره بالعدل، ونتوخى الحق، ونضع الميزان له وعليه بالقسط، فنرد عليه ما ضيعه من حقوقه، ونستوفي منه ما أهل نفسه له من العلو في هذه الصناعة"(٤).

هذا هو إذن هدف ابن جني من وضع شرحه لديوان أبي الطيب، فهل تحقق له ذلك؟! هذا ما سنحاول تبيانه من خلال عرض الجوانب النقدية التي تمكنت من الوقوف عليها في شرح الديوان.

دفاع ابن جني عن المتنبي:

فيما يلي عرض لبعض القضايا النقدية التي تكشف الجانب الدفاعي عن المتنبي من خلال شرح ابن جني للديوان والشواهد الشعرية التي تدعم رأيه:

(١) في بيان معاني المتنبي وتوضيح ما غمض منها:

لقد صرف ابن جني معظم جهده في شرح ديوان أبي الطيب لبيان معاني كلماته، وتوضيح ما غمض من تلك المعاني، واتخذ من هذا الأمر ديناً له في شرح كل بيت من أبيات الديوان، ولعل هذا ناتج عن اعتقاد ابن جني بأن "كثيراً من الذين

الصداقة القائمة بين ابن جني والمتنبي أفادت في إزاحة الغموض عن كثير من مقاصد الشاعر

★★★★★★

يحملون على المتني إنما يفعلون ذلك لأنه يدق عليهم إدراك معانيه ومراميه"(٥).

إذ أن ما يلحظه الدارس لهذا الشرح، أن إيضاح معاني المتنبي قد أخذ مساراً مختلفاً، اتضح من خلال تعليق المحقق على شرحه لبعض المعاني، ومن خلال حاشيته على الشرح، فقد رأى ابن جني في قول المتنبي:

عشية أحفى الناس بي من جفوتُهُ
وأهدى الطريقين الذي أتجنَّبُ

أنه أراد أحفى الناس بي سيف الدولة، وأهدى الطريقين الذي أتجنب، لأنه كان يترك القصد ويتعسف، ليخفي أثره خوفاً على نفسه، ويرى د. صفاء خلوصي أن لا مكان لمعنى "التجني خوفاً على نفسه" بل هو تعبير عن ندمه لترك سيف الدولة.(٦)

ويتضح من ذلك، الفرق بين ما ذهب إليه كل منهما، إذ اختار ابن جني ما يلائم شخصية المتنبي، الذي لا يعبر عن ندمه، حتى ولو كان الندّ سيف الدولة.

ولعل معرفة ابن جني بأبي الطيب، وملازمته له قد أدت به إلى أن يسلك في شرحه الطريق الذي يوصل إلى حسن المعنى لدى الشاعر، ولو كان ذلك في البحث عن المعنى في "بطن الشاعر"، في مثل قوله:

أحسن ما يخضب الحديد به
وخاضبيه النجيع والغضب

والمعنى -حسب ابن جني- أن أحسن ما يخضب الحديد به الدم، وأحسن خاضبه الغضب، فجمع اللفظ وهو ينوي التفضيل، وذكر الغضب ها هنا مجازاً، وأنه يريد صاحب الغضب.

أما إذا شعر ابن جني أن في بيت المتنبي ما يشير إلى ضعفه، فإنه يدير المعنى لما يتناسب والصورة العامة له، في مثل قوله:

إذا لم تَنُطْ بي ضيعةً أو ولايةً
فجودك يكسوني وشغلك يسلبُ

فيرى ابن جني في ذلك إشارة إلى كثرة مؤنه وقلة فائدته، وفي حاشية على الشرح توجيه آخر للمعنى يقضي بأن "هذا طرف الاستعداد والإيذان بالرحيل والإفصاح وقلة الرضى بحاله"(٧) مما يخالف رأي ابن جني وتفسيره.

(٢) الالتفات إلى تكرار المعاني والمبالغة وقلب الاستعمال:

التفت ابن جني إلى معان تتكرر عنده في غير موقع، وفي القصيدة الواحدة أحياناً، إلاّ أنه سكت على ذلك، وجعل لهذا التكرار مهمة التوكيد، واكتفى بقوله: "هذا يؤكد المعنى الذي قبله(٨) وجعل المبالغة وقلب الاستعمال المعروف جودة في مثل قوله:

"رموا بنواصيها القسيّ فجئتها
دوامي الهوادي سالمات الجوانب

يقول: وبالغ بقله "رموا بنواصيها القسي" وقلب الاستعمال، فجاء به عذباً أنقاً، وهذا من عادته "قلب الألفاظ للمبالغة... لأن القسي هي التي يرمى عنها، وليس مما يرمي نفسه"(٩)

ومثله أيضاً استخدام الاستعارة للمبالغة "ولا تقع الاستعارة إلا للمبالغة ولولا ذلك لكانت الحقيقة لا يجوز غيرها"(١٠) تعليقاً على قول أبي الطيب:

فتى يملأ الأفعال رأياً وحكمةً
وبادرة أحيان يرضى ويغضب

(٣) النقد اللغوي:

ولقد أسهمت قدرة ابن جني اللغوية في توجيهه للمعنى في شعر المتنبي، باختياره للمعنى الإعرابي الذي يتناسب والمعنى الذي يريد:

ابن جني لم يلتزم الحياد العلمي في شرحه للمتنبي

★★★★★

تناهم وبرقُ البيض في البيض صادقُ
عليهم وبرق البيض في النفس خُلّبُ

أي: هزم أعداءه... إذا برقت البيض وهي السيوف فوق لمعها على البيض، فلذلك جعله "خلباً" و"الخلّب" البرق الذي لا مطر معه..

وفي حاشية الكلام رأي آخر: أن "تناهم وبرق البيض"، الواو للحال، أي في هذه الحال، فأما برق البيض لم يكن لذكره معنى، لأنه لا يزيد في صفة الحرب، لأنها بهذه الصورة أبداً. فأي فائدة لذكر هذا بالخلوب؟(١١).

ونلحظ من ذلك اختلاف المعنى وتوجيه الناحية الإعرابية عند ابن جني، الأمر الذي يزيد المعنى أو يجمله ويقربه، ويبتعد به عن احتمال الزيادة والحشو.

(٤) إجازته للضرورات الصرفية والنحوية:

وإن أكثر ما يلفت القارئ لشرح ابن جني لديوان أبي الطيب، سكوته عن ارتكاب الضرورات، وإجازته لارتكابه الضرورات في الصرف والنحو؛ فقد سكت على صرفه اسم "سمنّدو" في قوله:

فإن يقدم فقد زرنا سمنّدو
وإن يحجم، فموعده الخليج

يقول ابن جني: سألته وقت القراءة عليه فقلت له: "هلا أعربت سمندو؟" فقال: "لو فعلت ذلك لم يعرف الاسم"، ولو أعرف لوجب أن يبدل من ضمة الدال كسرة، ويبدل من "الواو" "ياء".. فكان يلزمه أن يقول: "سمندى" فلا يصرف للتأنيث والتعريف والعجمة، وإن صرف ضرورة، فيقال: "سمندو".

يقول: وكان يرتكب هذه الضرورات، ثم بعد ذلك كله يقع الأشكال في الكلمة ولا تعرف إلا بتأمل.(١٢)

ومثل ذلك صرفه لـ"حمدون"، وعلى الرغم من إشارة ابن جني إلى رفضه لذلك وإجازة الكوفيين له إلا أنه أجازه أيضاً، في قوله:

وحمدانُ حمدونُ، وحمدونُ حارثٌ
وحارثُ لقمانُ، ولقمانُ راشدُ

يقول: "فجعل النون من حمدون حرف الإعراب فأجرى عليها الإعراب، وكان الأشبه إذا جعل "النون" حرف الإعراب أن يضم "الحاء" ليصير على وزن "مفعول"، إلا أنه جائز إذا حمله على "زيتون" وترك صرف "حمدون" و"حارث" ضرورة، وقد أجازه الكوفيون ونحن نأباه".

وقال آخر - الحاشية "أن ليس له أن يقيس "حمدون" على "زيتون" لقلته، وأنه ترك صرف "حارث"؛ إما لقلة علمه بما فيه، أو قلة عنايته بإصلاح كلامه في شعره"(١٣).

وقد ذهب ابن جني إلى أن من ضرورات المتنبي ما هو حسن في مثل قوله:

وأن يكذب الإرجاف عنه بضده
ويمسي بما تنوي أعاديه أسعدا

"فقد كان ينبغي أن يفتح (ياء) يُمسي، لأنه منصوب، ولكنه سكن (الياء) وهو من حسن الضرورات(١٤).

ووصف بعض الضرورات النحوية عنده بلطف المذهب، في مثل قوله:

سرب محاسنه حرمتُ ذواتها
داني الصفات، بعيد موصوفاتها

يقول: "في هذا البيت شيء من الإعراب لطيف المذهب، منع سيبويه منه البتة، وهو إضافة "ذو" وأخواتها إلى الضمير... وكذلك من تبعه من أصحابه، وقد قال هو: ذواتها، فأضاف ذوات إلى الضمير"(١٥)

(٥) الاستشهاد على شعر أبي الطيب:

يلحظ الدارس لكتاب ابن جني كثرة ما قدمه من شواهد على صحة ورود ألفاظ ومعان مختلفة في أبيات المتنبي، وقد اتخذت هذه الشواهد صوراً عدة، وجعلها من مصادر مختلفة، منها ورود بعض المعاني في كلام المتصوفة، ويمكن الإشارة إلى أهم المصادر التي لجأ إليها ابن جني فيما يلي:

(أ) طريقة العرب: في مثل قوله:

وأمست تخيَّرنا بالنقا
بِ وادي المياه ووادي القرى

يقول: "أي لما صرنا عليها إلى النقاب، وقدرنا سلوك أحد الطريقين عليها، صارت كأنها مخيّرة لنا إحدى الطريقين، وإن كانت في الحقيقة غير مخيَّرة، ولكن هذا كلام العرب وطرائقها في الاتساع"(١٦).

(ب) القياس على غير ما قالت به العرب:

ولأبي الطيب استخدامات لغوية جريئة في الشعر، رفضها بعض النقاد على اعتبار أن ما استخدمه العرب لغة لهم، ولا ينبغي أن يكون لغة لشاعر محدث. قال أبو الطيب:

لو لم تكن من ذا الورى اللّذْ منك هو
عُقِمتْ بمولد نسلها حواءُ

يقول: "وقوله (اللّذْ) بسكون الذال وكسرها هي لغة، يقال: اللذي واللذ، والذي بتشديد الذال، وكذلك (التي) وفيها هذه اللغات: التي والّت واللتي.(١٧).

(ج) إيراد الحكايات:

وقد لجأ ابن جني إلى إيراد الحكايات في كثير من المواقع لإثبات المعنى الذي يريد من بيت المتنبي، كإيراده حكاية السعلاة مع حسان بن ثابت حين بركت على صدره وقالت له: أنت الذي يرجوك قومك أن تكون شاعرهم؟ فقال: نعم فقالت أنشدني ثلاثة أبيات على روي واحد، وإلا قتلتك، فقال:

إذا ما ترعرع فينا الغلام
فما ان يقال له من هوَهْ
إذا لم يسد قبل شد الإزار
فذلك فينا الذي هوَهْ
ولي صاحب من بني الشيصباني
فحيناً أقول حيناً هوه

فخلت سبيله، وقالت: أولى لك.(١٨)

(د) إيراد الشواهد من شعر القدماء والمحدثين:

عمد ابن جني إلى الاستشهاد بشعر العرب قديمه ومحـــدثه، وأورده على وجهين: إما بكلام عام دون تحديد مكان ورود المعنى في شعـر العرب، وإما بتحـديد وروده عند شاعر أو مجموعة من الشـعراء، فمـــن الأول مـــا أورده حـــول قول المتنبي:

فـأتيت من فــوق الزمــان وتحتـه
مـتـصلصـلاً وأمــامــه ووراثه

حيث أشار إلى أن قوله "من فوق الزمان وتحته وأمامه ووراثه" فاش في أشعار العرب.(١٩) وقد استشهد بشعر المحدثين أيضاً، بغرض الوصول إلى المعنى، كاستشهاده بشعر أبي تمام، إذ يرى ابن جني أن المحدثين "يستشهد بهم في المعاني كما يستشهد بالقدماء في الألفاظ"(٢٠)

(هـ) الاستشهاد بشعر المتنبي نفسه:

وامتدت شواهد ابن جني على شعر المتنبي إلى شعر المتنبي نفسه، واعتمد أيضاً في توجيه معانيه على ما كان يدور بينه وبين المتنبي من حديث.

(٦) اهتداء ابن جني إلى الجرأة النفسية لدى المتنبي:

يقول: "وكان المتنبي يتجاسر في ألفاظه جداً، ألا تراه يقول لفاتك:

وقــد يلقــبـه المجنون حـــاســده
إذا اخـتلطن وبعض العـقل عـقـال

أولا ترى كيف ذكر لقبه على قبحه، وتلقاه به، وسلم مع ذلك أحسن سلامة، ولولا جودة طبعه وصحة صنعته ما تعرض لمثل هذا"(٢١) "فهذا ملمح يعز نظيره، وهو أحرى أن يتخذ مفتاحاً لقد جانب من شعر المتنبي، لا ما علل النقاد به أنفسهم من بحث عن الأخطاء والسرقات"(٢٢).

(٧) اهتداؤه إلى المديح المبطن بالهجاء في شعر المتنبي:

يعـد ابن جني أول من التـفت إلى أن مـدائح المتنبي في كافور مبطنة بالهجاء، وأن ذلك كان عن قصد لدى المتنبي(٢٣)، وذلك في مثل قوله:

وأي قــبـيل يسـتـحــقك قــدره
مَـعَـدُّ بن عـدنان فــداك ويعـرب

ابن جني استخدم فلسفة اللغة لتـــمـــرير أخطاء المتنبي

★★★★★★

"وقد كان طوى شعره كثيراً من مديحه على الهجاء، وكان يقول: لو شئت لقلت جميع ما مدحته هجاء به فجعلته هجواً، وقد وافقته أنا على كثير من ذلك، فاعترف به وتقبله"(٢٤)

(٨) استحسانه لما رآه الآخرون قبيحاً:

حـيث خـالف ابن جني - غـيـره من النقـاد وبخاصة في استخدام المتنبي لبعض الألفاظ في شعره كما في قوله:

أهذا اللذّيا بنت وردان بنتــــه
هما الطالبات الرزق من سوء مطلب

فـبـينمـا يرى ابن جني أن في الأمـر تجـاهلاً وهزواً، يرى غـيـره- الحاشـيـة- أن ألفاظ البيت خاسئة تترك الإنسان مفكراً فيها، لاهيا عن الهجو، وإنما الهجو المليح ما أضحك، فإذا اشتغل الإنسان باستقباح الألفاظ، تخلص عرض المهجو، وقـد ذكـر فـيـه بنت وردان، وهو لفظ دني ومـعنى ساقط.(٢٥)

(٩) مع المتنبي:

في الوقت الذي عدّ فيه بعض النقاد لجوء المتنبي إلى كلام المتصوفة وغيرهم من أهل الكلام، ولجوئه إلى ألوانهم في صورهم ضيقاً وعجزاً، اعتبر ابن جني ذلك تصرفاً في أفانين الكلام واقتداراً على وجوهه المختلفة في مثل قوله:

وتسـعـدني في غـمـرة بعـد غـمـرة
سـبـوح لهـا منهـا عليـهـا شـواهـد

يرى ابن جني أن قوله: (لها منها عليها شواهد) من كلام المتصوفة، وهو صحيح، ومعناه أنه إذا نظر إلى استواء خلقها وتناسب أعضائها، علم أنها كريمة سابقة.(٢٦)

وقد كثرت في شرح ابن جني الأحكام العامة،

التي كان يطلقها على الشعر أو على الشاعر، وبخاصة إن كان المجال يسنح للمقارنة ما بين المتنبي وبين شاعر آخر:

إذا نلت منك الود فالمال هيّن
وكل الذي فوق التراب تراب

وقال أبو العباس أحمد بن يحيى:

وكل اجتماع من خليل تفرقة
وكل الذي فوق التراب قليل

"واللفظ وإن كان واحداً فبيت المتنبي أعذب"(٢٧) وكثر وصفه بالخوف وقوة الطبع وغيرها من الأحكام العامة.

مآخذ ابن جني على المتنبي:

وعلى الرغم من دفاع ابن جني عن المتنبي في هذا الشرح إلا أنه أورد قليلاً من المآخذ التي أخذها على المتنبي ومنها:

- عدم مناسبة بعض اللفظ لمعناه كما في قوله:

ولا زالت الأعياد لُبْسك بعده
تسلّم مخروقاً وتعطي مجدداً

فيرى ابن جني أنه كان ينبغي أن يقول "مخلفاً وتعطي مجدداً"، وهذا أصح للمعنى واللفظ، وأما "مخروق" فبعيد غير سفل.(٢٨)

- غرابة القول والتغلغل في الصنعة كما في قوله:

سقيتْ منابتها التي سقت الورى
بيدي أبي أيوب خير نباتها

إذ جعل النبات هو الذي يسقي "المنبت" قلباً للعادة وإغراباً في القول وتغلغلاً في الصنعة.(٢٩)

- القبح في بعض الضرورات: كما في قوله:

قد أجمعت هذي الخليقة لي
أنك يا ابن النبي أوحدها
وأنك بالأمس كنت محتكماً
شيخ معدٍ، وأنت أمردها

فالأصل تثقيل النون في "أنك"، يقول ابن جني: إلا أنه جاء مثله في ضرورة الشعر، وهو في كل حال قبيح"(٣٠)

- ضعف بعض الاستخدامات اللغوية، كما في قول المتنبي:

وأظلم أهل الأرض من بات حاسداً
لمن بات في نعمائه يتقلبُ
وأنت الذي ربَّيْتَ ذا الملك مرضعاً
وليس له أمّ سواك ولا أب

فالوجه أن يقال: وأنت الذي ربىّ ذا الملك، على أن مثله في الشعر كثير، إلا أن ثقة أبي الفتح بالمتنبي دفعته لقبوله" لولا أننا سمعناه من الثقة لرددناه ولم نقبله"(٣١)

- وتنبه ابن جني إلى تعسف في تركيب الجملة عند أبي الطيب في مثل قوله:

أنى يكون أبا البرية آدمُ
وأبوك والثقلان أنت محمد

حيث فصل بين المبتدأ الذي هو: "أبوك" وبين الخبر الذي هو "محمد" بأنت وهي أجنبية.(٣٢)

الخلاصة:

يتضح مما سبق أن الجانب الدفاعي عند ابن جني قد غلب على الجوانب النقدية الأخرى، الأمر الذي جعل بعض الدارسين يميلون إلى عدم الأخذ ببعض آراء ابن جني، ومن ذلك ما ذهب إليه "بلا شير" في قوله: "وليس في وسعنا بعد ذلك الاحتفاظ بالتفسير الذي أورده صديقه ابن جني لما فيه من المحاباة، ومن المؤكد من نحو آخر أن أبا الطيب هو صاحب التفسير المذكور...."(٣٣) ويقصد تفسير سبب تسمية "المتنبي" بهذا الاسم.

إلا أن مثل هذه الآراء لا تقلل بأية حال من أهمية هذا الشرح، لكون شارحه هو أبو الفتح عثمان ابن جني، "إمام اللغة والنحو غير مدافع، والكاشف المجلي لكثير من دقائقها وأسرارها"(٣٤)

فالجانب اللغوي في ابن جني قد مكنه من الوقوف على دقائق معاني المتنبي وجلاء غوامضها، وساعده على ذلك مصاحبته لأبي الطيب، الأمر الذي دفعه لسؤال المتنبي عن مقصده في بعض المواضع، واعتبر الدكتور إحسان عباس جوانب

من شرح ابن جني وثيقة هامة، لأنه أثبت ما دار بينه وبين الشاعر من أخذ ورد حول بعض الأمور المتعلقة بشعره.(٣٥)

وقد أقر المتنبي بفضل ابن جني فكان يقول فيه: هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس، وكان إذا سُئل عن شيء من دقائق النحو والتصريف في شعره يقول: راسلوا صاحبنا أبا الفتح، فإنه يعرف من شعري ما أدري وما لا أدري" وشبيه بهذا القول كلمته السائرة التي تتداولها الأفواه "ابن جني أعلم بشعري مني"(٣٦)

ولابن جني الفضل في تقريب المتنبي وتحبيبه إلى أستاذه أبي علي الفارسي، الذي لم يلبث أن صار من أكبر المعجبين بأبي الطيب، بعد أن كان خصمه القديم في حلب، فلم تكن مكانة أبي الطيب بوصفه زعيم مدرسة شعرية موضع نقاش.(٣٧)

ومن هنا فقد تميز هذا الشرح بتوسعة في الجانب اللغوي والجانب النحوي، بما يفضي إلى توضيح المعنى وبيان المقصد.

وعلى الرغم من نية ابن جني وعزمه في مقدمة الشرح على العدل والاعتدال، إلا أنه كان من المنتصرين لأبي الطيب، المدافعين عنه في كثير مما أخذه النقاد عليه من مخالفات وتجاوزات، وجهد في إثبات توجه صاحبه بإيراد الشواهد من كلام العرب، ولو كانت قليلة شاذة، وقد أشار الدكتور إبراهيم كمال في تعقيبه على الشرح، أن ما دعاه إلى الإكثار من الشواهد الشعرية في شرحه محاولته لتبرير مخالفات صاحبه، ولكنه ـ كما يرى د. كمال- أكثر من الاستطرادات بما جاز عن الحد.

المصادر والمراجع:

١- ابن جني ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي الفتح عثمان ابن جني المسمى بالفسر، جـ١ (سلسلة خزانة التراث) تحقيق صفاء خلوصي، بغداد، ١٩٨٨م.

٢- ابن جني، المصدر السابق جـ٢، تحقيق صفاء خلوصي بغداد، ١٩٧٧م.

٣- بلاشير، يجس، أبو الطيب المتنبي: دراسة في التاريخ الأدبي، ترجمة إبراهيم الكيلاني، ط٢، دمشق، ١٩٨٥م.

٤- شعيب، محمد عبدالرحمن، المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث، مصر ١٩٦٤م.

٥- عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب: نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، عمان، ١٩٨٦م.

٦- مندور، محمد، النقد المنهجي عند العرب، مصر، د.ت.

الهوامش:

(١) في كتابه: أبو الطيب المتنبي: دراسة في التاريخ الأدبي ص ص ٤٦٣-٥٩٦.

(٢) في كتابه: النقد المنهجي عند العرب ص ص ١٦٥- ١٦٧.

(٣، ٤) الفسر: جـ١ ص٢٢.

(٥) إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي ص٢٧٨.

(٦) الفسر: جـ١ ص ص١٨٢-١٨٣.

(٧) المصدر نفسه ص٣١.

(٨) المصدر نفسه ص٣٤٣.

(٩) المصدر نفسه جـ٢ ص ١٦٠.

(١٠) المصدر نفسه جـ٢ ص ٣٠.

(١١) المصدر نفسه جـ٢ ص ص٣٩-٤٠.

(١٢) المصدر نفسه ص١٦٠.

(١٣) المصدر نفسه ص٢٤٧.

(١٤) المصدر نفسه ص٢٥١.

(١٥) المصدر نفسه ص ص١١٥-١١٦.

(١٦) المصدر نفسه جـ١ ص١٢٦.

(١٧) المصدر نفسه ص١٠٧.

(١٨) المصدر نفسه ص ص٣٦٥-٣٦٦.

(١٩) المصدر نفسه ص٦٠.

(٢٠) المصدر نفسه ص ص١٧٢-١٧٣.

(٢١) المصدر نفسه ص٢١٥.

(٢٢) إحسان عباس، مرجع سابق ص٢٨٣.

(٢٣) المرجع نفسه ص٢٨٢.

(٢٤) الفسر جـ٢ ص٤١.

(٢٥) المصدر نفسه ص ص١٠٨-١٠٩.

(٢٦) المصدر نفسه جـ١ ص ص٣٥٧-٣٥٨.

(٢٧) المصدر نفسه جـ٢ ص٧٧.

(٢٨) المصدر نفسه ص٢٦٠.

(٢٩) المصدر نفسه ص ص١٢٩-١٣٠.

(٣٠) المصدر نفسه ص٢٩٩.

(٣١) المصدر نفسه ص٣٤.

(٣٢) الفسر جـ٢ ص٢٣٩.

(٣٣) بلاشير، مرجع سابق عن يتيمة الدهر للثعالبي ١/ ٨٠.

(٣٤) إبراهيم كمال، تعقب على شرح ابن جني جـ١ ص٤٠٢.

(٣٥) إحسان عباس، مرجع سابق ص٢٨٠.

(٣٦) إبراهيم كمال، الفسر جـ١ ص٤٠٢.

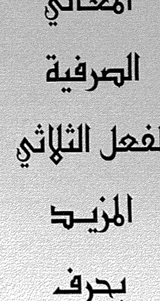
(٣٧) بلاشير مرجع سابق ص٣٤٥.

د. موضي حميد السبيعي - مكة المكرمة

الدكتورة موضي بنت حميد السبيعي أهدت المنهل دراستها العلمية القيمة المعنونة (المعاني الصرفية للفعل الثلاثي المزيد بحرف) دراسة استقرائية من خلال (الصحاح) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري..

وتوسيعاً لدائرة الإفادة من هذه الدراسة رأت المنهل نشر صفحات منها في أعدادها المتتالية..

وهذه ثاني حلقة في هذا الموضوع..



- باب الثاء -

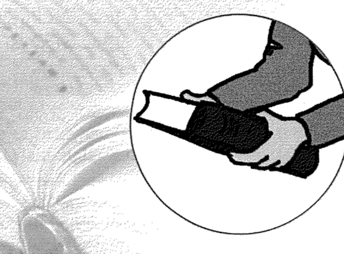
حدث: "وأحْدَثَهُ الله فحَدَثَ. وحدث أمر، أي وقع".

حنث: "الحِنْثُ: الخُلف في اليمين. تقول: أحنثْتُ الرجل في يمينه فحنث، أي: لم يبر فيها"، جعلته يحنث فيها.

خبث: "الخبيث: ضد الطيب. وقد خبث الشئ خباثة... وأخبثه غيره، أي: علمه الخبث وأفسده".

رمث: "قال الأصمعي: الرمث: بقية اللبن في الضَرْع. يقال رَمَّثْت في الضرع ترميثاً وأرْمثتُ أيضاً، إذ أبقيت بها شيئاً"، جعلت فيها رمثاً.

لبث: "اللبث واللباث: المكث. وقد لَبِثَ يلبثُ...



وألبثتُه أنا".
ورث: "أورَثَه الشئ أبوه"، جعله يرثه.

. باب الجيم .

حجج: "أحجَجْت فلاناً، إذا بعثته ليحُجَّ"، جعلته يحج.
حرج: "الحرجُ: الإثم... وأحرجه آثمه"، جعله يقع في الحرج.
حوج: "حاج يحوج حوجاً، أي: احتاج، وأحوجه إليه غيره".
خرج: "خرج خروجاً... تقول: أخرجني مُخْرَجَ صدق".
دمج: "دمج الشئ دُموجاً، إذا دخل في الشئ واستحكم فيه وأدمجتُ الشئ، إذا لففتَه في ثوب".
زجج: "الزُجّ: الحديدة التي في أسفل الرمح،... ابن السكيت: أزججتُ الرمح،... إذا عملت له زُجّاً"(١)، جعلت له زُجّاً.
زلج: "المزلاج: المغلاق،... تقول منه: أزلجتُ الباب، إذا أغلقته" جعلته ذا مزلاج ثم استُعمل في الإغلاق مجازاً".
سرج: "السَرْج معروف. وقد أسرَجْتُ الدابة"، جعلت لها سرجاً، وهو مشتق من اسم ذات.
عَرَج: "عرج... إذا أصابه شيء في رجله فخمع ومشى مِشْية العُرجان وليس بخلقه. فإذا كان ذلك خلْقة قلت: عَرِج بالكسر... وأعرجَهُ اللهُ".
"العَرْج: القطيع من الإبل نحو من الثمانين. وقال أبو عبيدة: مائة وخمسون وفُويق ذلك. وقال الأصمعي: خمسمائة إلى الألف... ... وقد أعرجْتُك، أي: وهبتُك عرْجاً من الإبل".
فحج: "أفْحَجَ الرجلُ حلوبته، إذا فَرَّج ما بين رجليها ليحلُبَها". في اللسان:: "الفحج: تباعد ما بين أوساط الساقين في الإنسان والدابة؛ وقيل: تباعد ما بين الفَخِذَين؛ وقيل تباعد ما بين الرجلين...، وقد فَحِجَ فحجاً...". (٢)
فلج: "الفَلْج... الظَفَر والفَوْزُ. وقد فَلَج الرجل على خَصْمه يفلجُ فلجاً... وأفلجه الله عليه".
"وأفلج الله حُجَّته: قوَّمها وأظهرها".
نضج: "نضج الثمر واللحم نَضْجاً ونُضْجاً، أي: أدرك... وأنْضَجْتُه أنا".
نفج: "نَفَجَت الأرنب، إذا ثارت. وأنفجتُها أنا".
نهج: "النَهَجُ بالتحريك: البُهر وتتابع النفس. وقد نَهِجَ بالكسر يَنْهَجُ. وأنْهَجْتُ الدابة: سرت عليها حتى انبهَرتْ."
وَلَجَ:"ولج يَلج وُلُوجا، أي: دخل... وأوْلَجَه: أدْخَلَه. وقوله تعالى: {يُولج الليل في النهار ويُولج النّهار في الليل}. (٣)
وسج: "الوَسيجُ: ضربٌ من سير الإبل. يقال وَسَج البعير وَسيجاً. وأوسَجْتُه أنا: حملتُه على الوسيج".
وَهَجَ: "الوهج، بالتحريك: حَرُّ النار. وَهَجَت النار تهج وهجاً... وأوهجتُها".
هرج: "هَرِج البعير يَهْرَجُ هَرَجاً، إذا سَدِرَ من شدة الحر وكثرة الطلاء بالقَطِران... وأهرجْته، إذا حملتَ عليه في السير في الهاجرة حتى يَسْدَرَ".
هيج: "هاج النبت هياجاً، أي: يَبِس... وأهاجت الريح النبت أيْبَسَتْه".

. باب الحاء .

بحح: "قال أبو عبيدة: بَحَحْتُ بالفتح أبَحُّ بحاً،... تقول: مازلت أصيحُ حتى أبحَّنِى ذلك".

برح: "أَبْرَحَهُ... بمعنى أكرمه وعظَّمه"، جعله ذا بُرْحة وهي الخيار من كل شيء.
بوح: "باحَ بِسِرِّه، أي: أظهَرَهُ. وأبحتُك الشيء: أحللته لك".
تيح: "تاح له الشيء، وأُتيح له الشيء، أي: قُدِّر له. وأتاح الله له الشيء، أي: قدره له".
جنح: "جنح، أي: مال،... ... وأجنحه غيره".
ربح: "رَبِحَ في تجارته، أي: استَشَفَّ. وأربحتُه على سلْعته، أي: أعطيته ربحاً".
رَجَحَ: "رجَحَ الميزانُ... أي: مال. وأرجحْتُ لفلانٍ التقدير: أرجحت الميزان لفلان.
رسح: "الرَّسَحُ: خفة الأليتين ولصوقهما رجلٌ أرسحُ بيِّن الرسَح، وهو قليل لَحْم العَجز والفخذين؛ والمرأة رسْحَاءُ... وقيل لامرأة من العرب: ما بالنا نراكُنَّ رُسْحا؟ فقالت: أرْسَحَتْنا نارُ الزَّحْفَتَيْن"، في اللسان: "الليث: الرَّسَحُ ألا يكون للمرأة عجيزة، وقد رَسِحَتْ رَسَحا، وهي الزّلاء". (٤)
روح: "رَاحَتِ الإبلُ... وأراح إبلَهُ أي: ردَّها إلى المراح".
أرحتُ على الرجل حقّه، إذا رددتَه عليه".
"وأراحه الله فاستراح" في اللسان: "راح الإنسانُ إلى الشيء يراحُ إذا نَشِطَ وسُرَّ به". (٥)
زيح: "زاح الشيء يَزيحُ... أي: بَعُد وذهب وأزاحَه غيره".: "وأزحتُ علَّته فزاحَتْ".
سجح: "الإسجاحُ: حُسْنُ العفو. يقال:: "ملكْتَ فأسْجِحْ" اللسان:: "سجَحْتُ له بشيء من الكلام وسرَحْتُ... وسَنَحْتُ... إذا كان كلام فيه تعريض بمعنى من المعاني".(٦)
طفح: "طَفَحَ الإناء طُفوحاً، إذا امتلأ حتَّى يفيض. وأطفحتُهُ أنا".
طلح: "طَلَحَ البعيرُ: أعْيا،... وأطلحتُهُ أنا".
طمح: "طَمَحَ بصرُهُ إلى الشيء: ارتفع... وأطمح فلانٌ بصره: رفعه".
فَرِحَ: "فَرِحَ به: سُرَّ... وأفرَحَهُ: سَرَّه".
فوح: "فاحتِ القِدْر تَفْيحُ: غَلَتْ. وأفَحْتُها أنا".
"وكذلك فاحت الشَّجة: نفحت بالدم. وأفاح دمه: هَرَاقَه".
قَرِحَ: "قَرِح جلده بالكسر يقرحُ قَرْحاً... إذا خرجت به القروح. وأقرحَه الله".
قَمَحَ: "قمح البعيرُ قُمُوحاً، إذا رفع رأسَه عند الحوض وامتنع عن الشرب،... وأقمَحَهُ الغُلُّ، إذا ترك رأسه مرفوعاً من ضيقه".
لقح: "لَقِحَت الناقةُ بالكسر لَقَحاً ولَقَاحاً بالفتح، وألقح الفحلُ الناقةَ"، في اللسان: "اللِّقاحُ: اسم ماء الفحل من الإبل والخيل... واللقاح اسم لما يقوم مقام المصدر... ابن الأعرابي: ناقة لاقح وقارح يوم تَحْمِل(٧)".
"ألقَحُوا نخلهم... ويقال في النخلة الواحدة: لُقحت، بالتخفيف".
لوح: "لاح لوحاً ولُوَاحاً: عطش... وألاحه: أهلكه"، لاح بمعنى عطش ثم تدرج المعنى إلى الإهلاك.
مرح: "المرحُ: شدة الفرح. وقد مَرِحَ بالكسر وأمرَحه غيره".
"فرسٌ ممْراح ومَرُوحٌ، أي: نشيط. وقد أمرَحه الكلأ" في اللسان. "مَرِحَ، بالكسر، مَرَحاً. نَشِطَ" (٨)، جعله مرحا.
ملح: "أملحتُ القدر: إذا أكثرتَ فيها الملح فسدتْ"، جعلها ذات مِلْحٍ.
نبح: "نَبَحَ الكلبُ ينْبَح وينبِحُ... وأنبحْتُ الكلبَ".
نجح: "نجح أمر فلان، أي تيسر وسَهُل... وقد

أنجحتُ حاجتَه، إذا قضيتُهَا له".
نصح: "نصحتِ الإبل الشرب تنصح... أي: صدقَتْه، وأنصحتُها أنا أرويتها".
نكح: "نكحَتْ هي، أي: تزوَّجت، وأنكحها أي: زوَّجها".
وتح: "شيء وَتْحٌ ووَتيحٌ، أي: قليل تافه. وقد وَتُحَ بالضم... وأوتَحَ فلان عطيَّتَهُ، أي: أقَلَّها".
وجح: "وأوجَحَهُ البول: ضيَّق عليه" في اللسان: "وقد وجَحَ يَوْجَحُ وَجْحاً إذا التجأ" (٩) جعله يوجح.
وضح: "وضَحَ الأمر يَضِح وُضُوحاً، أي: بَانَ وأوضحتُه أنا".

. باب الخاء.
تخخ: "التَخُّ: العجين الحامض. وقد تخَّ تُخوخاً، وأتَخَّهُ صاحبه".
مرخ: "أمرخْتُ العجين، إذا أكثرت ماءه حتى رَقَّ"، التعدية.
ورخ: "الوريخةُ: العجين الذي أُكثر ماؤه حتى رق. وقد وَرِخَ العجينُ ... استرخى. وأورخْتُه أنا".
وسخ: "الوَسخ: الدرن. وقد وسخَ الثوبُ ... وأوسختُه أنا".

ـ باب الدال ـ
أسد: "آسَدْتُ الكلب وأوسدتُه: أغريته بالصيد" جعلته يأسد.
بدد: "البِدَّة... النصيب. تقول منه أبَدَّ بينهم العطاء، أي: أعطى كل واحد منهم بدته .
وفي الحديث: "أبدِّيهم تمرةً تمرةً"(١٠)، اجعلي لكل واحد منهم بِدَّته.
برد: "وحكي أبو عبيد: سقيته فأبردتُ له إبراداً، أي: سقيته بارداً". الأصل التعدية، ولكن ضمَّن معنى قدَّم فعدى باللام.
بعد: "وقد بَعُدَ بالضم فهو بعيد، أي: تباعد. وأبعَدَهُ غيره". ويقال أبعد الله الآخر؛".
بيد: "باد الشيء يبيد... هلك وأبادهم الله، أي: أهلكهم".
جدد: "وقولهم: أجَدَّ بها أمراً، أي: أجَدَّ أمرَه بها، نصب الأمر على التمييز، كقولك: قررت به عيناً أي: قَرَّت عيني به"، جعله ذا جديد.
"وأجَدَّه، واستَجَدَّه... أي: صيَّره جديداً".
"وجَدَّ الشيء يَجِدُّ بالكسر جِدَّةً: صار جديداً،... وبَهِيَ بيتُ فلان، فأجَدَّ بيتاً من شَعَر"، جعله جديداً.
جسد: "الجسدُ...: الزعفران... قال ابن السكيت: يقال على فلان ثوب مشبع من الصبْغ... فإذا قام قياماً من الصبغ قيل: قد أُجْسِد ثوبُ فلان إجساداً فهو مُجْسَدٌ"(١١)، جعله ذا جَسد.

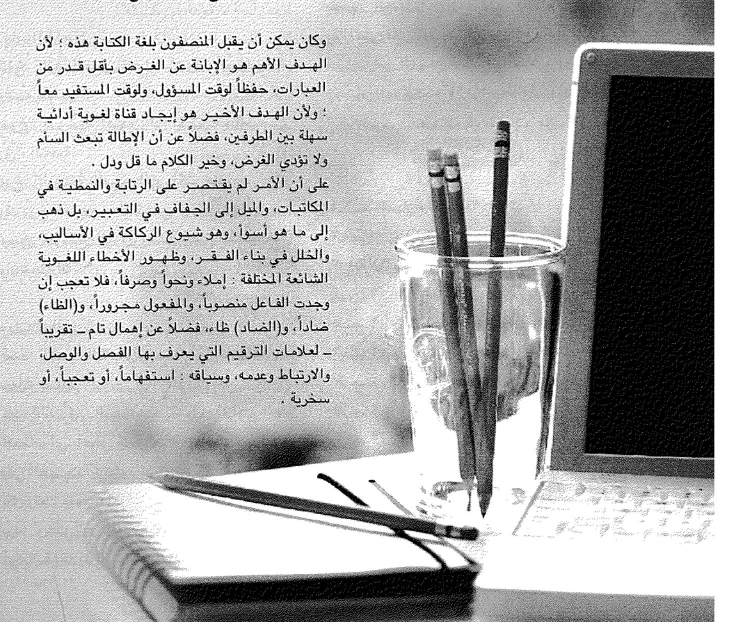
الهوامش:

١ـ انظر إصلاح المنطق،٢، ٢٢٨.
٢ـ جـ ٢ ، ٣٤٠ العمود/٢ مادة فحج.
٣ـ آية ٦١ من سورة الحج.
٤ـ جـ ٢، ٤٤٩ العمود/ ا. مادة رسح.
٥ـ جـ ٢، ٤٦٠ العمود/ ٢ مادة روح .
٦ـ جـ ٢، ٤٧٥ العمود/ ا، مادة سجح.
٧ـ جـ ٢، ٥٧٩، العمود/١/٢، مادة: لقح.
٨ـ جـ ٢، ٥٩١ العمود/٢ مادة: مرح.
٩ـ جـ ٢، ٦٢٩ العمود/٢ مادة: وجح.
١٠ـ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ١، ١٠٥، مادة بد.
١١ـ انظر إصلاح المنطق، جـ١، ١٢٠، جـ٢، ٤١٢ .

لغة المعاملات والانحدار اللغوي!

د.عبد الله الحيدري - الرياض

تجنح الكتابات الرسمية المتمثلة في الخطابات والمعاملات في الغالب الأعم إلى الاختصار، وتنزع إلى الإيجاز في العبارة، وتخلو تقريباً من الإشراق البياني والاهتمام اللفظي، وتُعلي من شأن المعنى وتقدمه على اللفظ، ولا تعنى بالمساواة بينهما كما هو شأن المدرسة (الجاحظية) وغيرها، فتأتي خلواً من الجمال مؤدية الغرض في عبارات جافة مستهلكة مطروقة لا روح فيها ولا تميز : " بالإشارة إلى ... نفيدكم، ولا شك، برفقه أصل المعاملة، أرجو الاطلاع والإفادة ..إلخ ".



وكان يمكن أن يقبل المنصفون بلغة الكتابة هذه ؛ لأن الهدف الأهم هو الإبانة عن الغرض بأقل قدر من العبارات، حفظاً لوقت المسؤول، ولوقت المستفيد معاً ؛ ولأن الهدف الأخير هو إيجاد قناة لغوية أدائية سهلة بين الطرفين، فضلاً عن أن الإطالة تبعث السأم ولا تؤدي الغرض، وخير الكلام ما قل ودل .

على أن الأمر لم يقتصر على الرتابة والنمطية في المكاتبات، والميل إلى الجفاف في التعبير، بل ذهب إلى ما هو أسوأ، وهو شيوع الركاكة في الأساليب، والخلل في بناء الفقر، وظهور الأخطاء اللغوية الشائعة المختلفة : إملاء ونحواً وصرفاً، فلا تعجب إن وجدت الفاعل منصوباً، والمفعول مجروراً، و(الظاء) ضاداً، و(الضاد) ظاء، فضلاً عن إهمال تام – تقريباً – لعلامات الترقيم التي يعرف بها الفصل والوصل، والارتباط وعدمه، وسياقه : استفهاماً، أو تعجباً، أو سخرية .

وبينما تنداح الأخطاء بشتى صورها المحزنة، تأتي الأرقام حين تكتب بالحروف معجونة متناقضة في سياقها الإعرابي، فبعضها مرفوع، وبعضها منصوب مع وجود عامل إعرابي واحد، كأن يكتب أحدهم : " هذا المشروع تكلفته خمسون مليوناً وعشرين ألف ريال " !!
على أن المشكلة قديمة، وليس ثمة مخرج من الشكوى منها كلما طرحتها مدرسة أو مؤسسة ثقافية، أو أثارتها جريدة أو مجلة، إلا بمعجزة لا ندري متى يحين حينها!
والمؤسف هو انحدار لغة المعاملات إلى درجة لا تطاق بحيث أصبحنا نقرأ كلاماً يذكرنا بمن يتكلم العربية وهو ليس من أهلها، فيحاول أن يقيم الحروف فتغلبه العجمة.
ولسنا بصدد معالجة المشكلة، فنقترح الاهتمام بالإملاء والنحو والصرف في المدارس، فكل هذه المواد موجودة، ولكنها تلقن بطريقة نظرية (لا عملية)، فتكون الفائدة محدودة لا تعين الطالب، والموظف فيما بعد على تجويد الكتابة ؛ أو نقترح دورات تدريبية مكثفة للموظفين، فهذا – حسب علمي – غير متاح لهم ؛ لأن الاهتمام ينصب على دورات في (مسك الدفاتر) وسوى ذلك من دورات تعنى بأساسيات الوظيفة وشكلها الخارجي، ولا تنفذ إلى اللب، وهو الاهتمام بتزويد العقول بالدرس اللغوي والأسلوبي .
ومن دلائل الانحدار الأسلوبي واللغوي في الكتابات الصحفية ما يشيع في كتاباتهم من أخطاء شائعة وغير شائعة، ولحن واضح، وميل إلى التخفف من علامات الترقيم والهمزات، وجنوح إلى اللغة السهلة الضحلة التي لا تعنى بالتجويد والإتقان، مع تساهل واضح في مزج الفصيح بالعامي والدخيل من الألفاظ !
ولقد تسللت هذه الأدواء إلى مؤسسة رسمية تبث الأخبار للصحف، فرأينا عدداً من الأخطاء الإملائية، وبالذات في كتابة الهمزات المتطرفة، فكلمة (ضوء) تتحول إلى (ضؤ)، و(سوء) إلى (سؤ)، و(بدئ) إلى (بدء) دون إدراك لما قد يحدثه هذا التساهل في لغة الضاد من نشر للأخطاء على نطاق واسع.

كثرت الأخطاء: جملة.. ونحواً.. وصرفاً

★★★★★★

ومع رغبة الغُير(جمع غيور) على تنقية لغة المكاتبات الرسمية والصحفية مما شابها من لحن وخطل وابتذال، فإن الجهود تكاد تكون غير مؤثرة في المتلقين ؛ ذلك أن كتب الأخطاء الشائعة تزيد على عشرين كتاباً – فيما أحسب –، والأخطاء في ازدياد، ولا أحد يسمع!
ولقد أبلى يحيى المعلمي (١٣٤٧–١٤٢١هـ) رحمه الله في كتاباته الصحفية وأحاديثه الإذاعية بلاء حسناً في التنبيه على شيوع الأخطاء وفشوها، وطالب بالاهتمام بلغة المعاملات الرسمية حتى بح صوته ووصل إلى مرحلة من اليأس جعلته يقنع من المتحدثين والكتاب الذين يجهلون كتابة الأرقام بلغة فصيحة سليمة أن يجعلوها دائماً منصوبة، وأن يتجنبوا الرفع، لأنه مظنة العلم بإعراب الرقم. أما نصبه أو جره فقد لا يدل على جهل المتحدث أو الكاتب، وإنما يمكن أن يفسر سلوكه بأنه تسامح وتساهل لا جهل * !!
ومهما يكن من أمر، فإن المشكلة أكبر مما نتوقع، وتحتاج إلى تضافر الجهود من جميع الأطراف المعنية بالهم اللغوي.

المنهل:

■في عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م طبع الرائد الأديب اللغوي الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري كتابه المعنون (إصلاحات في لغة الكتابة والأدب).. وكان أول محاولة تنشر في المملكة العربية السعودية، تُعنى بهذه الغاية.
وجاء في كلمة الإهداء (كتبت هذه المقالات بقصد إفادة الناشئة المتعلمة، والمحررين الحكوميين، والأدباء والقراء، وإرشادهم إلى مواقع الخطأ ليتجنبوها، وإيضاح مناهج الصواب ليسلكوها..).
وظل الأستاذ الأنصاري يكتب في مجلته المنهل تحت هذا العنوان.. وقد جمعت (دارة المنهل) كل تلك الكتابات في اللغة، واخرجتها في كتاب ضخم قيّم في حوالي ٦٠٠ صفحة، نال إعجاب المهتمين بأمر اللغة العربية.. وجاء هذا الكتاب بذات العنوان الأول (اصلاحات في لغة الكتابة والأدب..) وهذا الكتاب متوفر الآن في المكتبات، وفي (دارة المنهل..).

د. مصطفى أحمد قنبر - الإمارات العربية المتحدة

يلعب المقام دوراً رئيساً في البنية اللغوية للنصوص، إذ في ضوئه يتمكن الكاتب من إنشاء النصوص، فـ " يعدل عن استعمال الكلمات التي تنطبق على الحالة التي يصادفها خوفاً أو تأدباً. بل قد يضطر إلى العدول عن الاستعمال الحقيقي للكلمات فيلجأ إلى التلميح دون التصريح." (١)، كما يستطيع المكتوب إليه تَفَهُّم النصوص، وبدراسته ينجح اللغوي والناقد في تفسير هذا النتاج وتحليله.



البنية اللغـوية والمقـام



ولقد كان البلاغيون العرب على دراية بهذا الدور الخطر للمقام في إنشاء وفهم وتحليل النصوص - وإن كان فهمهم له ضيقاً - مما يجعل لهم السبق عن غيرهم. إنه "حين قال البلاغيون: " لكل مقام مقال" و"لكل كلمة مع صاحبتها مقام" وقعوا على عبارتين من جوامع الكلم تصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات...ولم يكن "مالينوفسكي" وهو يصوغ مصطلحه الشهير Context of Situation يعلم أنه مسبوق بألف سنة أو ما فوقها. إن الذين عرفوا هذا المفهوم سجلوه في كتب لهم تحت اصطلاح "المقام". ولكن كتبهم لم تجد من الدعاية على المستوى العلمي ما وجده اصطلاح مالينوفسكي."(٢)

فالمقام عند البلاغيين العرب قصد به أولاً المخاطَب من حيث طبقته السياسية والاجتماعية (الخاصة /العامة)، والحالة النفسية له إقبالاً وإعراضاً (٣). يقول الجاحظ: " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار

المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات." (٤)

هذا في بلاغة الخطابة، أما في بلاغة المكاتبة فقد اتسع المقام ليضم الكاتب وموضوع الرسالة.(٥) يقول أبو هلال العسكري: وأعلم أن المعاني التي تنشأ فيها الكتب من الأمر والنهي، سبيلها أن تؤكد غاية التوكيد بجهة كيفية نظم الكلام لا بجهة كثرة اللفظ؛ لأن حكم ما ينفذ عن السلطان في كتبه شبيه بحكم توقيعاته من اختصار اللفظ وتأكيد المعنى... أما ما يكتبه العمال إلى الأمراء ومن فوقهم، فإن سبيل ما كان واقعاً منها في إنهاء الأخبار وتقرير ما يلونه من الأعمال... أن يمد القول فيه حتى يبلغ غاية الشفاء والإقناع، وتمام الشرح والاستقصاء" (٦)

وهكذا اتسع المقام ليشمل العناصر التالية:

- المخاطب/ السامع(من: الخاصة/ العامة).
- الخطيب/ المتكلم(من: الخاصة/ العامة).
- الكلام نفسه.
- أثر الكلام (الإقناع، وتمام الشرح).

ثم اتسع عنصر المتكلم بإضافة اعتبار آخر يمكن تسميتها(الانتماء اللغوي والأدبي). (٧)

يفهم هذا مما رواه السكاكي أن خلفاً قال لبشار بعد أن أنشده رائيته:

بكِّرا صاحبيَّ قبل الهجير   إن ذاك النجاح في التبكير.

لو قلت يا أبا معاذ مكان (إن ذاك النجاح) بكِّرا فالنجاح في التبكير – كان أحسن. فقال بشار: إنما قلتها أعرابية وحشية... ولو قلت: بكِّرا فالنجاح في التبكير، كان هذا من كلام المولدين. (٨)

وقد ارتبط مصطلح المقام أو سياق الموقف ذهنياً بعالمين اثنين: Context of Situation أحدهما (مالينو فسكي)، والآخر اللغوي(فيرث). وكلاهما كان معنياً بإبراز المعنى بالنظر إلى السياق الذي تستخدم فيه اللغة. (٩)

ويتكون سياق الموقف عند مالينوفسكي من ثلاثة عناصر:

أولاً: شخصية المتكلم والسامع، ومن يشهد الكلام معهما، ودور الشاهد في المراقبة أو المشاركة.

ثانياً: العوامل والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المتصلة بالحدث اللغوي،ويشمل الزمان والمكان.

ثالثاً: أثر الحدث اللغوي كالإقناع، والفرح، والألم.(١٠)

وقد ذكر ليتش أن اللغوي الانجليزي (فيرث) تأثر في نظريته السياقية بالانثروبولوجي البولندي مالينوفسكي، الذي عُرف عنه في دراسته للدور الكبير الذي تلعبه اللغة في المجتمعات البدائية - أنه يعالج اللغة كصيغة من الحركة، وليس كأداة للانعكاس. واللغة في حركتها، والمعنى كما يستعمل يمكن النظر إليهما على أنهما شعار مزدوج لمدرسته الفكرية. (١١)

إن(فيرث) يرى أن فهم الكلام والقدرة على تحليله، إنما يكون بالنظر إليه في إطار اجتماعي معين سماه السياق. والسياق في نظره ذو عناصر معينة متكاملة،

وهي ضرورية في عملية الفهم والإفهام.

من عناصر هذا السياق:

- المتكلم.
- السمع أو السامعون(أو جملة الأشياء الموجودة في الموقع).
- الزمان والمكان.
- الكلام نفسه.

وعنده أنه لابد من النظر في هذه الجوانب كلها، وعلاقتها بعضها ببعض؛ حتى يمكن فهم الكلام فهماً جيداً، وحتى يمكن تحليله تحليلاً صحيحاً دقيقاً.(١٢)

ولعل أفضل تطبيق لأفكار (فيرث) هو ما جاء في دراسة زميله (ت.ف.ميتشل)عن لغة البيع والشراء في شمال إفريقية. كانت اللغة المدروسة

العرب سبقوا الأوروبيين إلى ضرورة ترتيب الخطاب حسب مقتضيات الحال والمقال

★★★★★★

هي العربية، واشتغل (ميتشل) على أفكار(فيرث) وأوضحها جيداً بالنظر إلى طبيعة سياق الموقف في نص بذاته.(١٣)

ويؤكد (أولمان) على أن السياق بمعناه التقليدي، وهو النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم - يجب أن يشمل الكلمات والجمل والقطعة كلها والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة. (١٤)

أما(هاليداي) فقد كانت له عناية خاصة بالموقف من منظور اجتماعي سيميائي اجتماعي: فهو يرى أن اللغة تحيا فقط عندما توظف في محيط بعينه، إننا لا نجرب اللغة منعزلة، ولكن نجربها دائما في علاقتها بالحبكة أو سياق الحكاية، أي: خلفية الشخصيات، والأحداث، والوقائع التي تستمد منها الأشياء

المقولة معناها.اللغة تقال لتوظف في(سياق موقف)، وأي تدبر للغة التي يعوزها

أن تكون مبنيةً في موقف بعينه - باعتباره عنصراً جوهرياً - هو تدبر مصنوع

وغير مجز. (١٥)

وقد حاول بعض الباحثين التمييز بين الموقف والسياق, من هؤلاء: جان كوهين، وأوجينيو كوزيريو. فكوهين يرى:" أن الحاضر في اللغة المتكلمة يكون مؤرخاً من خلال الموقف، أما في اللغة المكتوبة فيكون مؤرخًا من خلال السياق.(١٦) ذلك أن السياق مرتبط في جوهره بمادة الخطاب، أما الموقف فيتسع لجميع مناحي الكلام وملابساته وظروفه وحالة المتكلمين وتعبيراتهم البدنيّة واللفظية.(١٧)

أما أوجينيو كوزيريو فالسياق عنده يعني المحيط اللغوي الخالص، أي المقول من قبل وما يقال بعد ذلك. أما الموقف فيعني المحيط غير اللغوي للعلامة أو السلسلة من العلامات، بما في ذلك من ظروف وملابسات تصاحب الحدث اللغوي، فضلاً عن معلومات يتجاوزها المتكلم والمستمع إذا كانت معلومة بينهما.(١٨)

ولم يبتعد علماء العربية المحدثين عن هذه المفاهيم، فالدكتور محمود السعران يرى أن سياق الحال هو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي أو للحال الكلامية، ومن هذه العناصر:

١- شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافي،

الكلمة تحمل صيغة من الدلالات نحتاج لدقة التعامل معها..

★★★★★★

وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع - إن وجدوا - وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي، ودورهم أيقتصر على الشهود أم يشاركون من آن لآن بالكلام، والنصوص الكلامية التي تصدر عنهم.

٢- العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي، كحالة الجو إن كان لها دخل، وكالوضع السياسي، وكمكان الكلام إلخ. وكل ما يطرأ أثناء الكلام ممن يشهد الموقف الكلامي من انفعال أو أي ضرب من ضروب الاستجابة، وكل ما يتعلق بالموقف الكلامي أيًا كانت درجة تعلقه.

٣- أثر النص الكلامي في المشتركين، كالإقناع أو الألم أو الإغراء أو الضحك.. ويؤكد على أن أهم خصائص سياق الحال إبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلم وسائر المشتركين في الموقف الكلامي.(١٩)

والمقام عند الدكتور تمام حسان يضم المتكلم والسامع أو السامعين والظروف والعلاقات الاجتماعية والأحداث الواردة في الماضي والحاضر ثم التراث والفلكلور والعادات والمعتقدات والخزعبلات.(٢٠)

ويرى الدكتور محمد العبد أنه من الأحرى أن نميز بين ثلاثة مفاهيم أساسية هي: الموقف، والسياق، والسياق الموقفي. ويقترح أن يبني الموقف على كل العوامل الاجتماعية والثقافية والفيزيقية والسلوكية التي تصاحب الحدث الاتصالي والمشاركين فيه والعلاقات بينهم، ومكان الاتصال وزمانه ومدته والمسافة الفاصلة بين المتكلم والمستمع ونحوهما.

أما السياق، فيختص بالسياق اللغوي، أي بالمحيط اللغوي للمنطوق أو النص، بما فيه من علاقات نحوية ومعجمية و دلالية تربط بين الكلمات والجمل وأجزاء الجمل؛ مما يبرز أثره في ترابط المنطوقات وتماسكها من أجل إنجاز المضمون أو المقصد.

وأما السياق الموقفي، فيقترح - الدكتور العبد - جعله مبنياً على أثر العوامل المحددة للموقف في استخدام تنوع لغوي بعينه دون آخر.

الزمان والمكان والمناسبة والمجتمع في مجموعها تحدد صيغة الخطاب

★★★★★★

وسوف يختص الموقف بالاتصال اللفظي المنطوق. كما يختص السياق بالاتصال اللفظي المكتوب. أما السياق الموقفي فهو مشترك بين كلا النوعين، ولكن يُدل عليه فيزيقياً في الاتصال المنطوق بينما يُخبر عنه لفظياً في الاتصال المكتوب. (٢١)

وبعد فيمكن القول: أن المقام أو سياق الحال يمكن أن يبنى من العناصر التالية:

١ـ المتكلم / الكاتب (المرسل) شخصيته وتكوينه الثقافي والفكري.

٢ـ المخاطَب/ المكتوب إليه (المرسل إليه) شخصيته وتكوينه الثقافي والفكري.

٣ـ الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية المحيطة بولادة النص(الرسالة).

٤ـ الزمان والمكان.

٥ـ مقاصد المتكلم/ الكاتب من إنشاء النص.

٦ـ أثر العناصر السابقة في استخدام تنوع لغوي بعينه دون آخر.

وعلى محلل النصوص أن يقف على هذه العناصر جميعها حتى يستطيع أن يقرأ بعض دلالاتها التي قد لا تتكشف له لو أغفل بعضها.

الهوامش:

١- د. أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، دار الفكر/ دار الفكر المعاصر، دمشق /بيروت، ط١(١٤١٦هـ/١٩٩٦م) ص٢٩٨ـ ٢٩٩.

٢- د. تمام حسان: اللغة العربية مبناها ومعناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢(١٩٧٩م) ص٣٧٢.

٣- انظر: د. جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص٢٢ـ٢٤.

٤- الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ): البيان والتبيين،دار الفكر للجميع(١٩٦٨) ١/ ٩٧.

٥- انظر: د. جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، ص٢٧ـ٣٢.

٦- أبو هلال العسكري(أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري): كتاب الصناعتين، تحقيق محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة(١٣٧١هـ/١٩٥٢م) ص١٥٦.

٧- انظر: د. جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، ص٥٢.

٨- السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي-ت٦٢٦هـ): مفتاح العلوم، ضبطه وشرحه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٩٨٣م) ص٩٧ـ٩٨.

٩- ف.ر.بالمر: علم الدلالة ، ص٧٤.

١٠- د. كريم زكي حسام الدين: أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢ (١٩٨٥م) ص٧٤.

١١- Leech: Semantics ,Penguin, Books, (1983),pp.62-63

١٢- د. كمال بشر: التفكير اللغوي بين القديم والحديث، ط٢(١٩٨٩م) ص١٣٢.

١٣- Halliday, M.,A.,K.,and Ruqaiya:Language,Context,and text:Aspects of language in asocial-semiotic perspective.Oxford uni .Press(1990)p8-7.

١٤- ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة: د. كمال بشر، دار غريب للطباعة، القاهرة ط١٢(د.ت.) ص٦٨ـ٧٣

١٥- Hallday.M.A.K.,:Language as Social Semiotic:the social interpretiont of language meaning Routledge, Chapman and Hall Inc U.S.A (1993) pp28-29

١٦- جان كوهين: بناء لغة الشعر. ترجمة د. أحمد درويش، دار المعارف القاهرة (١٩٩٣م) ص ١٨٥ .

١٧-د. محمد العبد: اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة: بحث في النظرية، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة/ باريس، ط ١ (١٩٩٠) ص ١٩٩ .

١٨ - المرجع السابق، ص ١١٢ .

١٩- د. محمود السعران: علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، ط٢، القاهرة (١٩٩٢م) ص٣٥٢

٢٠- د. تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٣٥٢.

٢١- انظر: د. محمد العبد: العبارة والإشارة: دراسة في نظرية الاتصال، دار الفكر العربي، القاهرة (١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ص٩٨.

الإرادة وما يرادفها

أ.د/ ياسين بن ناصر الخطيب

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

الحمد لله، وصلى الله على محمد ومن والاه، ومن أراد لهذه الأمة التيقظ والانتباه.

وبعد: فقد تكون للكلمة الواحدة مرادفات كثيرة، ولكن لا يمكن عند أهل اللغة أن تكون أي من هذه الكلمات بمعنى واحداً أبداً، وإلا كان ذلك حشواً في اللغة، ولغة القرآن الكريم منزهة عن ذلك، وكذلك هنا كثير هي مرادفات الإرادة، ومن لا ينظر في معاني الكلمات بدقة، قد يظن أن كل واحدة من تلك المترادفات تقوم مقام الأخرى، وتؤدي نفس المعنى، والصحيح أن هذا غير صحيح، وسأضرب لكم مثلا يبين تلك المترادفات، كما يبين دقة القرآن الكريم في اختيار الكلمات، فأقول:

قال الله تعالى في قصة موسى وشعيب ـ عليهما السلام ـ قال تعالى:

{قالت إحداهما يا أبت اسْتَأْجِرْهُ إنَّ خَيْرَ من استأجَرْتَ القويُّ الأمينُ (٢٦) قال إني أريد أن أُنكحَكَ إحدى ابنتيَّ هاتين على أن تأجُرَني ثماني حجَجٍ فإن أتممت عشراً فمن عندك وما أُريد أن أشُق عليك ستَجِدُني إن شاء اللهُ من الصَّالحين (٢٧) }

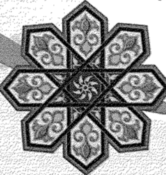
والذي يهمن هنا ـ ونحن نتكلم عن الإرادة ـ هو قوله تعالى {قال إني أُريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين} وإليك شرح الكلمات ليتبين الفرق:

قال إني: القائل هنا هو شعيب عليه السلام.

إني: لتوكيد الكلام، لأن موسى ـ عليه السلام، وكل إنسان ـ لا يمكن أن يزوج ابنته من إنسان لا يعرفه من أول لقاء؛ فأراد شعيب عليه السلام – بعد أن عرف من ابنته ما عرف من قوته وأمانته – أن يزيل عنه هذا الشك فأكد كلامه بقوله: إني.

أريد: أي إن إرادتي جازمة مؤكدة بإنَّ المشددة

بعد هذا سنتبين الفرق بين الإرادة والمحبة، والإرادة والشهوة، والإرادة والرضا، والإرادة والاختيار، والإرادة والتمني، والإرادة والقصد، فأقول:



لم يقل شعيب – عليه السلام – إني أحب أن أنكحك؛ لأن المحبة تجري على الشيء، ويكون المراد غيره، تقول: أحببت فلاناً، وأنت تحب إكرامه ونفعه، ولا تقول إني أريد فلاناً بهذا المعنى: أي وأنت تريد إكرامه؛ بل إذا قلت: إني أريد فلاناً؛ فمعنى ذلك أنك تريد شخصه، فقول شعيب – عليه السلام- هنا إني أريد أن أنكحك، المراد هنا إرادة نفس الإنكاح لا شيء آخر،(٢) حتى يقع في نفس السامع من أول وهلة.

كذلك لم يقل شعيب – عليه السلام- إني أشتهي أن أزوجك؛ لأن الإنسان قد يشتهي ما يكرهه؛ كما يشتهي الصائم شرب الماء، وهو يكرهه لأنه ينافي صيامه.(٣)

وكما يشتهي الإنسان الشهوات وهي مضرة.

وكذلك لم يقل شعيب – عليه السلام- إني أرضى أن أنكحك؛ لأن الرضا بالشيء يكون معه أو بعده، قال تعالى {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا} (٤) فلو قال إني أرضى أن أنكحك، فمعنى ذلك أنك إن نكحت – وأنا لا أدري- وعلمت به الآن، أو بعد مدة؛ فسأرضى بهذا النكاح، وهذا غير مراد هنا أصلا، أما الإرادة فتكون قبل الشيء، لأنها فعل القلب، فالإنسان يفكر في الشيء، فإذا عزم على فعله أراد تنفيذه.

ولم يقل شعيب – عليه السلام- إني أختار أن أنكحك؛ لأن الاختيار إرادة الشيء بدلاً من غيره، وذلك يكون عند خطور المختار وخطور غيره بالبال؛ بمعنى أنه يأتي على باله الإنكاح وعدمه.

وأما الإرادة، فإنه يريد الفعل، ولا يخطر على البال غيره، وهذه منقبة لموسى- عليه السلام - وهي أن نبي الله شعيب – عليه السلام – لم يتردد في إنكاحه، بمعنى أنه لم يخطر على باله غير ذلك، لما عرف من شخصه، وما عليه من القوة والأمانة.

ولم يقل شعيب – عليه السلام – إني أتمنى أن أنكحك؛ لأن التمني معنى يقع في النفس عند فوات فعل؛ كان للمتمني في وقوعه نفع في الماضي، أو في المستقبل؛ لكنه فات وانقضى، والإرادة لا تتعلق إلا بالمستقبل.

وقال بعضهم: التمني عمل اللسان، والإرادة عمل القلب(٥)، فالتمني يكون بقول ياليت، أو أتمنى أن يكون هذا كذا.

والتمني يكون بمعان لا يمكن أن تكون بمعنى الإرادة، فقد يتمنى الإنسان أن الله تعالى لم يخلقه، ويتمنى أنه لم يفعل كذا؛ لشيء مضى أمس، ولا يصح أن يريد ذلك.

والتمني يكون بمعنى التلاوة؛ كما في قوله تعالى {إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته} (٦)

أي إذا تلا من التلاوة، والإرادة لا تكون بمعنى التلاوة.

قال القرطبي: والأماني أيضاً الأكاذيب، ومنه قول عثمان رضي الله عنه: ما تمنيت منذ أسلمت. أي ما كذبت، وقول بعض العرب لابن دأب- وهو يحدث- أهذا شيء رويته، أم شيء تمنيته – أي افتعلته – وبهذا قال ابن عباس ومجاهد {ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني} (٧) أي إلا أكاذيب.

وتأتي الأماني بمعنى التقدير يقال: منى له: أي قدر، قاله الجوهري، وحكاه ابن بحر، وانشد قول الشاعر:

لا تأمنن وإن أمسيت في حرم
حتى تلاقي ما يُمني لك الماني

أي يقدر لك المقدر(٨)

وكذلك هناك فرق بين قوله إني أريد أن أنكحك، وبين قوله إني أشاء أن أنكحك، لأن الإرادة تكون لما يتراخى وقته، ولما لم يتراخ، أي لما يكون فورياً وغير فوري.

أما المشيئة فلا تكون إلا لما لا يتراخى وقته، أي للفوري فقط، والدليل على ذلك أنك تقول:

فعلت كذا شاء فلان أو أبى، فيقابل بها إباؤه، وذلك إنما يكون عند محاولة الفعل (٩)

ولم يقل شعيب - عليه السلام - إني قصدت أن أنكحك، لأن قصد القاصد مختص بفعله دون فعل غيره، والإرادة غير مختصة بأحد الفعلين دون الآخر.

وفرق آخر: وهو أن القصد إرادة الفعل في حال إيجاده فقط، وإذا تقدمته الإرادة بأوقات لم يسم قصداً، ألا ترى أنه يصح أن تقول أردت أن أزورك غداً، ولا يصح أن تقول: قصدت أن أزورك غداً(١٠)

وهكذا رأينا أن التعبير القرآني الكريم في أعلى درجات الفصاحة والبلاغة، كيف لا وهو من الله تعالى.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الهوامش

١- سورة القصص.
٢- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص٩٨
٣- نفسه
٤- المائدة/ الآية ٣ .
٥- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٩٨ وما بعدها.
٦- الحج/ الآية ٥٢.
٧- البقرة/ الآية ٧٨.
٨- تفسير القرطبي ٦/٢
٩- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص١٠١.
١٠- نفسه ص ١٠٣.

ابن فارس .. وكتابه "الصاحبي"



أ.د. محمد السيد علي بلاسي
عضو المجلس العالمي للغة العربية
- مصـــر -

نسبه ونشأته (١):

هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي، القزويني .

وأصله من همدان ثم رحل إلى قزوين ثم إلى زنجان وغيرهما.

وسكن الري، وإليـهـمـا ينسب الرازي، وهي نسبة على غير قياس (٢)، وهي مدينة شهيرة بإيران، جنوب شرق طهران.

كان أبوه : فقـيـهاً شـافـعياً لغـوياً روى عــنه أبو الحســين في " مقــاييس اللغة "، وفي " الصـاحبي "، وفي " متـخير الألفـاظ "، وفي " اللامات ".

تلقى أبو الحسين دروسه في قزوين وهمذان وبغداد، ثم استدعاه فخر الدولة بن بويه إلى الري ليعلم ابنه مجد الدولة، وهناك أيضاً حظي الصاحب بن عباد بالتتلمذ عليه.

وكان أبو الحســين شافعي المذهب، عــارفاً بالنحو واللغــة، وانتقل إلى مذهــب مالك فــي آخر عمره.

وغلب على علمه الاهتـمام باللغة، وصنف مع ذلك تصانيف كثيرة في تفسير القرآن والنحو والتاريخ والفقه.

ظل أبو الحسين في الري حتى وافـاه الأجل المحتوم على أصح الأقوال سنة ٣٩٥هـ، وفي المحمدية بمدينة الري، ودفن بها مقابل مشهد القـاضي علي بن عبد العزيز الجرجـاني، رحمهما الله رحمة واسعة.

سنة ولادته:

لم تذكر لنا المصــادر سنة ولادته على وجـه التحديد، ولكن يمكن القول على وجه التقريب أنها تدور حول عام ٣١٢هـ ؛ وسندنا في هذا الاستنتاج ما ورد في معجم الأدباء ١٢/ ٢٢١ نقلاً عن كتاب أمالي ابن فارس، وفي آخره " قال ابن فارس : حدثني ابن الحسن علي بن إبراهيم بن سلمه العطار رحمه الله بقزوين في مسجدهم يوم الأحد منتصف رجب سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة.

فإذا كان ابن فارس قد روى عن القطان سنة

٣٣٢هـ، وافترضنا أن ذلك كان في أول شبابه أي في العشرين من عمره ؛ صح ما نذهب إليه من أن ابن فارس من مواليد سنة ٣١٢هـ أو نحوها (٣).

شيوخه:

وأشهر العلماء الذين تلقى على أيديهم ونهل من معينهم (٤):

١- والده: (فارس بن زكريا) : (ت ٣٦٩ هـ).

٢- علي بن إبراهيم بن سلمه القطان : (٣٤٥ هـ).

٣- علي بن عبد العزيز المكي : (٢٨٦ أو ٢٨٧ هـ).

٤- سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني: (٣٦٠ هـ).

٥- أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري.

تلاميذه:

ويعد أبرز من تتلمذ على يديه وملأوا الدنيا بعده علماً (٥) :

١- الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ).

٢- بديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٨ هـ).

٣- أبو طالب مجد الدولة بن فخر الدولة علي بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي.

٤- أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بالغضبان.

٥- أبو الفتح سليم بن أيوب الرازي (ت ٤٧٧ هـ).

٦- أبو زرعة روح بن محمد أحمد بن محمد بن إسحاق الرازي (ت ٤٢٣ هـ).

أخلاقه:

كان ابن فارس كريماً جواداً، فربما وهب السائل ثيابه وفرش بيته ! وكان له صاحب يقال له : أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بالغضبان (أحد تلاميذه).

وسبب تسميته بالغضبان : أنه كان يخدم ابن فارس ويعترض في بعض الأمور الغريبة في نظره!

قال الغضبان : فكنت ربما دخلت فأجد فرش البيت أو بعضه قد وهبه، فأعاتبه على ذلك، وأضجر منه ؛ فيضحك من ذلك، ولا يزول عن عادته، فكنت متى دخلت عليه ووجدت شيئاً من البيت قد ذهب ؛ علمت أنه قد وهبه، فأعبس، وتظهر الكآبة في وجهي، فيبسطني ويقول : ما شأن الغضبان ؟ حتى لصق بي هذا اللقب منه، وإنما كان يمازحني (٦).

وكان أبو فارس عفيفاً متواضعاً شديد التواضع مع أساتذته، يكشف هذا قوله في آخر (تمام فصيح الكلام) : " هذا آخر ما أردت إثباته في هذا الباب ولم أعن أن أبا العباس قصر عنه لكن المشيخة آثروا الاختصار، وحقاً أقول إن جميع ما

ذكرته من علم أبي العباس جزاه الله عنا خيراً " (٧).

شاعريته:

إلى جانب قدرات ابن فارس النثرية المتنوعة المجالات، فقد كان شاعراً أصيلاً، وإنه لمن دواعي الأسف أن التاريخ لم يحفظ لنا سوى نماذج قليلة من شعره شأنه شأن الكثيرين ممن غلب جانب من جوانب شهرته على شاعريتهم الأصيلة !

على أن روح السخرية والتندر كانت تبدو في شعره أوضح ما تبدو ! فنراه في هزئه يسخر من قيم مجتمعه الذي يوقر الغني لغناه، ومالك الدرهم لدرهمه فيقول :

يا ليت لي ألف دينار موجهة
وإن حظي منها فلس إفلاس

قالوا :

فمالك منها قلت : يخدمني
لها ومن أجلها الحمقى من الناس

وانطلاقاً من قاعدة توقير الدينار والدرهم ؛ نراه يقول :

إذا كنت في حاجة مرسلاً
وأنت بها كلف مغرم
فأرسل حكيماً ولا توصه
وذاك الحكيم وهو الدرهم!

كما ان ابن فارس بحكم تجربته المرة قليل الثقة بالثقات ؛ فتراه يحذرك قائلاً :

اسمع مقالة ناصح
جمع النصيحة والمقة
إياك واحذر أن تبيـ
ـت من الثقات على ثقة

وابن فارس بحكم أنه قضى حياته قارئاً كاتباً ؛ قد عجب للذين يردهم حر الصيف وبرد الشتاء عن طلب العلم ؛ فنراه يعبر عن ذلك بقوله :

إذا كنت تأذى بحر المصيف
ويبس الخريف وبرد الشتا
ويلهيك حسن زمان الربيع
فأخذك للعلم قل لي : متى ؟!

هذا ؛ ومن عجب أن ابن فارس أحس بدنو أجله قبل وفاته بيومين، فتوجه إلى ربه متضرعاً، أيباً، قائلاً :

يا رب إن ذنوبي قد أحطت بها
علماً وبي وبإعلاني وإسراري
أنا الموحد لكني المقر بها
فهب ذنوبي لتوحيدي وإقراري

مكانته العلمية :

يترجمها لنا في إيجاز الثعالبي ؛ إذ يصفه ابن فارس بأنه : " من أعيان العلم، وأفراد الدهر، ومجمع إتقان العلماء، وظرف الكتاب والشعراء. فهو نسيج وحده، أعجوبة من عجائب الفكر والإمامة في كل ميدان " (٨).

بينما يصفه الذهبي بأنه : " الإمام العلامة، اللغوي المحدث : كان رأساً في الأدب، بصيراً بفقه مالك، مناظراً متكلماً على طريقة أهل الحق، ومذهبه في النحو على طريقة الكوفيين، جمع إتقان اللغة إلى ظرف أهل الكتابة والشعر " (٩).

آثاره (١٠) :

لقد خلف ابن فارس لنا العديد من المؤلفات في شتى ألوان المعرفة :

ففي علم اللغة :

١- المجمل في اللغة : وهو معجم موجز في اللغة الفصحى مع استبعاد النادر والغريب.
٢- متخير الألفاظ.
٣- مقاييس اللغة.
٤- فقه اللغة : أهداه لتلميذه الصاحب بن عباد،

ولهذا يسمى أيضاً كتاب الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها.
٥- كتاب تمام فصيح الكلام : زيادات على كتاب الفصيح لأبي العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ).
٦- الانتصار لثعلب : لعله رد على منتقدي كتاب الفصيح.
٧- كتاب الإتباع والمزاوجة.
٨- كتاب الثلاثة في اللغة : في المعاني المترادفة للألفاظ الثلاثية التي يمكن تقليب أصولها ثلاثة تقاليب.
٩- ذخائر الكلمات.
١٠- كتاب علل مصنف الغريب : أي علل الغريب المصنف، وهو في نواحي الضعف في كتاب أبي عبيد (ت ٢٢٤هـ).
١١- أمال، فوائد : ويشمل أيضاً ملاحظات عن اللغويين والنحاة ومسائل في اللغة.
ومن مصنفاته في الاشتقاق والأسماء :
١٢- كتاب اشتقاق أسماء البلدان.
١٣- دارت العرب.
١٤- تفسير أسماء النبي.
وله تآليف مفردة في موضوعات :
١٥- كتاب خلق الإنسان.
١٦- كتاب الفرق (بين الإنسان وغيره من الحيوان في أشياء من الخلق والخلوق).
١٧- كتاب العم والخال.
١٨- كتاب الشيات والحلي.
١٩- كتاب الحجر.
٢٠- كتاب النيروز: ويعرض بعد شرح هذه الكلمات شرحاً موجزاً للألفاظ التي على زنة فيعول.
٢١- كتاب الليل والنهار.
٢٢- كتاب الأنواء على مذهب العرب.
٢٣- كتاب استعارة أعضاء الإنسان.
وله في لغة القرآن، والحديث، والفقه :
٢٤- جامع التأويل في تفسير القرآن.
٢٥- فوائد ألفاظ القرآن : تفسير المعاني المجازية لبعض ألفاظ القرآن.
٢٦- مقالة كلا وما جاء منها في كتاب الله.
٢٧- غريب إعراب القرآن.
٢٨- كتاب الإفراد.
٢٩- مأخذ (وربما مآخذ) العلم : ويحتمل أنه يتعلق بعلوم القرآن والحديث، مثل الباب الأول الذي يوافقه في التسمية من كتاب " حلية الفقهاء ".
٣٠- حلية الفقهاء : يتناول في أبواب عديدة الأصول اللغوية لاصطلاحات الفقه.
٣١- كتاب فتيا فقيه العرب : وهي طائفة من مسائل فقهية لغوية على طريقة السؤال والجواب.
وله في أصول الفقه ومناهجه :
٣٢- أصول الفقه.
٣٣- رسالة في الفرائض الأربعة.
٣٤- كتاب التاج.

الصاحبي : لابن فارس

سر تسميته بالصاحبي :
ذكرت مصادر التراجم أنه كانت هناك صلة وثيقة بين صاحبنا ابن فارس والصاحب بن عباد ؛ حيث تتلمذ الأخير على يديه، وكان يكرمه ويقول : " شيخنا أبو الحسين ممن رزق حسن التصنيف، وأمن فيه من التصحيف " (١١).
ويبدو أنه كان من التلامذة النابهين المقربين لابن فارس فوق مكانته الاجتماعية المرموقة ؛ حيث كان يناقش أستاذه في كل ما يقول ويكتب، وكان من ثمار هذه العلاقة الوطيدة كتاب ابن فارس هذا في فقه اللغة العربية، والذي سماه بـ " الصاحبي " لمكانة تلميذه المرموق " الصاحب بن عباد " عنده !
يوضح لنا ابن فارس كل هذا في مقدمة كتابه المذكور قائلاً عنه : " وإنما عنونته بهذا الاسم

لأني لما ألفته أودعته خزانة الصاحب الجليل كافي الكفاة عمَّر الله عراص العلم والأدب والخير والعدل بطول عمره تجملاً بذلك وتحسناً، إذ كان ما يقبله كافي الكفاة من علم وأدب مرضياً ومقبولاً، وما يرذله أو ينفيه منفياً مرذولاً، ولأن أحسن ما في كتابنا هذا مأخوذ عنه ومفاد منه (١٢).

طبعات الكتاب :

صدر " الصاحبي " للمرة الأولى بعناية محب الدين الخطيب عن المكتبة السلفية بالقاهرة سنة ١٩١٠م عن فسحة الشنقيطي.

ثم نشره ثانية محققاً تحقيقاً علمياً على مخطوطتي با يزيد وأيا صوفيا الدكتور مصطفى الشويحي في بيروت سنة ١٩٦٣م ضمن سلسلة المكتبة اللغوية العربية، مطابع بدران بيروت (١٣).

وفي عام ١٩٧٧م أخرجته مكتبة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة بتحقيق الأستاذ الكبير السيد أحمد صقر، مع بعض الإضافات التي لم توات ظروف المحقق أن يكملها (١٤).

موضوع الكتاب:

لقد أفصح ابن فارس عن كتابه " الصاحبي " في مقدمته بأنه : كتاب في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها (١٥). ولعله بهذا أول من استعمل عبارة " فقه اللغة " في مسيرة الفكر اللغوي في اللغة العربية.

ويضيف ابن فارس إلى أنه بناه على معرفة أصول علم العربية ؛ حيث يقول : "إن لعلم العرب أصلاً وفرعاً:

أما الفرع : فمعرفة الأسماء والصفات، كقولنا : رجل وفرس وطويل وقصير. وهذا هو الذي يبدأ به عند التعلم.

وأما الأصل : فالقول على موضوع اللغة وأوليتها ومنشئها، ثم على رسوم العرب في مخاطباتها، وما لها من الافتنان تحقيقاً ومجازاً ".

وأضاف قائلاً : " والفرق بين معرفة الفروع ومعرفة الأصول أن متوسماً بالأدب لو سئل عن الجزم والتسويد في علاج النوق، فتوقف أو عي به أو لم يعرفه لم ينقصه ذلك عند أهل المعرفة نقصاً شائناً ؛ لأن كلام العرب أكثر من أن يحصى.

ولو قيل له : هل تتكلم العرب في النفي بما لا تتكلم به في الإثبات ؟ ثم لم يعلمه لنقصه ذلك في شريعة الأدب عند أهل الأدب " (١٦).

فكتاب " الصاحبي " يعد من المؤلفات المبكرة في مسيرة الفكر اللغوي والتي تناولت " فقه اللغة العربية "، ومن بين البحوث التي ضمنها هذا الكتاب في هذا المضمار : بحثه في نشأة اللغة العربية، وخصائص اللسان العربي، واختلاف لغات العرب ولغات العامة من العرب، والقياس والاشتقاق في اللغة العربية، وأسماء الأشخاص ومأخذها، والمترادف، وآثار الإسلام في اللغة العربية، وحروف المعنى، وسنن العرب في حقائق الكلام، والمجاز والنحت والاشتراك. وهلم جرا (١٧).

على أن ابن فارس " قد عالج في الصاحبي موضوعات شتى من العلوم اللسانية إلى جانب فقه اللغة، بعضها يتصل بالنحو والصرف، والبعض الآخر يتصل بالبلاغة والنقد، بل ونقل كثيراً من المتقدمين، كثعلب (٢٠٠- ٢٩١هـ) وابن قتيبة (٢١٣ ـ ٢٧٦هـ) وناقشهم، كما ترى في ثنايا كتابه " (١٨).

يشير إلى ذلك تواضعه الجم شأن العلماء ؛ حيث ينبه في مقدمة كتابه إلى هذا بقوله : " والذي جمعناه في مؤلفنا هذا مفرق في أصناف العلماء المتقدمين، عفا الله عنهم وجزاهم الله أفضل الجزاء. وإنما لنا فيه اختصار مبسوط أو بسط مختصر، أو شرح بشكل، أو جمع متفرق " (١٩).

" وكما أفاد ابن فارس من العلماء المتقدمين، فقد أفاد من كتابه هذا من أتى بعده ؛ ويظهر هذا جلياً

في كتاب " فقه اللغة وسر العربية " : لأبي منصور الثعالبي (٣٥٠ ـ ٤٢٩ هـ)، وفي كتاب " المزهر " : للسيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١ هـ)، حيث تجد في الأخير أبواباً برمتها (٢٠)، أو اختصاراً لبعض الأبواب " (٢١)..

الهوامش:

١- راجع : إشارة التعيين في تراجم النحاة و اللغويين : لعبد الباقي بن عبد المجيد اليماني، تحقيق الدكتور عبد المجيد دياب، ص ٤٣ وهامشها، الطبعة الأولى، شركة الطباعة العربية السعودية، سنة ١٤٠٦هـ. وإنباه الرواة على أنباه النحاة : وهامشها، ط. دار الكتب، سنة ١٣٦٩هـ. والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة : لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق محمد المصري، ص ٦١، الطبعة الأولى، مطبعة الفيصل، سنة ١٤٠٧ هـ. ومتخير الألفاظ : لأحمد بن فارس، تحقيق وتقديم هلال ناجي، (مقدمة التحقيق)، ص ٨، ط. مطبعة فضالة، سنة ١٩٦٦م. وتاريخ التراث العربي : فؤاد سيزكين، ترجمة الدكتور عرفة مصطفى، المجلد الثامن، الجزء الأول، ص ٣٧٧، ط. إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة ١٤٠٨هـ. ومداخل المؤلفين والأعلام العرب حتى عام ١٢١٥هـ : تأليف فكري زكي الجزار، الجزء الثالث، ص ١١١٣ وما بعدها، ط. مكتبة الملك فهد الوطنية، سنة ١٤١٥هـ.

٢- والرازي: نسبة إلى الري، مدينة في بلاد الديلم والزاي زائدة فيها كما زادوها في المروزي عند النسبة إلى مرو الشاهجان. انظر: متخير الألفاظ: ص ٨.

٣- انظر: متخير الألفاظ: ص ٩.

٤- راجع: المصدر السابق: ص ١٤، ١٥.

٥- انظر: نفس المصدر: ص ١٥، ١٦.

٦- راجع: نزهة الألباء: أبو البركات بن الأنباري، ص ٣٢١، ٣٢٢، طبعة حجر.

٧- متخير الألفاظ: ص ١٩، نقلاً عن: تمام فصيح الكلام: ص ٢٥.

٨- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: لأبي منصور الثعالبي، تحقيق مفيد محمد قميحة، ٣/ ٤٦٣، ط. دار الكتب العلمية ببيروت، سنة ١٤٠٣هـ.

٩- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: لشمس الدين محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ص ١٠٩، ط. دار الكتاب العربي، سنة ١٤١٥هـ.

١٠- لمزيد من التفصيل ؛ راجع: تاريخ التراث العربي: المجلد الثامن، ١/ ٣٧٨، ٣٩١. ومتخير الألفاظ: ص ٢٤، ٣٩. الصاحبي: لابن فارس: تحقيق السيد أحمد صقر، (مقدمة التحقيق)، ص (هـ، ز)، ط. عيسى البابي الحلبي، د. ت.

١١- انظر معجم الأدباء: ٨٣/٤. ونزهة الألباء: ص.٣٢١ وبغية الوعاة: ١ / ٣٥٢.

١٢- راجع: الصاحبي: ص ٣.

١٣- انظر: مقدمة متخير الألفاظ: ص ٢٦.

١٤- راجع: مقدمة التحقيق من كتاب الصاحبي: ص (ح).

١٥- مقدمة الصاحبي: ص ٣.

١٦- المصدر السابق، ص ٣ ـ ٥.

١٧- راجع هذه البحوث في كتاب " الصاحبي ". وانظر: علم اللغة: للدكتور علي عبد الواحد وافي، ص ٧٦ وهامشها.

١٨- مقدمة التحقيق من كتاب الصاحبي: ص (ج).

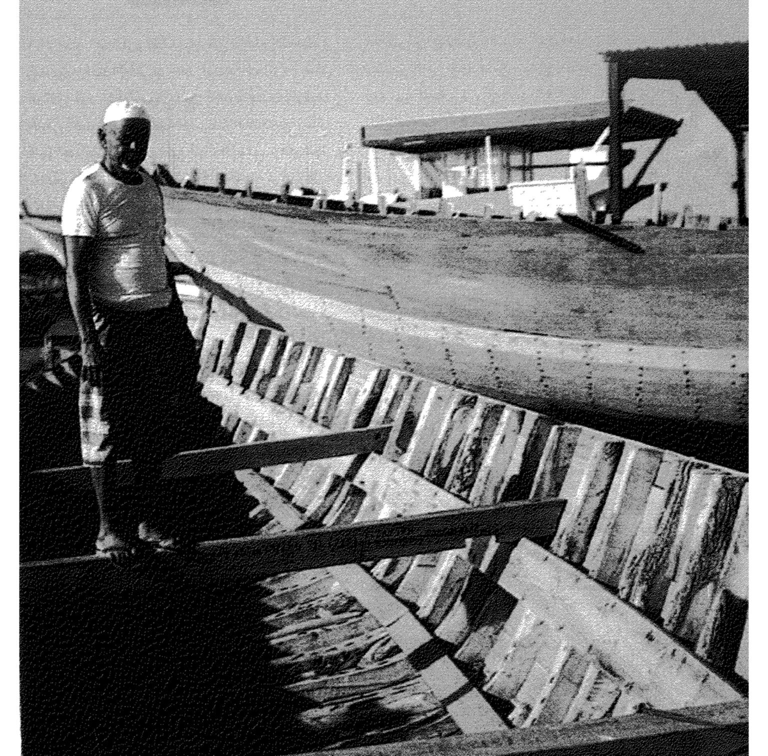
١٩ مقدمة الصاحبي: ص ٥.

٢٠- انظر: المزهر: ١/ ٦٠٤.

٢١- مقدمة التحقيق من كتاب الصاحبي: ص (د).

عوف بن محلم الخزاعي

عبدالله بن أحمد الشباط
- السعودية -



هذا الأديب الراوي الشاعر قدم إلى بغداد أيام فتنة الأمين والمأمون.. وشاهد سفن طاهر بن الحسين قائد المأمون وهي تمخر عباب الماء وسط دجلة فانطلق لسانه يصور تلك الحراقة التي تسير في الماء فلا يدركها.. فوقف على الجسر وأخذ يترنم بصوت عال:

عجبت لحراقة ابن الحسين
كيف تعوم ولا تغرق
وبحران، من فوقها واحد
وآخر من فوقها مطبق
وأعجب من ذاك عيدانها
وقد مسها كيف لا تورق

لقد عنى بالبحر الذي من فوقها طاهر بن الحسين ويعجب كيف لا تورق الأعواد من مسه لها بيديه المملؤتين ندى وبذلا..

وما أن سمع طاهر بن الحسين هذه الأبيات حتى أشار إلى بعض رجاله لاحضار ذلك الشاعر الذي أبدع في المدح فيحضر إلى الحراقة ويلتقى المادح بالممدوح.. وبعد المحادثة يعجب طاهر بذلك الشاعر الأديب الظريف الذي يحفظ الأخبار والنوادر والسير فيتخذه خليلاً وسميرا له ينادمه ويجالسه ويفضي إليه بأسراره..

ثلاثون عاماً مضت وشاعرنا يحاول الانصراف إلى أهله والعودة إلى وطنه لكن الإعجاب وخالص المودة لا يسمحان لنفس طاهر بن الحسين أن يُفَرِّط في مثل هذا الرجل حتى إنه لا يفارقه في سفر ولا حضر.. وعندما مات طاهر بن الحسين ظن عوف أن المقام لم يعد يتسع له.. وأن عليه العود إلى وطنه غير أن حدسه لم يكن في محله فقد حل عبدالله بن طاهر محل أبيه.. فقربه وأنزله منزلته من أبيه وكان كلما قرب منه واطلع على أدبه وفضله ازداد تمسكاً به.

وبعد أن سارت الأمور في مجراها الطبيعي بالنسبة لعبدالله بن طاهر خرج من بغداد قاصدا خراسان.. وكان من الضروري سفر عوف معه يسامره ويحادثه.. فسار الموكب حتى دنا من الري.. فلما قرب منها سمع عبدالله عندليبا يغرد فأعجب بصوته وقال: ها ابن محلم هل سمعت أشجى من هذا الصوت واطرب منه؟.. فقال: لا والله أيها الأمير.. وإنه لحسن الصوت شجى النغمة.. مطرب التغريد.. وكان عبدالله قد أدرك بفطنته ما يعتمل في قلب عوف من الحنين إلى وطنه خاصة وأنه بلغ الثمانين من العمر.. فأراد أن يعطيه فرصة يستأذن بها في الرجوع ليأذن له.. فقال: قاتل الله أبا كبير حيث يقول:

ألا يا حمام الأيك إلفك حاضر
وغصنك مياد ففيم تنوح
أفقْ لا تنح من غير شيء فانني
بكيت زمانا والفؤاد صحيح
وَلوعًا فَشَطَّتْ دار زينب
فها أنا أبكي والفؤاد قريح

فقال عوف: أحسن والله أبو كبير وأجاد.. ولقد كان في الهذليين أصلح الله الأمير مائة وثلاثون شاعراً ما فيهم إلاَّ مغلق وما فيهم مثل أبي كبير فإنه كان يبدع في شعره ويفهم آخر قوله وأوله.. وما شيء أبلغ في الشعر من الإبداع فيه.

وهنا كان لابد من الامتحان الذي يعطى عوفا الضوء الأخضر للاستئذان.. فقال عبدالله: أقسمت عليك ألا أخبرت شعر أبا كبير.. فقال: أصلح الله الأمير لقد كبر سنى وفنى ذهنى وانكرت كل ما كنت أعرفه.

فقال عبدالله: سألتك بحق طاهر ألا فعلت..؟

لقد كانت فرصة مواتية لأن يعبر عما يريد إلا أنه فضل التريث والتردد والمراوغة حتى يتحرى العزيمة الصادقة الجد.

لقد كان طلب عبدالله وسؤاله بحق طاهر جاء كل الجد.. وهو لا يستطيع إلاَّ الاستجابة لما لطاهر في قلبه من محبة وذكرى حسنة.. فقال:

أفي كل عـــام غـــربة ونزوح
أمـــا للنوى من دنيـــة فـــيـــريح
لقـــد طلح البين المشتّ ركـــائبي
فـــهل أرين البين وهو طليح
وأرقني بالرى نوح حـــمـــامـــة
فنحت وذو البث الغـــريب ينوح
على أنهـــا ناحت ولم تذر دمـــعـــة
ونحت وأسـراب الدمـوع سـفـوح
وناحت وفـرخـاها بحـيث تراهمـا
ومن دون أفـراخي مـهـامـه فـيح
ألا يا حـمـام الأيك إلفك حـاضـر
وغـصنك مـيـاد فـفـيم تنوح
عسى جور عبدالله أن يعكس النوى
فـيلقى عـصـا التطواف وهي طريح
فـإن الفـتى يدني الفـتى من صـديقه
وعـدم الفـتى بالمقـبـرين طروح

وما أن أتمها حتى لمس عبدالله تلك المعاناة التي يعيش عوف جحيمها فلم يملك أن يمنع دمعة انحدرت على خده من شدة التأثر من ذلك النواح الكتوم الذي انطلق من صدر الشاعر.. فأعطاه الإذن بالعودة إلى أهله ووصله بثلاثين ألف دينار.. وقال له: والله إني لضنين بمفارقتك شحيح على الفائت من محاضرتك.. ولكن والله ما عملت معى ولن أودعك إلا راجعاً إلى أهلك.. ولم يكن موقف الشاعر بأقل من موقف الأمير فكلاهما ضنين بصاحبه لولا الحنين إلى الأهل والوطن.. وكان لابد أن يخرج بعذر يوضح من خلاله موقفه وسبب طلبه العودة.. فقال:

مـــا بين الذي دان له المشـــرقـــان
وألبس الأمـن بـه المـغـــــربـان
ان الثـمـــانين وبلغـتـــهـــا قـــد
أحـوجت سـمـعـى إلى ترجـمـان
وأبدلـتـنـي بـالـشـطـاط انـحـنـا
وكنت كـالصـعـــدة تحت السنان
وقـــاربت مني خطى لم تكن
مـــقـــاربات وثنت من عنان
فـــأنشـــأت بيني وبين الورى
عنانه من غـــيـــر نسج العنان
ولم تدعْ فيَّ لمســـتـــمـــتـــع
إلا لسـاني ويحـسـبي اللسـان
أدعـــــو به الله وأثني على
صنع الأمـيـر المـصـعبي الهجان
وهمت بالأوطان وجـــدا بهـــا
لا بالغـــواني أين مني الغـــوان
فـــقـــرباني بأبي أنتـــمـــا
من وطني قـبل اصـفـرار البنان
وقـــبل منعـــاى إلى نســـوة
أوطانهـــا حـــران والرقـــتـــان

لقد قال هذه الأبيات مودعا وشاكراً للأمير حسن صنيعه.. ثم يتجهز ويسير قاصدا الشام لكن هل تراه يبلغ مقصده؟ هل يرى النسوان اللواتي أشار إليهن في تلك الأبيات؟

لقد كان له الأجل بالمرصاد فمات في الطريق سنة ٢٢٠هـ عن عمر يناهز الثمانين أو ينوف عليها.. وتطوى صفحة أديب من أدباء العرب عاش ومات على هامش التاريخ.

المراجـــع:

- معجم الأدباء ١٦: ١٣٩
- فوات الوفيات ٣: ١٦٢

(هزي إليك بظلي....)

جبران بن محمد علي قحل - السعودية

هزي اليك بظلي، وانثري وجلي
واستسمحي في غواياتي هُدى زللي!!

وامحي تفاصيلي الحمقى التي زعمتْـ
ـني خلسة فيك، من رُشدي ومن خبلي

لستُ الوجود الذي بعثرتِ سُنّتَه
ولا أنا الغيب في ريبِاتك الأول

ماذا أنا فيك؟! لا أدري، ولا فطنت
ولادتي أحرُفي الأولى، ولا أجلي!!

شيء أنا فيك كاللاشيء، لا اقتنعت
بي الحياةُ، ولا أصغت الى جدلي!!

كالعيش في الموت!! كالموجود في عدمي!!
كالصدق في المكر!! كالانجاز في الفشل!!

هل يعطَشُ الغيم الا في سماك، كما
عقّت كواكبُ ليلي خلفةَ الأزل!!

إني تنصّلْتُ مني فيك، فالتبست
عليَّ فحواي، واختانتك بي سبلي!!

ردي عليَّ الذي استبقيت والتمسي
لي فيك معنى- يعي ما ضَلَّ من جُملي!!

يُعد الشيخ عبدالعزيز التويجري ظاهرة فريدة ومتميزة في الحركة الثقافية والأدبية في المملكة العربية السعودية، إضافة إلى شهرته وذيوعه كرجل من رجالات الإدارة السعودية التي تدرج فيها حتى وصل إلى منصب نائب رئيس الحرس الوطني المساعد.

ولد عبدالعزيز التويجري في حوطة سدير العام ١٣٣٦هـ، وعاش طفولته في كنف ورعاية والده، الذي لم يمهله القدر طويلاً إذ توفي وهو عائد من رحلة علاج في البحرين عام ١٣٤٦هـ فتأثر الابن بوفاة والده وهو لايزال صغيراً فقال (اليُتْم الموجع أثَّر في حياتي وعجزت عن احتماله أو تفهمه آنذاك).

عاش عبدالعزيز التويجري سنوات طفولته في حوطة سدير الواقعة جنوب المجمعة وكان يميل إلى العزلة مع أنه تشكلت له بعض الصداقات مع عدد من أبناء بلدته الذين زاملوه في الكُتَّاب.

وبعد سنوات انتقل الطفل إلى المجمعة، ليعيش في كنف أخيه الأكبر حمد الذي كان مديراً لمالية المجمعة وسدير والزلفي وهناك عمل الشاب عبدالعزيز مع أخيه حمد في إدارة بيت المال ورعاية شؤون الأسرة.



عبدالعزيز التويجري.. رجل الإدارة والأدب.. في ذمة الله

بداياته مع الثقافة والأدب:

كان لعبدالعزيز التويجري الشاب موقفاً قادته الظروف إليه دونما تخطيط أو موعد مضروب كان له الأثر الأبرز في حياته الثقافية والأدبية، إذ بينما هو يسير في أحد أودية المجمعة أثناء إقامته بها تناهى إلى سمعه صوت رجل مسن حكيم يردد قول المتنبي:

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا.. وحسب المنايا أن يَكُنَّ أمانيا

فوقف الشاب وأدار حواراً طويلاً مع الشيخ الحكيم، فعرَّفه بالمتنبي وبأبي العلاء المعري، اللذين يسمع بهما الشاب لأول مرة في حياته، فسأله عنهما فأجابه الشيخ بما أسرَّه وبما وجهه إلى عالم آخر أوسع من عالم القرية آنذاك.

ومنذ ذلك الوقت لا يزال حواره قائماً مع المتنبي والمعري، وقد وثق حواراته معهما بكتابيه الشهيرين (في أثر المتنبي بين اليمامة والدهناء) و(أبا العلاء: ضجر الركب من عناء الطريق).

يقول التويجري عن ذلك الشيخ المسن الحكيم (لا أستبعد أن الشيخ في اختياره ذلك المكان المعزول في واد صغير مجاور لمقبرة قديمة، أراد أن يخلق لنفسه عالماً خاصاً يؤنسه في غربته الروحية والفكرية، استنتجت ذلك من أول صوت سمعته منه، ونظرتي تلاقت مع نظرته وهو ينشد بصوت رفيع: كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا).

بعد هذا اللقاء انطلق عبدالعزيز التويجري إلى آفاق واسعة في الثقافة فأخذ يعلم نفسه بنفسه، ويقرأ كثيراً، حتى اشتد أمره وأصبح أحد متعلمي بلدته ومثقفيها.

رئاسته لمالية المجمعة والزلفى وسدير:

في العام ١٣٥٧هـ فكر الشاب عبدالعزيز التويجري في توجيه خطاب إلى الملك عبدالعزيز يطلب فيه عطفه وتوجيهه، فيمم وجهه شطر الرياض وحظي

«اليُتم الموجع أثَّر في حياتي وعجزت عن احتماله أو تفهمه آنذاك» .. التويجري

★★★★★

الشاب الطموح بلقاء مليكه وسيده، الذي أبرق لحمد التويجري مخبرا إياه بتعيينه مديرا لمالية القصيم وتعيين أخيه عبدالعزيز بدلاً عنه في رئاسة مالية المجمعة والزلفى وسدير فكان أن ذهب حمد إلى القصيم وتسلم الشاب عبدالعزيز أولى مهامه في عالم الإدارة السعودية.

طيلة الفترة من عام ١٣٥٧هـ إلى عام ١٣٨١هـ ظل عبدالعزيز التويجري في المجمعة يدير ماليتها وما ارتبط بها من مدن وقرى.

رحلته مع الحرس الوطني:

بعد مرور ٢٤ عاماً من العمل في رئاسة بيت المال في المجمعة والزلفي وسدير، وبعد ما حققه التويجري من حسن إدارة ومن صيت طيب وسمعة حسنة لدى ولاة أمره وبين الناس، انتقل إلى الرياض للعمل في الحرس الوطني وكيلاً لسمو رئيسه الأمير سعد بن سعود بن عبدالعزيز.

وبانتقاله إلى الرياض غادر المجمعة، حيث ذكريات الطفولة وأحلام الشباب الغامر غير أنها كانت ولا تزال لديه من أجمل الذكريات وأرحبها في نفسه.

يقول عنها وبشيء من الحزن: (هي اليوم تلتقي بي وأنا على آخر عتبات سلّم الحياة، ولقاء كهذا يرمي بالحجر الثقيل في أعماق النفس فتنفجر بالأحزان وتشق طريقها إلى قيعان الذات التي أمحلت، وأتساءل مع نفسي: هل صحيح أن الحياة مرّت بنا على هذه الطريق الطويلة من الذكريات دون أن نشعر بها إلا حين أكل الصيف أيام الربيع عندنا؟!).

الأب الروحي للجنادرية:

في الحرس الوطني عمل عبدالعزيز التويجري بكل جد وإخلاص في إدارة هذه المؤسسة العسكرية، فكان أحد بُناتها الذين أرسوا دعائمها، وكان أحد الذين وقفوا خلف مساهمتها في العمل الثقافي من خلال مهرجانها الكبير (الجنادرية) الذي أسس للحوار الثقافي بين مثقفي الوطن العربي بمختلف أفكارهم وتوجهاتهم، وكان (الأب الروحي) لمهرجان الجنادرية للثقافة والتراث إذ نجح في خلق (توأمة) رائعة بين التاريخ والتراث من جهة، وبين منجزات الحاضر وإبداعاته من جهة أخرى.

كما ارتبط الشيخ عبدالعزيز التويجري بجسور قوية من الصداقات مع العديد من الرموز الثقافية في الوطن العربي، وتواصل معهم عبر الكلمة المكتوبة والمسموعة، فكانت معظم هذه الصداقات رافداً مهما لإثراء مهرجان الجنادرية كل عام، فكرا وشعراً وفناً.

فالشيخ عبدالعزيز التويجري يعد الجسر الثقافي الكبير الذي يربط الثقافة السعودية بالثقافة العربية والعالمية.. إنه رمز التواصل الثقافي بين المثقف العربي والمثقف السعودي.

مؤلفات التويجري:

يتمتع التويجري بثقافة عريضة ويحتفظ بوثائق تاريخية ذات أهمية، ظل يجمعها عن تاريخ وملحمة البطل عبدالعزيز الذي عشقه وأحبه، فاستولى على تفكيره واهتمامه. لكن ورغم ذلك، فقد تأخر ظهور التويجري مؤلفاً، إذ أصدر كتابه الأدبي الأول (في أثر المتنبي بين اليمامة والدهناء) بعد أن تجاوز الستين، وأصدر كتابه التاريخي الوثائقي الأول (لسراة الليل هتف الصباح) بعد أن شارف على الثمانين، وما بين الكتابين وبعدهما توالت المؤلفات، التي غلب عليها الطابع الأدبي والفلسفي والوجداني، والتي بلغت خمسة عشر مؤلفا، تزين المكتبة العربية، بأسلوب صاحبها ومنهجه المتميز الفريد.

التويجري .. يعد الجسر الثقافي الذي يربط الثقافة السعوية بالثقافة العربية والعالمية

★★★★★★

ومن أهم مؤلفاته:

- في أثر المتنبي بين اليمامة والدهناء.
- عند الصباح حمد القوم السُرى.
- أبا العلاء.. ضجر الركب من عناء الطريق.
- ذكريات وأحاسيس نامت على عضد الزمن.
- لسراة الليل هتف الصباح.
- رسائل خفتُ عليها الضياع.
- منازل الأحلام الجميلة.
- حتى لا يصيبنا الدوار.
- حاطب ليل ضجر.

وبعد..

فلقد عُرف عن الشيخ عبدالعزيز التويجري تواضعه الجم وإنسانيته المفرطة، وحب للأصدقاء غامر، مع حسن أدب وثقافة شمولية، جعلت منه كل هذه الأشياء، صديقاً مقربا لأغلب المثقفين العرب باختلاف آرائهم وتوجهاتهم، أولئك الذين أنسوا به وأنس بهم، ناقشوه وناقشهم، راسلوه وراسلهم، ويُجمع الكثير من السعوديين والمثقفين العرب على ما كان يتمتع به الشيخ التويجري من حرص على قضاء حوائج الناس والعمل على إنهائها.

وفاته:

بعد رحلة طويلة قاربت القرن وشارفت عليه، أمضى منها سبعين عاماً في خدمة وطنه ومليكه انتقل إلى رحمة الله تعالى الشيخ عبدالعزيز التويجري يوم الأحد الموافق ٢٤ جمادى الأولى ١٤٢٨هـ.

تغمد الله الفقيد بواسع رحمته وغفر الله لنا وله وألهم ذويه ومحبيه الصبر والسلوان،

و(إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون)

نازك الملائكة.. في ذمة الله



توفيت الشاعرة العراقية نازك الملائكة - التي كانت تقيم في القاهرة - عن عمر ناهز ٨٤ عاماً.

ولدت الشاعرة نازك الملائكة في بغداد في الثامن والعشرين من أغسطس عام ١٩٢٣م. ونشأت في بيت علم وأدب، في رعاية أمها الشاعرة سلمى عبد الرزاق وأبيها الأديب الباحث صادق الملائكة، فتربت على الدعة وهيئت لها أسباب الثقافة.. وما أن أكملت دراستها الثانوية حتى انتقلت إلى دار المعلمين العالية وتخرجت فيها عام ١٩٤٢م، ثم توجهت إلى الولايات المتحدة الأمريكية للاستزادة من معين اللغة الإنجليزية وآدابها عام ١٩٥٠م.

وفي عام ١٩٥٩م حصلت على شهادة الماجستير في الأدب المقارن من جامعة وسكونسن في أمريكا وعينت أستاذة في جامعة بغداد وجامعة البصرة ثم جامعة الكويت.

كانت تجيد من اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية واللاتينية.

مثلت العراق في مؤتمر الأدباء العرب المنعقد في بغداد عام ١٩٦٥م ويعتقد الكثيرون أن نازك هي أول من كتب الشعر الحُرَ في عام ١٩٤٧م ويعتبر البعض قصيدتها (الكوليرا) - التي تصور فيها تعاطفها مع ضحايا مرض الكوليرا الذي حصد الأرواح في الريف المصري في ذلك الوقت - من أوائل الشعر الحر في الأدب العربي، غير أن نازك الملائكة نفسها أوضحت في الطبعة الخامسة من كتابها "قضايا الشعر المعاصر" أن قصيدتها (الكوليرا) لم تكن الشعر الحر الأول بل هناك من سبقها عام ١٩٣٢م.

آثارها:

للشاعرة مجموعات شعرية منها:

- عاشقة الليل صدر عام ١٩٤٧م.
- شظايا ورماد صدر عام ١٩٤٩م.
- قرارة الموجة صدر عام ١٩٥٧م.
- شجرة القمر صدر عام ١٩٦٥م.
- مأساة الحياة وأغنية للإنسان صدر عام ١٩٧٧م.

بالإضافة إلى الأعمال الكاملة - مجلدان - طبع عدة طبعات ولها من الكتب:

- قضايا الشعر المعاصر.
- التجزيئية في المجتمع العربي.
- الصومعة والشرفة الحمراء.
- سيكولوجية الشعر.

كتبت عنها دراسات عديدة ورسائل جامعية متعددة في الكثير من الجامعات العربية والغربية.

ويذكر أن وفاتها كانت في ٦ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ/ الموافق ٢١ يونيو ٢٠٠٧م رحم الله الفقيدة، وغفر لنا ولها.

و(إنا لله وإنا إليه راجعون).

رحم الله عبدالعزيز محمدين



أ.د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري

وأنا في طريقي للمسجد لأداء صلاة الجمعة يوم السادس من جمادي الثانية ١٤٢٨هـ الموافق ٢٢ يونيه ٢٠٠٧م، وصلتني رسالة على الجوال وإذا الرسالة تنعى صديقاً حميماً من أعز أصدقائي، إنه الأستاذ عبدالعزيز أمين محمدين، فكانت مناسبة خيرة أن أدعو له خلال الصلاة وبعدها بالمغفرة. لقد كان الخبر فرصة للتأمل في هذه الحياة فقد طوت وفاته رحمه الله صفحة مداها أكثر من أربعين عاماً بل أكثر من خمسين عاماً قضاها في خدمة جامعة الملك سعود منذ نشأتها.

عندما عدنا من جامعة القاهرة بالليسانس نحن الذين تخرجنا سنة ١٣٨٠هـ، وكنا زمرة قرابة خمس من الشباب الطموح وعُيّنا في قسم اللغة العربية معيدين فوجئنا بطائفة من العلماء في أروقة الجامعة ومنهم الأستاذ الكبير مصطفى السقا والأستاذ الدكتور أحمد العدوي والأستاذ الدكتور أحمد الحوفي والأستاذ الدكتور الغمراوي أستاذ الصيدلة الذي كان من أصحاب الردود على الأستاذ الدكتور طه حسين في قضية الأدب الجاهلي، والأستاذ الدكتور محمود الصياد والأستاذ الجيار والأستاذ محمدين. كنا نجل هؤلاء الفطاحل الذين كنا نسمع عنهم دون أن نقترب منهم وها نحن نجدهم أمامنا وجهاً لوجه، وكان أقربهم إلينا في السن والتفكير الأستاذ محمدين، وكان قد تحصل على دبلوم من بريطانيا في اللغة الإنجليزية بعد الليسانس من الجامعة، فوجدناها فرصة سانحة لكي يساعدنا في الكتابة إلى الجامعات البريطانية للحصول على قبول منها.

ولم يفكر أحد منا آنذاك أن نتقدم إلى الجامعات الأمريكية لأن بريطانيا في تلك الفترة كانت هي المسيطرة فكرياً وثقافياً على المنطقة، وإن كانت شمسها بدأت تغيب بعد العدوان الثلاثي، من شرق قناة السويس. وجاءنا القبول جميعنا من جامعات مختلفة وساعدنا على ذلك ما تحصلنا عليه من توصيات من أساتذتنا في جامعة القاهرة من أمثال الدكتور شوقي ضيف والأستاذة الدكتورة سهير القلماوي والأستاذ الدكتور يوسف خليف وغيرهم رحمهم الله. ذهبنا إلى بريطانيا وبعد خمس سنوات عدنا جميعنا في سنة واحدة وكان في استقبالنا صديقنا القديم عبدالعزيز محمدين، أما العمالقة الآخرون من أعضاء هيئة التدريس فلم يبق مهم أحد إذ تغير الجهاز بكامله وتغيرت الأوجه والجنسيات ولم يبق من ذلك الرعيل الأول إلا "محمدين".

كان عبدالعزيز محمدين هو من يحمل العبء الأكبر في أعمال الامتحانات في نهاية العام عندما كان النظام الدراسي سنوياً، فكانت تجهز إحدى الغرف الكبيرة وتكون لجان للأرقام السرية وتوضع على أوراق الإجابة وتطبع الأسئلة على صفحات الشمع ثم تسحب وتوضع في أظرف ويكون وقتها الشمع الأحمر ساخناً فيوضع الشمع على مظاريف الأسئلة وتختم بختم الكلية وتوضع في صندوق خاص ثم يجري الامتحان



من اليمين إلى اليسار من قسم اللغة الإنجليزي أ. حسين الجيار و أ. عبدالعزيز محمدين والمعيد عزت خطاب ومن قسم اللغة العربية د. أحمد الحوفي ود. محمد جابر الحيني وعميد الكلية أ. مصطفى السقا ومن قسم الجغرافيا د. محمود الصياد ومن قسم التاريخ د. عبدالغني رمضان

وتصحح الأوراق تحت الأرقام السرية ثم تكون لجان لتفريغ النتائج من أربعة أعضاء لكل مادة. اثنان منهم يملؤن الدرجات وبعد الانتهاء يقوم الآخران بمراجعة ما سجل. ثم تكشف الأرقام السرية وتظهر درجات كل طالب فيعاد تبييضها بالطريقة نفسها التي نسخت بها أولاً، وهكذا في كل مادة وبذلك يمكن أن نتصور مدى الجهد الذي كان يبذل والضغوط الزمنية والنفسية التي يلاقيها العاملون في الكنترول (غرفة لجان الامتحان) إذ نجد الطلاب على اعصابهم يحومون في ممرات الكلية ويحاولون استراق السمع.. والأساتذة يستعدون لإجازاتهم.. والإدارة تستعجل لجان الامتحان ليوقع العميد أو مدير الجامعة النتائج. كان قطب الرحى في كل ذلك الأستاذ عبدالعزيز محمدين وقد وضعت فيه كل الثقة من الجميع، فهو الذي يشرف على وضع الامتحانات وتحديد الغرف وتلقي الأسئلة للدورين الأول والثاني ووضع الأرقام السرية وكتابة كشوف النتائج، ولذا كان من المستحيل أن تستطيع التحدث معه لأنه كان غارق لأذنيه في كل هذه المسئوليات الجسام وويل له ولمن معه إن تسرب شيء عن الامتحان.. وتظهر النتائج بسلام ويفوق الأستاذ عبدالعزيز محمدين من تلك المعركة وكأنه كان في غيبوبة.

كان عبدالعزيز محمدين أميناً في تعامله مع الجميع، لا يجامل ولا يمالئ، يحب الجميع، ويصادق الجميع، ويساعد الجميع، ويتعاطف مع الجميع، وعاش هكذا خلال النظام السنوي. وعندما تحولت الجامعة إلى نظام الساعات ودخل الحاسب الآلي كان ذلك رحمة للجميع، إذ انتقل الضغط جزئياً إلى إدارة منسوبي القبول والتسجيل وأصبح العمل في الكليات أكثر انفتاحاً وانتهى عهد الأرقام السرية وأصبح للمدرس دوره في إظهار النتائج وأصبحت إدارة الامتحان في عهدة كل قسم. ولكن محمدين استمر ذلك الشخص المحبوب من الجميع إذ إنه يمثل ذاكرة الكلية في كل موضوع تقريباً وما أكثر ما تسمع من يقول: إسألوا محمدين. قرابة خمسين عاماً كان عبدالعزيز محمدين محل تقدير الجميع ومحبتهم وكان أبياً عفيفاً صادقاً معطاء. رحم الله أبا وائل وعزائي لأسرته الكريمة ولكل من تعامل معه من طلاب وأساتذة في أقسام كلية الآداب وفي إدارة جامعة الملك سعود.

ذو العصف والريحان

علي خضران القرني - الطائف

قراءة في ديوان (ذو العصف والريحان)

للشاعر د. بهاء حسين عزي

الطبعة الأولى

- ليس غريباً أن يكون المهندس الميكانيكي.. أو التقني الصناعي.. أو أي تخصص آخر.. شاعراً ملهماً يتغنى بروائع القصيد.. ويسمع الملأ أحلى النشيد.. يشنف بألحانه الآذان.. ويسترعي بها الانتباه؟

- نعم ليس بغريب ذلك فموهبة الشعر تواكب مسيرة الإنسان منذ نشأته الأولى.. وتستمر طيلة مراحل نموه، لتصبح جزءاً من كيانه.. وسلوى ترافقه في حله وترحاله.

- وقد برز ببلادنا العديد من الشعراء من ذوي الاختصاصات سالفة الذكر كما في غيرها من بلدان العالم.. أمثال الشاعر: جاسم محمد الصحيح في المنطقة الشرقية.. والدكتور بهاء حسين عزي في المنطقة الغربية (جدة).. ومحمد إبراهيم يعقوب في المنطقة الجنوبية

ذو العصف والريحان

بشعر: الدكتور بهاء بن حسين عزي

مطبوعات نادي الطائف الأدبي

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

(جـازان) وغيرهم كثر.

- سـأكون هذه المرة ضيفاً في رحاب ديوان جديد: بعنوان (ذو العـصف والريحـان) للشـاعـر الدكتور بهاء حسـين عزي.. صـدر عن نادي الطائف الأدبي عام ١٤٢٣هـ في ٢٩٧ صفحة من القطع المتوسط.. احتوى على (٣٤) قصيدة وقطعة من الشعر العـربي الفصيح.. في أغراض شعرية متعددة الجوانب.

- وصاحب هذا الديوان أحد خـريجي مـدرسـة الخليل بن أحمد وأحد تلامذتها النجباء.. امتطى جياد الشعر فكان فارساً في ميدانه الرحب.. ماهراً في فنونه.. خبيراً في بحوره.. ملماً بأسرار قوافيه.

- يفتتح الشاعر قصائد ديوانه بقصـيدة عنوانها "أمة العرب" ص١٩ عن الوضع العربي بشكله العام يناجيه ككل وهي ليست للنواح والتشكي.. بقدر ما هي صورة تثبتها واقع الحال وبها يسهم الشـاعـر في التبيـان والإيضاح:

أمة العرب هل دهاك الزمان
ودنا منك للمشيب أوان
فتداجيك حالكات الليالي
وتبليك فـرقـة وهوان
وبرتك العواصف الهوج برياً
طاغيات يهيجها الطغيان
وغـريب يجول حـولك ذئبـاً
ودخيل كـأنه الغيـلان
أمة العرب هل تنبهت يوماً
للدواهي وكم بها يستهان؟
فيك نور وفيك آيات وحي
فلم العزة التي لا تصان؟

- ولم يثـأر الشـاعـر لأمتـه العربية.. يصف حالها ويذكرها بأمجادها فحسب.. بل أرسل قصائده من بلاد الإسلام.. بلاد الطهر والإيمان.. يهدئ من روع الأمهات المكلومات.. أمهات الشـهـداء من أبناء فلسطين ممن استشهدوا ويستشهدون بين عشية وضحاها من قبل الصهيونية التي عاثت في أرضها جـوراً وظلماً وبهتاناً.. وانتقاماً يوصيهن بالصبر والاحتساب فالصبر مفتاح الفـرج وفي قصيدته (٢٧) تجسيد لذلك.

يا قدس مرحى لمن يهديك أشعاراً
وألف مرحى لمن أهدتك مغوارا
تلقفته حنانا حين مولده
وودعته شهيداً حينما سارا
رخص النفس يزجيها لملحمة
وما تردد يهدي الروح جبارا
لله در شـهـيـد لم يغـر بهم
فهب يفديك يا قدس وما حارا
لله در شـهيدات بذلن صبا
فأين من بذلهن الحسن مقدارا

وفي قـصـيـدة بعنوان (أنا القـدس.. فـإلى أين؟) ص(٣٩) يوجه الشاعر قصيدة على لسان القدس: تنادي بها أهلها تذكرهم بهـا وبشـهـدائهـا وبصمودها وترسم لهم مـا ينبـغي عليـهم تجاهها. وبها يؤكد الشاعر أن القدس ثالث الحرمين الشريفين ومسرى نبي الهدى والرحمة سيدنا محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام لن ينسى، فهو في قلب ووجـدان كل عـربي ومسلم من المحيط إلى الخليج.. وسيأتي بإذن الله اليوم الذي سيتم تطهيره من أردان العابثين الغاصبين المحتلين وتحرير أرض فلسطين الجريحة الصامدة المجاهدة طال الزمن أم قصر؟

عجبت وما لعجبي ما يزيل
سوى أمل يقلل أو يطيل
أحـاوره الليـالي في أمـور
وأسأله فيحرسه الذهول
كلانا حار في فهم الأحاجي
ومـا فـهم علينا يستحيل
ينادي على شـرقي نحيب
ويهتف بي على غربي عويل

فحرت لأي درب سوف أمضي
وحملي من مغارمه ثقيل

- ويستلهم الشاعر مسيرة البطل المؤسس الملك عبدالعزيز- طيب الله ثراه- موحد الجزيرة وجامع شملها على الحق والعدل والهدى والخير والإخاء..
- مشيراً إلى الإرث الذي تركه لأبنائه وأمته من بعده سواء ما تعلق بالمسؤولية القومية أو الوطنية والتنموية البشرية والاقتصادية والصناعية.. وفي قصيدته ص(٥٧) ما يؤكد ذلك.

نادتني البيد والأجبال من رهق
ونادت المدن تشكو الجور والنصبا
والبحر نادت على أمواجه سفن
تشكو قراصنة أوسعنها سلبا
فكيف يحلو الكرى في محنة رسخت
سبيل إجلائها فكر وسل ظبا
فهب عزمي وحولي فتية صدقت
عهد الإله فكنا جيشه اللجبا
الله وفقني والحزم أوسع لي
وشب عزمي دماء حرة لهبا
عبدالعزيز أنا والعز لي حسب
قد نلته كابراً عن كابر نسبا
لا تسأل الكتب وانظر ما بنته يدي
فليس من فعلها فعل هوى ونبا

- وتهز الغيرة مشاعر الشاعر حسرة على العلماء العرب المهاجرين إلى بلدان أخرى حيث يتوفر فيها المناخ الذي يساعدهم على البروز في مجالاتهم.. بينما الأولى أن توفر لهم بلدانهم المناخات التي تضمن لهم البقاء لخدمة أوطانهم وعدم مغادرتها.. وهي ظاهرة ملموسة مع الأسف كان ينبغي علاجها وعدم التهاون بها وعن هذا نرى الشاعر يتفاعل مع ذلك بقصيدة عنوانها (من مذكرات عالم عربي مهاجر) ص(٩٧).

شغلت بقومي طول ليلي وفي يومي
شغلت بهذا الحب يحفزني علمي
فيحفزني في الصبح نوراً أشعه
وإن طاب نومي هب للحفز في الحلم
رأيت كأني البحر عمقاً وموجة
يدل على قدر العزيمة والزخم
وللبحر غواص على الصدف الذي
بلؤلئه المكنون يغريه باللم
رأيت كأني أنثر الدر مبهراً
فيغنمه قوم ويغفله قومي
وما أغفلوا إلا الذي عز مثله
لدى الصائغ الجوال بالجوهر الوهمي

- ولم يقف زورق الشاعر عند هموم الحياة.. وقضايا أمته بل أخذ يجول في شطآن الوجدانيات والعواطف يتناغم معها عبر معارف أخاذة شجية الألحان والرؤى الحالمة وفي أنشودة الأحداق ص(١٠٩) تلمس ذلك.

مالي وعزفي على مزمار داوود
مالي وشدوي لدى أحداقها السود
أحداق ملهمة ترنو لملهمها
جديدها الحث والإبداع تجديدي
مالي إذا خلتها صدت جفلت أسى
وإن رنت تحتفي، عاودت تغريدي
فهل أنا مسرف في عشق غانية
أخالها كاملها في العين والجيد؟
هي التي تزدهي من صنعة حفلت
في كل طرس بأقوال وتجويد
يسمو بها الحس ان أهديتها درراً
من القريض الذي يهدى لأملود

- وإضافة إلى محتوى الديوان من قصائد القوميات والوطنيات والغزليات وسرى الهوى إلى المدن فقد حفل الديوان بالعديد من قصائد الإخوانيات والرثائيات.
- والحق أن الشاعر قد أمتعنا بشعره الجزل الرصين وتنقل بنا عبر أجواء حالمة أخاذة، تهتز لها المشاعر وتتفاعل معها الأحاسيس ولا غرابة فالشعر (ديوان العرب).
- وقديماً قيل:

إذا الشعر لم يهززك عند سماعه
فليس خليقاً أن يقال له شعر

للتواصل ص.ب ١٠١ الطائف

د. صالحة رحوتي - المغرب

من تداعيات أزمنة الحقد...



صداع يسترسل... ضوضاء انخرم عقالها كما العادة، فانتثرت مقتحمة عوالم وكيانات كل الساكنة...شجارات في الشارع لا تنتهي... واحتفال رعاع في أحد الشقق... و حلقات من مسلسل العنف العائلي تنبعث من شقة لأخرى...
صقيع... والغربة... سيل جارف... ويحطم كل العلائق في هذا البلد البعيد... البعيد...البعيد...
عند كل منعطف وفي كل حين...الوجه الأربعيني ذاته... النظارة والعينان الزرقاوان...الشعر الأشقر الذي يغالب بعض البياض...والتجاعيد المبتدئة الآخذة في الانتشار...
حتى في رحاب الكلية نفس النظرات.. المدينة حتى النخاع... ونفس الابتسامة تصطنعها هي، لا يداخلها اليأس...إلا لماما... حينما تخلو..فيأخذها الفكر إلى فضاء التساؤل الرحب المترامي الأطراف... لم تتوان..في إظهار المودة مذ جاورتها...لكن...صدود... نفور... وتجتاحها الرغبة في التواصل متأججة مجددا كلما كان اللقاء...
انفتح باب المصعد...سباب..رذاذ لعاب يتناثر... سباب...اشمئزاز يتفاقم... والابتسامة مستقرة على محياها...والوجه المتغضن مُصِرّ على الازدراء... حمولة عنف آسن اندلقت لتتكالب على الباب..وصوت ارتطام..سباب عوض الصمت القاتل كان ينطلق مرات و مرات لينضم إلى مزيج الأصوات المنبعثة من المحيط..وهذه المرة كانت هي كبش الفداء...
طرقت...فانفتح الباب... وامتدت يد تحمل حافظة سقطت حين الهجوم عبر فتحة متبقية بعد أن كاد ينغلق بعنف من جديد...
نظرات...وامتدت حمرة تزحف عبر تقاسيم الوجه المتغضن... انتشلت الحافظة...بضع كلمات قد لا تعني شيئا...وانغلق الباب...بضع ساعات وكان الموعد...شبح ابتسامة تردد على استحياء...زهو وتسامق وانتشى...والأمل الذي رَابَط دون كلل تُوِّج بالنصر المبين...ستراها في الغد طبعا ... وفي كل الأيام...ستقتحم تلك المجاهل...ستحاكيها عن بلد بعيد غادرته... وعن شوق جامح إليه... و...عنها...و عن سبب إقامتها عندهم...نعم...ستسرد كل شيء...
ستعتذر نيابة عن الشاب الأسمر ذي الشعر الطويل الأجعد...ذلك الذي يختلق المشاحنات كل يوم... ستحكي عن مأساة والديه اللذين أتت بهما الحاجة للسواعد في بلدها قبل الفاقة والفقر في بلده...ولن تغفل الحديث عن جهلهما وذريتهما بالدنيا...
وستحاول أن توضح أن ذلك البعد عن ذلك الدين هو سبب مأساته...ومأساة تلك الأسرة التي تنطلق صرخات ابنتها كلما جن الليل...وستقف طويلا... نعم مطولا ولن تتوانى...ولن تختصر...ستفسر الفرق بينما ربيت عليه تلك الفتاة من موروث تقليدي ذهب أدراج الرياح حينما غالبته قيم جديدة...وبين المبادئ الحقيقية للدين التي كانت ستصمد... لو أن الأب كان يعرفها ولقنها لفلذة كبده...و جنبها حينذاك الصدام معه... والضياع على قارعة الزمان والمكان...

وســتــعــتــذر نـيـابة عنه أيضــا...ذلك الأب الذي يتـوسل الرثاء...يمشي يجر وراءه جسدا متلاشيا... وروحا تائهة... و هوية تناثرت أجزاؤها عبر آهات السنين...

ولن تنسى تلك المرأة الشابة ذات الوجه المصبـوغ... ستحكي...تماما كما حكت لها... كيف استقدمت جسدا سلعة لتؤثث فضاء ذلك العجوز المتصابي ...

وكيف روضته حين أعياها عجزه... ثم كيف اندلقت على قارعة الطرقات...

وستؤكد إن ذلك الدين هو ما ينقصها هي أيضا...لم تعرف منه إلا الفتات هنالك... وفقدتها هنا عند أول هبة ريح...

ستعتذر... وستفعل ذلك مرارا و تكرارا...لن تمل... وستعتذر لأنهم فعلا سفراء الإسلام...لكن لم يحسنوا تمثيله... و ستطلب منها حتما أن تتخذ لهم العذر هي أيضا ... يجهلون هذا الدين الخاتم... فقدوه بفعل قلة تعهد الأنفس و انصرام السنين...و أفقدوه - وهذا ما سوف لن تتعجل حين الحديث عنه - من طرف آباء وأجداد لها تكالبوا على بلدانهم مستعمرين...نهبوا الخيرات... واستعبدوا الطاقات... وأفقدوا الهوية... وعملوا على طمس ما تبقى من مبادئ الدين منعا للانبعاث وتكرسا للتبعية...

والأمر لا يبدو بعد كل هذا سهلا...نسوانية...متحررة من "ربق الدين"... و تسميه "أفيون الشعوب" كما أخبرتها إحداهن في الكلية حيث تدرس هي، و تعمل الأخرى... لا تؤمن بشيء...و تتساءل عن كل شيء... وأي شيء...

لكنها بالرغم من كل شيء ستحاول...و ستحاول...و إن رأت أنها قد تستوعب المزيد ستضيف...و ستحدثها عن الفرق بين الدين وبين أتباعه...و ستدلل على ذلك بما هو سائد هنا...لن تغفل الحديث عن الجار في الطابق الأول... يضع في عنقه صليبا لكنه لم يزر كنيسة في حياته كما حكى هو عن نفسه لزوجها يوما حين تحدثا طويلا عن الدين، بعد أن اندلع أوار العداء حين نشرت تلك الرسوم...

ثم...آه... كادت أن تنسى... لسوف تحدثها عنه...ذلك المتهم - حاشاه - المشنع عليه حاشاه وحاشاه...الرحمة المهداة...ستقول أنه صلى الله عليه وسلم سيتبرأ منهم هؤلاء الذين تكرهينه من أجلهم...نعم هذا ما سوف تقوله لها...و ستقنعها أولا ...و تبرهن على أن المتبع غير مسؤول عما ابتدع الأتباع التائهون...

ولسوف تحكي بعد ذلك عنه صلى الله عليه و سلم... ستفسر أنه الرحمة للعالمين... وأنه .... وأنه... وأنه...و أنه لولاه لكان الناس في ديجور مظلم...

وأنها لو كتب لها أن تعيش وتراه لما ارتضت بديلا عن العيش بين المسلمين...ستنظر إليها بشزر حتما...طبعا...ستتساءل كيف يمكن أن تحبذ هي - ربيبة الحضارة - التيه بين بدو متخلفين ؟؟؟

ستحكي لها عن الليل يسقي بذور الغربة...فتتسامق منها النباتات متسارعة كلما تأجج بركان الحنين...ليل ينساب ببطء...و نهار ضوضاؤه هجمات تخلف ندوبا لا يعلم لها مكان فتمحى... تنتشر ...تتوزع في مناحي الذات تؤرقها... وترغم السكينة على رحيل يفسح الفرصة لليأس ينشب أظفاره...فتدمى الكلوم كلما عنّ لها أن تيمم شطر مرفأ الأمل يشفيها من ألم حزين...

هذه الغربة...و هذا الألم ما كان أبدا يعيشه غير المسلمين أينما انتشرت تعاليم النبي الرحمة للعالمين...هكذا ستتحدث إليها بحزم...نعم... و بيقين...

شهادات كتب التاريخ...ستسردها...لن تغفل أيضا عن هذا...يهود المدينة... أهل الذمة...فلسطين...إيلياء عمر بن الخطاب...لن تعرفه حتما...لا يهم...يعرفه التاريخ...عبق الأندلس...أريج حرية في أستانة بني عثمان...

وكذلك رائحة الدم في قبو كنيسة هنالك في أندلس جريحة...لن تعترف... وأشلاء على جدران معسكرات هتلر... ورصاصات اخترقت أسمال محمد الدرة قرب جدار العار...

وقد لا تفهم...أو قد يمنعها حقد أن تفهم...ستفهم...قد تغضب...قد ترفض أن تسمع...لكن لمَ اليأس؟؟؟ ستفهم أنها تريد أن تنير لها النبراس... لتنظر...ثم قد تقبل أو لا تقبل...حرة هي...إذ لا إكراه في الدين...

شظايا الضوضاء إياها تنتشر...تمزق أديم فضاء متهالك منهوك... تنتظر... وتنتظر... والصوت إياه لم يمرق...باب الشقة لم يفتح...

ومع ذلك قد تسمع...قد تسمع...و قد تبتسم غدا بوضوح أكبر... نعم... بل وقد تدعوها لحديث... قد يبدأ...

إذا...نعم... كادت أن تنسى...ستخبرها عن ماض أشرق حين سلطان الدين...ذاك الذي تكره وتود لو ارتحل أهله إلى جحيم مبين...

أشرق بالنور... انهال زخات... فانبلج الصبح... ففاض حتى أصاب أجداد لها كانوا في حلكة فانزاحت... وعم ضياء أضاء هنا الآن... وذلك منذ زمن بعيد...وستسرد بحزن كيف انحسر الضياء هنالك حين أفل ضياء الدين...

وستفسر كيف أتت هي مكرهة لعلها تأتي منه بقبس... تعود به لعل قلب الأمة يصطلي... فينبض من جديد... ستطمئنها...لن تبقى هي...هي على الأقل لن تبقى... سترحل... وسترحل كل الطيور حطوا هنا مكرهين... لكن متى اطمأنوا أن الغاصبين الآتين من وراء البحار انفضوا من حول أوكارهم... فلعلهم آنذاك يجدون بعض الفتات هم هنالك بقيت تغنيهم عن الهجرة من جديد...

صداع... أرق يتلاشى... وسن تسلل في انسياب... وسكون أغرق طوفان الضوضاء... ستقول... ستقول... وستقول...كل شيء... وأي شيء يذيب جليد الحقد تعاظم منذ أعوام... سنين... لن تيأس... ستفعل ما لا يقدر الشاب الأسمر أن يفعل... يجهل كما الأخرى كل شيء... لا شيء ينير دربه قبل درب الغير... شريد... طريد ...

ذات صباح

أحمد المؤذن - البحرين

ستارة نصف مفتوحة، شعاع الشمس يتسلل مخترقاً لوح الزجاج البارد، فيستيقظ نوم الأشياء الساكنة. مزهرية تحتضن وردة على وشك الذبول، يغسلها الشعاع، يمر في طريقه على إطار بلاستيكي مذهب الزوايا، يكتنز بين أضلعه الأربعة، زوجاً حنوناً مع ثلاثة أولاد.

وأنت، يحتويك مقعد أنيق وفي حضنك طفلة بريئة الحلم تصفق.

فوضى الضوء تملأ الغرفة، تستيقظين، الستارة نصف مفتوحة، ساعة المنبه متوقفة.

تأكل الوسادة نصف وجهك والشعاع كما هو، يعاند سكينة المكان، وبلا فائدة، إنها الستارة. إغلاقها أفضل، ثوان وترجع غلالة العتمة أو بعضها. ففي هذه اللحظات الصباحية النوم أفضل، بعد هدوء ضجة المطار القريب.

ترك دفء الفراش من أجل هذه الـ.. تتثاءبين فتصطادك المرآة.. تتوقفين.

-ليس ككل مرة واثقة الابتسامة ثغرك مرسوم بعناية، تعرفين كل شيء، ليدخل شعاع الشمس، دائماً الأمور تحتاج إلى تفقد، هذا الوجه لايبدو أنك واثقة منه ودهشة خوفه.

لحظة متفردة من الارتياب، وهذه المرة ليس شعرك بعد الحمام تغطيه فوطة وردية تجففينه على مهل وتغنين. أبداً وليست شفتيك ترسمينها بقلم روج جديد استعداداً لتلبية دعوة صديقة.

هذه مفاجأة لا قبل لك بها تنهش صباحك وأنت واقفة! أصابعك تتحسس قلق وجه لا تعرفينه؟

وجه امرأة أخرى.. تنفذين إلى مسام الوجه، الأشياء تختلف دائماً كما هذا الوجه. ذابل، كيف تتحاشين نبش السؤال، كف وجع تحمل غربة وذبول الأ..

هذا السطح الفضي لا يعرف الكذب، رغم أن صراحته فجه ويكشف عن شبح امرأة غريبة لها وجه متعب، هالات سوداء تحاصر العينين فلا تعزيك مستحضرات طاولة الزينة التافهة وترويجها الإعلاني الكاذب.

خوف عميق، عمق هذه الأخاديد التي أطلت من نسيان الزمن.. يتسلل بارداً ما أقساه.

ستبحثين عن وجه تعرفينه، أما هذا الوجه المكدود فهو يشبه تعب وجه تلك المرأة التي تغسل سلالم العمارة، تتحاشين النظر في حزنها.

تختلط أحاسيسك الآن، أحزان الأيام الماضية تستيقظ ويتضح ما وراء ذلك الضباب، كل تلك المشاعر الغامضة التي تاه تفسيرها عنك! أنت لست أنت، تتحاشين النظر إلى شهادة التخرج المصلوبة على الجدار. أرقامها تذكرك بما مضى من العمر.

سنوات متطاولة مطوية منسية.

تهربين تائهة في الخواء وأنت، أنثى تحترف أمومة ثلاثة أطفال. ثم أنتِ، هنا، داخل الجنة، جنتك الصغيرة التي شيدت أسوارها الخضراء. جنة جميلة يخفر بابها رجل يحبكِ.

حقا يحبك؟؟

تعاودين تفقد وجهك المسكين على صفحة المرآة، يغطيك دخان السنوات التي احترقت، فكيف لا يكون الرماد وجبة الريح التي لا تهادن! هذه تلاوين الخيبة، مرآة وقحة تفضح الخطوط الدقيقة تكبر بك في مساحة الوجع، عمر تكابدين مفاجآته.

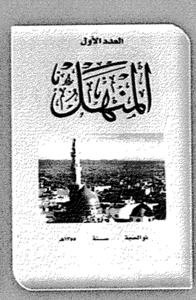
مشحونة بالضيق نفسك مهزومة ومتهاوية الدفاعات، ربما ستحطمين صراحة المرآة أو تمزقين هذا الوجه!!
سوف تتلاشى هذه الأفكار، مجرد هلوسة لعينة ستنفضين غبارها بعد حمام الصباح، كلها خربشات تافهة، الحمام يكفل تخليصك منها. وتعمل يداك في تعرية هذا الجسد، يقف تحت رذاذ المرشاش، روح تجدد صحوها وتنتعش لحظات ثم لحظات.. لكن..؟!
تصطادك على غفلة منك مرآة الحمام، لطالما كرهت شكلها، ذات مرة اعترضت عليه، وكيف قرر لوحده حجمها وشكلها.
لم يأخذ رأيك بشأنها، تكرهينها، وتودين لو تحطمينها، كيف تجرؤ على التطفل على خلوتك، متغطرسة تسديك سخريتها المرة.
هو ذا صدرك تتجمع فوقه قطرات الماء المنهمر، صدر بادٍ عليه الترهل، يفارق لذعة جنون الأمس، ويا أمسٍ، أنهيت فرحك ورحلت.
وبقايا الألم شهقة ينفلت إسارها هلعاً من أن..
هو لم يتغير وما زال من السهل إثارته!
هذا الصدر أسير يديكِ، رجل وكما كان، يحبك ولا تزالين خيرات جنته أنى أشتهي ثمرها يصل. لكنه يدخل صامتاً والصمت مخيف.
ياللأيام الماضية كم أساءت إلى نفسكِ وتمادت في قسوتها، تبحثين عن مفاجآت الأبراج وتقرئين عبثاً فصول الجنة التي تذوي، جنة لم تعد كذلك وتحسدين عليها!
وجهك يتواصل في التصاق الخوف يتشبث بسطحها، تأخذ كل تفكيرك بلا هوادة، ثم تبكين وتهزينها بعنف، تطالبينها باسترداد وجهك حيث جمده فلاش الكاميرا في الإطار البلاستيكي.
يا آهات الحسرة تذوقين طعمها، تعرفين تقاطيع الوجه، مفضوح الآن بلا مكياج، حتى انك تغارين إلى حد الغضب من أنثى غلاف الصابون، مغرورة بشكل لا يصدق تحدق فيك بتعال!
مزقت الغلاف وتساقطت أشلاؤه لكن.. لكن الشريرة تقف خلفك وجهها عار مكشوف في المرآة تتحداك فلا تضاهين نضارتها وهي تؤكد أنها أجمل منك ولا يمكن المقارنة بين إطلالة قمر وقطعة خشب!
يختفي شبحها، أنت لا تصلين إليها وتهزين المرآة.
عنيفة دموعك مهزومة الروح، تهزين وتهزين، تهشمت إلى شظايا نجمية. فتفر صيحات فزعك، جلبت صيحاته وهو متوتر يأكله الفزع أيضاً، طرقاته على باب الحمام متعجلة، متوترة، مستفسرة.. (هناء هناء حبيبتي أنت بخير هناء أجيبيني) باب الحمام مفتوح كما جروحك مفتوحة لإسعافات عطفه.
يحتويك بذراعيه بوجهه يختلط فيه الخوف ويضحك!
ينتشل دموعك، تتفاجئين حين يقول.. (تعرفين هناء - شكلك رائع وأنت مبللة تثيرين جنوني - كأنك فراشة تحت المطر).
ترجعين طفلة ويا لحنانه، تحتشد كل الدهشة المخزونة في وجهك والكلمات متقطعة على لسانك.. (وأنا مازال حبيبك وأم عيالك).
ما أروع بهاء اللحظة، كل الحرائق تنطفئ، ما ألطف مرافئ العودة، كلك تكوين جديد يعود.
ظافرة بقلبه كأول مرة، كأول لقاء كأول موعد، تحبينه أكثر، تتشبثين به أكثر. يحتويك بذراعيه وتسرقك إغفاءة خضراء من راحة وأمان.

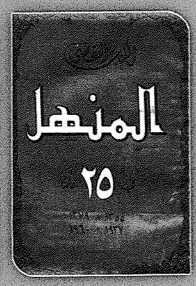




للقديم روعته

للقديم روعته







للقديم روعته

للقديم روعته



رمضان في المدينة

اللهم هذا شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان وهذا شهر الصيام وشهر الإنابة والمغفرة والرحمة وهذا شهر العتق من النار والفوز بالجنة وهذا شهر فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر اللهم فامنن علينا فيه بالعفو والعتق من النار واجعلنا من سعداء خلقك بمغفرتك.

الحديث عن هذا الشهر الكريم متعدد الجوانب وقد اختاره الله من بين سائر الشهور لحكمة يعلمها وخصه بمزايا انفرد بها عن بقية العام كما اصطفى سبحانه من الملائكة رسلاً واختار سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء وأرسله شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا وخصه بالقرآن الكريم المعجزة الخالدة {طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى} ليكون هذا القرآن هديا ونورا للعالمين.

كذلك اختار الله طيبة طيب الله ثراها لتكون مأوى الإيمان ورمضان في المدينة لا يعادله رمضان في أي مكان من العالم الإسلامي إلا روعة رمضان بجوار البيت الحرام. ويتميز صيام رمضان في المدينة بشفافية روحية خاصة يستشعرها المؤمن ويعجز القلم عن وصفها وتصوير الأحاسيس والرضا الإيماني في رياض الجنان كيف لا وأن في المدينة المنورة الروضة الشريفة البقعة الوحيدة على وجه الأرض من رياض الجنة. ولا يعدل حلاوة الإيمان والخشوع فيها إلا الوقوف عند الملتزم بجوار الكعبة حيث هناك تسكب العبرات وقد سجل التاريخ

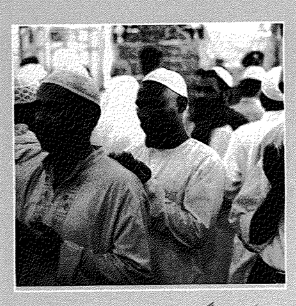
والعلماء وصفاً حياً لما يتم في المسجد النبوي الشريف من إقامة رمضان وذلك بصلاة التراويح والتهجد. وما يلمسه المسلم في الأيام الأخيرة من شهر رمضان في الروضة الشريفة لما يعجز الإنسان عن التعبير عنه. ففي ختم القرآن وصلاة التهجد ترتفع الأصوات بالدعاء وتسكب عبرات الندم والتوجه ويذوق الإنسان حلاوة الإيمان ويزيد المسجد النبوي والجوار الكريم المقام هيبة وجلالا ويستشعر الإنسان قوة الإيمان ليعود بذاكرته إلى مهبط الوحي حيث كان ينزل جبريل بالوحي على سيد الخلق.

ولم تنقطع إقامة صلاة التراويح في المسجد النبوي طيلة التاريخ الإسلامي وقد أرخ لها فضيلة الشيخ عطية محمد سالم في مبحث جيد في منهج عام لدراسة واسعة عن المسجد النبوي لمنزلته في الإسلام دينيا ولأن التراويح ارتبطت تاريخياً بالمسجد النبوي لأنها من إحدى خصائصه وأول ما شرعت فيه ولأن المسجد النبوي أولى بهذا التسلسل التاريخي على صاحبه أفضل الصلاة والتسليم وإنني لآمل من الاخوة/ الباحثين والمؤرخين استكمال جوانب البحث عن صلاة التراويح في العالم الإسلامي.

اللهم أعنا على صيام رمضان ووفقنا لقيامه واجعل لنا فيه عوناً على ماندبتنا إليه من مفترض طاعتك وتقبلها إنك الأكرم من كل كريم. اللهم سلمنا لشهر رمضان وتسلمه منا وسلمنا فيه حتى ينقضي عنا شهر رمضان واسعد من تعبد لك فيه واجعل صيامنا مقبولاً وبالبر والتقوى موصولاً واجعل قيامنا مبروراً وقرآننا مرفوعاً ودعاءنا مسموعاً حتى ينقضي رمضان وقد قبلت أعمالنا فيه واجعلنا اللهم فيما تقضي وتقدر من الأمر المحتوم وعنهما تفرق من الأمن الحكيم في ليلة القدر من القضاء الذي لا يرد ولا يبدل من عتقائك من النار. ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

د. محمد زيان عمر - جُدة

المنهل: (رمضان ١٣٩٥هـ/سبتمبر ١٩٧٥م)



أهلاً بشهر رمضان

أهلا بشهر اليمن والإيمان
والسعد والخيرات والغفران
يا مرحبا بالصوم والصلاة
ومرحبا بمؤنس الحياة
وموقظ الأرواح بالأذكار
مع اختلاف الليل والنهار
يا بهجة الأنوار في الليالي
بالذكر والتمجيد والاجلال
الله قد خصك بالفرقان
فيك الهدى نزل للإنسان
الصوم فيك صحة الأبدان
والعزم بالتقوى وبالإيمان
فلنعن بالمسكين والعريان
نقريهما بالرفد والإحسان
يا رب وفقنا إلى الصيام
واكتب لنا الأجر مع الأنام

السيد أحمد السنوسي - جازان

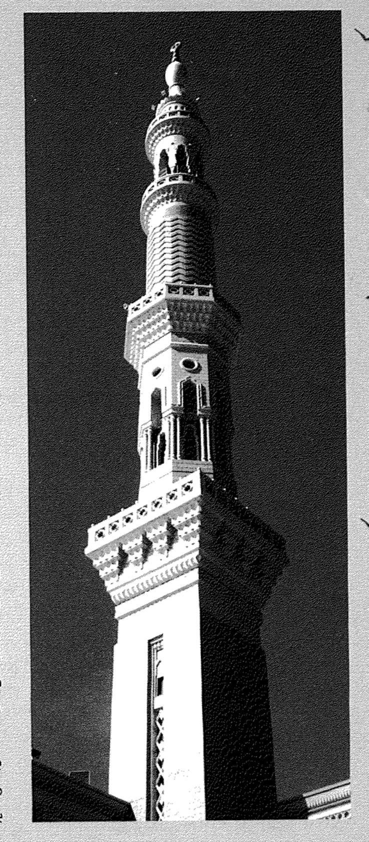
المنهل (رمضان ١٣٨٣هـ/ يناير وفبراير ١٩٦٤م)

من آثار رمضان

كان الناس يصلون التراويح عشرين ركعة ما عدا الوتر، ثم تسامع الناس أن التراويح والوتر فقط إحدى عشرة ركعة والزيادة لا أصل لها. وحصل بين المصلين في المساجد خلاف في هذا الأمر، فأناس يصرون على العشرين وآخرون يرفضون ذلك ويقولون ما دامت الزيادة لا أصل لها فلماذا نجهد أنفسنا ونصليها. وكان الذين يرفضون الزيادة يستندون على البحث الذي أذاعه العالم المحدث الفاضل الشيخ ناصر الدين الألباني في تضعيف حديث ابن خصيفة. وكان الذين يصلون العشرين يستندون على اجماع المسلمين على صلاة العشرين في مساجدهم منذ فجر الإسلام إلي اليوم. حتى إنهم ذكروا أن عمر بن عبدالعزيز كان يصليها ستا وثلاثين ركعة.

نعم جاء في الحديث الذي رواه الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في جوف الليل من ليالي رمضان وهي ثلاث متفرقة ليلة الثالث والخامس والسابع والعشرين وصلى في المسجد وصلى الناس بصلاته فيها وكان يصلي بهم ثماني ركعات ويكملون باقيها في بيوتهم فكان يُسْمَع لهم أزيز كأزيز النحل.

فنجد أن النبي سن التراويح وأما عدد العشرين فقد جاء من اجماع الصحابة على ذلك في زمن سيدنا عمر رضي الله عنه، ففهم أنهم لم يكونوا يقتصرون على ما صلوه في المسجد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كانوا يزيدون وعرفت هذه الزيادة باجماعهم عليها في



زمن عمر دون خلاف ومواصلة ذلك في مسجد رسول الله إلى عصرنا هذا.

ومع ذلك كان لتضعيف حديث ابن خصيفة في مسألة ثبوت الزيادة إلى العشرين مع استمرار المسلمين عليها عمليا، أثر كبير في ترك جمهرة من أئمة المساجد الزيادة في عصرنا هذا.

لذلك أجد الرسالة التي أذاعها فضيلة العالم الفاضل الشيخ إسماعيل الأنصاري في تصحيح حديث ابن خصيفة الذي يثبت جواز الزيادة إلى العشرين، لها قيمتها العلمية من حيث أن كثيراً من المصلين الجاهلين أخذوا ينسبون إلى سيدنا عمر ابتداع مسألة الزيادة إلى العشرين. والواقع أن كل ما صنعه سيدنا عمر أنه جمعهم على هذا العدد الذي يدل أنه معروف لهم حيث لم ينكروا عليه ذلك.

لذلك أرجو من سماحة المفتي الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم أن يأمر بتوزيع هذه الرسالة إلى أئمة المساجد في العالم الإسلامي لما فيها من النفع الكبير وإزالة أسباب الخصومات التي تقع بين بعض المصلين والأئمة الذين اعتقدوا بتحريم الزيادة.

كما أشكر الصديق المواطن العالم الفاضل الشيخ إسماعيل الأنصاري على اهتمامه بارسال هذه الرسالة إليّ، لأنها كشفت غمة وأزاحت خلافاً، وقررت حقيقة، وفق الله الجميع لخدمة الإسلام والمسلمين.

هاشم دفتردار - بيروت

المنهل: (ذو القعدة ١٣٨٤هـ/ مارس ١٩٦٥م)



ليلة شتوية في رمضان

عوت الرياح بجانب الشباك
وتسللت من ثغرة الأسلاك
واجتاح جسمينا هواء بارد
وخزاته في الجسم كالأشواك
كنا أنا ومرافقي في غرفة
متقابلين كمعشر نساك
أغراضنا من حولنا موضوعة
في منظر متضاحك متباكي
قال الرفيق وقد تعالى صوته
حتى متى سنظل كالأسماك؟
قلت: ابتسم يا صاحبي فبقاؤنا

سيطول حتى مدفع الإمساك

مفرج السيد - بدر

المنهل (ذو القعدة ١٣٩٨هـ/أكتوبر ١٩٧٨م)

الاغتـــــراب

قاسم طاهر رضا - ألمانيا

الاغتراب ظاهرة يترك فيها المرء محبوبة ليعيش بعيداً عنه حنينا إليه، لا تنفك عنه لحظة إلا وقد تذكره بمرارة شديدة وتمنى بكل جوارحه وإحساسه العودة إليه، لكنه لا يستطيع ذلك لحائل يقوى على مشاعره وأحاسيسه وبالتالي فهو في ألم دائم لن يطاق، وتمنّ مرهف لن ينال. وإذا زال الحائل انتهى الاغتراب.

الاغتراب وحشة يشعر بها الفرد في داخله. ويقاسي ألماً بعد ألم وقلقاً بعد قلق.. وهذا الألم وذلك القلق يقوده إلى أمراض عضال، والخلاص منها شبه محال، ويااليتها من أصولها تزال. وإذا أدام الاغتراب فله مقال وألف مقال..

الاغتراب فراق عن الوطن والأهل والأقرباء والحبيب. والاغتراب ترك المحبّ لحبيبه رغم أنفه... الاغتراب شمس غربت وقمر لم يبزغ، فهو ظلمة كحلاء. بل هو ظلمة بعضها فوق بعض، يكاد لن يرى دنياه إلا من مغتربه. الإغتراب ليس بالتمن الآجل ولا بالحلم العاجل.

الاغتراب كما أنه ليس له يمين ولايسار كذلك ليس له فاجر ولا بار. ومن ثم فإنه إغتراب قلب ولا محال.

الاغتراب أنشد عنه الشعراء في أجمل أشعارهم وغنى له المغنين في أكثر أغانيهم. وسطر له الكتاب أروع سطورهم.

والاغتراب قدر ليس لليد فيه حيلة، ولا للقلب فيه حصيلة، ولا للعقل فيه وسيلة.

والاغتراب يبلغ عند النسوة أوجه، فهو بكاء وعويل. ليس فيه أي جميل. أوّله أزمة وآخره شقوة. وأوسطه فيه بعض السلوى. وللاغتراب عند الرجال حكاية. فمنهم به يتقوى فكره فيصبح من أولي العقل والنهى، ومنهم من يعظم شأنه فيصبح من أهل السياسة والدولة. ومنهم من يهتدي قلبه ويصببح من أهل ا لدين والتقوى، ومنهم من يضل قلبه فيصبح من أهل الكرب والهوى.

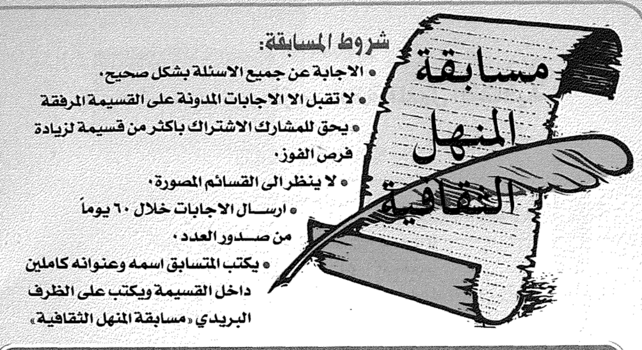
ومع ذلك فبالاغتراب ناس تموت وناس تحيا، وناس بين الموت والحياة تبقى.

فبالاغتراب أرواح تسمو وأرواح تفنى . وأرواح بين هذا وذاك تسعى.

لا تّدر للاغتراب بالا. فالكل عنده يتساوى. وأنسى الأيام يوماً بعد يوم. وأزل الهموم هما بعد هم. واجعل للدينا عندك مغزى، وفي الآخرة لك ما هو خير وأبقى.

فللاغتراب ألوان وأشكال. أما لونه فأسود قاتم، وشكله لا طويل ولا أقزم. أما فلغربة الوطن سبق وعنها قد قيل، ولغربة الديارلا طريق ولا سبيل. للحبيب فيها شعر وقصيدة. وللطبيب فيها دواءٌ ونصيحة. وأعلم أن للاغتراب تاريخ وجغرافية وحساب. فتأريخه منذ أدم، فهو ليس بميلادي ولا هجري، ولكنه أصيل كأصالة بشر وآدميّ. أما جغرافيته، فهو ليس بجبل كي يو صف ويرسم، ولا ببحر كي يُقطع ويُعبر، .. ولا ببلد كي يترك ويهجر، فهو إلتقاء القلب والاحساس عند بحر العين، بدموع يذرفها وهو متأس وحزين . أما حسابه فهو حساب لا فيه قلم ولا دفتر، بل هو أشد وأعظم وأكبر. إنه حساب فيه اليوم كالشهر، وكذلك الدمع كالحبر، والحزن دؤوب كالنهر. لا يحتوي لا على جمع ولا تربيع، ولا ضرب ولا تكسير، ولا طرح ولا باق، ولا قسمة ولا إشارة، فهو حساب عُمر، وياليته من عمر.

للاغتراب غربة، فهو ليس بغربة وطن كما قلنا، ولا بغربة حبيب كما أسلفنا. غربة فوق الغربات، وآهات فوق الآهات، كلها آلام وتمنيات واحتمال وشكايات. إنها غربة لا تشبه أخواتها الاخريات .. إنها غربة دين وإسلام. وزمان من آخر الأزمان. فيه الناس يأمرون ما لا يؤمر، وينُكرون ما لا ينُكر. وهذا هو الختام الذي عنه، قال سيد الأنام (صلى الله عليه وسلم) بقوله: (طوبى للغرباء). نعم طوبى للغرباء، وللغراباء منا ألف سلام.



شروط المسابقة:

- الاجابة عن جميع الاسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل الا الاجابات المدونة على القسيمة المرفقة
- يحق للمشارك الاشتراك باكثر من قسيمة لزيادة فرص الفوز.
- لا ينظر الى القسائم المصورة.
- ارسال الاجابات خلال ٦٠ يوماً من صدور العدد.
- يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملين داخل القسيمة ويكتب على الظرف البريدي «مسابقة المنهل الثقافية»

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التى ترد من المشاركين.
- يتم استبعاد القسائم ناقصة الاجابة.
- تجمع القسائم الصحيحة الاجابات ويعمل لها قرعة لاختيار الفائزين.
- ترسل الجوائز الى اصحابها فور الوصول الى النتيجة وتدفع بالريال السعودي او ما يعادله.

جوائز المسابقة

الجائزة الاولى:	١٠٠٠ ريال	الجائزة السادسة:	٣٠٠ ريال
الجائزة الثانية:	٧٠٠ ريال	الجائزة السابعة:	٢٥٠ ريال
الجائزة الثالثة:	٥٠٠ ريال	الجائزة الثامنة:	٢٠٠ ريال
الجائزة الرابعة:	٤٠٠ ريال	الجائزة التاسعة:	٢٠٠ ريال
الجائزة الخامسة:	٣٥٠ ريال	الجائزة العاشرة:	١٥٠ ريال

الاسم : .... السن: ....

العنوان : ....

المنهل

نتيجة سحب جوائز مسابقة المنهل الثقافية

لطفاً رجاء كتابة رقم المسابقة على الظرف

نتائج العدد ٦٠٧

الفائــزون :

الجائزة الأولى :	حسن محمد الحسن	السعودية
الجائزة الثانية :	عطية حامد بلو	السعودية
الجائزة الثالثة :	أيسر عمر الشلهبي	سوريا
الجائزة الرابعة :	مجدي إبراهيم محمود	مصر
الجائزة الخامسة :	مريم وجدان	الأردن
الجائزة السادسة :	نوح محمد كرمان	المغرب
الجائزة السابعة :	خديجة بوراسي	تونس
الجائزة الثامنة :	موزة العيد	الإمارات
الجائزة التاسعة :	خلف المحلاتي	السعودية
الجائزة العاشرة :	فرج فراج العنزي	الكويت

ترسل الاجابات خلال ٦٠ يوماً من صدور العدد

ستنشر نتائج مسابقة المنهل الثقافية لعدد (٦٠٨) في العدد (٦٠٩) ٠٠ وذلك لاتاحة اكبر فرصة للمشاركين٠

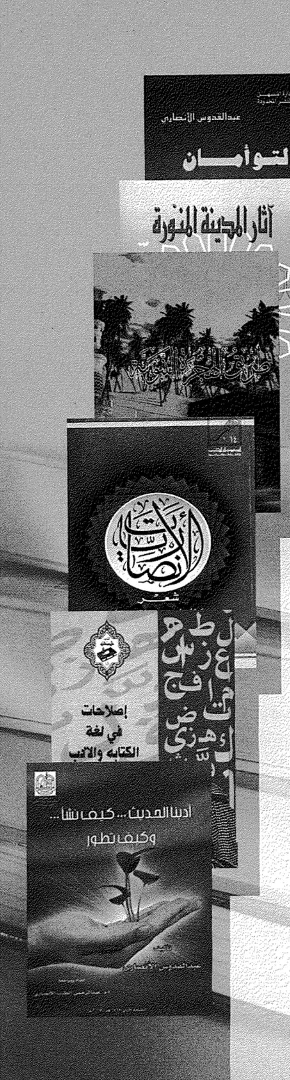
قسيمة مسابقة العدد (٦٠٨)

ضع علامة ✓ امام الاجابات الصحيحة٠٠

١ ـ يوافق ذكرى اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية:

☑ **غُرة الميزان من كل عام**

ابحث عن الإجابات داخل هذا العدد..



عبدالقدوس الأنصاري
التوأمان
آثار المدينة المنورة
إصلاحات في لغة الكتابه والادب
أدبنا الحديث... كيف نشأ... وكيف تطور

تقبل الله صيامكم

مجموعة بن لادن السعودية

SAUDI BINLADIN GROUP